الخطاب الطلبي

في الحديث النبوي الشريف

دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2013/7/2524)

شهاب، هناء محمود

الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف: دراسة بلاغية في متن صحيح بخاري/ هناء محمود شهاب.

عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص

ر.أ: (2013/7/2524).

الواصفات:/ البلاغة// الحديث الشريف// الاسلام

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-572-30-3

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+ خلوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن E-mail: darghidaa@gmail.com

الخطاب الطلبي

في الحديث النبوي الشريف

دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري

الدكتور

هناء محمود شهاب

الطبعة الأولى

2014 م – 1435 هـ

الفهرس

المقدمة 7

الفصل الأول

خطاب الأمر في الحديث الشريف 29

الفصل الثاني

أسلوب النهي في الحديث الشريف 81

الفصل الثالث

أسلوب الاستفهام في الحديث الشريف 113

الفصل الرابع

أسلوب النداء في الحديث الشريف 117

الفصل الخامس

أسلوب التمني وأسلوب الطلب بصيغة الخبر في الحديث الشريف 203

الفصل السادس

أسلوبا العرض والتحضيض في الحديث الشريف..... 221

المصادر والمراجع 243

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى اله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإذا كان القرآن الكريم خطاب السماء للأرض، فالحديث النبوي الشريف خطاب الأرض بعد السماء، وهو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله، وعلى المسلم واجب الامتثال لما ورد فيهما.

وكلامه ﷺ - وان كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته – في الطبقة العليا، لايدانيه كلام، ولا يقاربه وان انتظم أي انتظام[1]، فما جاءنا عن احد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ [2]، ولا ريب في ذلك، فقد أوحى اليه رب العزة ما أوحى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [3]، وآتاه جوامع الكلم، كما قال في حديثه ﷺ: " بعثت بجوامع الكلم " [4]. فكان كلامه " الغاية في البيان، والنهاية في البرهان، والقدوة لجميع الأنام " كما وصفه أبو حيان[5] (ت 414هـ).

وقد كان لاختيار هذا الموضوع أسبابه، أولها: إن الموضوع جديد، لم تتناوله الأقلام – فيما اعلم – بالبحث البلاغي المتعمق، ولا سيما أقلام الباحثين الأكاديميين.

وثانيهما: إن الحديث الشريف ينطوي على ألوان من المعاني والأغراض حملتها أساليب طلب انتظمته كان لها فعل السحر في إثارة فكر المسلمين ووجدانهم، وتحقيق الإقناع والإمتاع لديهم وتحصيل الاستجابة المطلوبة، ونحن أحوج ما نكون اليوم الى مثل هذه الأساليب في التعبير عن خلجة نفس وهاجس ضمير إزاء متغيرات العصر ومستجداته، وفي التوصيل والتأثير، في خلق الالتزام بالفضائل وثوابت الحياة.

من هذا المنطلق، وفي ضوء المنهج التطبيقي لدراسة الظواهر البلاغية، رأيت إن اتجه الى دراسة أسلوب من ابرز أساليب التعبير العربي، وهو الأسلوب الطلبي، في كتاب يعد أنفس كتب الحديث واجلها وأصحها وأعلاها مرتبة، ذلك هو صحيح ابي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري (194-256هـ)، الذي يعد – كما أجمعت الأمة – اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

---

(1) الطراز، العلوي: 160/1 .
(2) البيان والتبيين، الجاحظ: 45/2، نقلاً عن يونس بن حبيب (ت 182 هـ) .
(3) النجم / 3، 4 .
(4) صحيح البخاري: 113/9 .
(5) البصائر والذخائر: 7/1 .

تناولت موضوع أساليب الطلب في الحديث الشريف على وفق خطة تقوم على مدخل وستة فصول وخاتمة.

أما المدخل فقد عرض لقضايا عامة تمهد للموضوع، وتصور الإطار العام الذي يحتويه، فقد تحدث عن علم المعاني وأهميته بوصفه العلم الذي يعنى بالأساليب ودلالاتها ووظائفها، وتحدث أيضاً عن الإنشاء الذي تنتمي اليه أساليب الطلب، بحسب ما ذهب اليه علماء العربية ولا سيما أهل البلاغة منهم.

وأما الفصول، فقد اختص كل منها بأسلوب من أساليب الطلب، تصدرتها مقدمات موجزة تكشف عن قيمة هذه الأساليب في الخطاب، ودورها في توصيل أفكار المتكلم ومشاعره الى المتلقي، وخلق الإثارة والتأثير، ثم تلتها تفصيلات تتعلق بطبيعة تلك الأساليب، فكانت على الوجه الآتي:

الفصل الأول أسلوب الأمر في الحديث الشريف تنظيراً وتطبيقاً، إذ تطرق البحث الى تعريف الأمر، وبيان صيغه، ودلالاته القريبة الظاهرة والبعيدة الخفية، أو ما يسمى بالمعاني الأولى والثانية، وقد جرى التطبيق في هذه الدراسة على جملة من الأحاديث النبوية الشريفة جاءت بذلك الأسلوب.

وقام الفصل الثاني على دراسة أسلوب النهي وتطبيقاته في الحديث الشريف على نمط الفصل الأول.

أما الفصل الثالث فقد بحث أسلوب الاستفهام، وأدواته ومعانيه، وتلاه الفصل الرابع متضمناً أسلوب النداء وقد تناول أدوات النداء في الحديث الشريف ودلالاتها وخروج هذه الأدوات عن أصل استعمالها ومعانيها الثانية، وبعده الفصل الخامس، وقد انطوى على أسلوب التمني، والطلب الذي جاء بصيغة الخبر. ثم ألحق بهما فصل آخر تضمن أسلوبا العرض والتحضيض.

وقد جاءت هذه الفصول متفاوتة في حجم مادتها، وذلك أمر لابد منه نظراً لطبيعة هذه الأساليب، وتعدد صيغ بعضها واتساع معاني بعضها الآخر.

واختتم الكتاب بخاتمة ضمت أفكار الرئيسة ونتائجه المهمة التي توصل إليها.

أما المنهج الذي اتبعه، فهو المنهج التحليلي بالدرجة الأساس،القائم على دراسة خصائص وسمات أساليب الطلب النابعة من طبيعة نص الحديث الشريف، فهو الموجه دائماً الى الكشف عن مقومات تلك الأساليب، وعن المعاني التي تهدف إليها، بموجب سياقات اخذ فيها الحديث بالاعتبار المواقف التي ورد فيها، وأحوال السامعين، انطلاقاً من مبدأ إن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

واخذ الكتاب بأسباب المنهج التاريخي في تأصيل أساليب الطلب وبيان أنواعها ودلالاتها، وما يتعلق بها من دراسات تنظيرية.

ولما كان من المتعذر بسط جميع الأحاديث النبوية وتحليلها للكشف عن أسرارها البلاغية عمد البحث الى مبدأ الانتقاء، فكان عماد كل فصل جملة أحاديث

هي في رؤية البحث اقرب دلالة من غيرها على الأسلوب المعني بالدراسة، وأكثرها وفاءً بمعانيه مع إيراد أشارات لأحاديث أخرى في الهامش. ولم يتوقف البحث عند صيغة الطلب الشكلية ودلالتها الأولى المباشرة، أو الثانية العميقة حسب، وإنما عني بما يكتنف هذه الصيغة من أساليب وتراكيب تغني بدلالاتها الصيغة المدروسة وتعمق ما أريد بها.

وقد اعتمد البحث صحيح البخاري مصدراً رئيساً لهذه الأحاديث، من خلال الشرح الذي علقه ابن حجر العسقلاني (773-852هـ) عليه، المسمى (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ويقع في ثلاثة عشر جزءاً. واعتمد أيضاً من كتب البلاغة (مفتاح العلوم) للسكاكي و (الإيضاح) للخطيب القزويني، وشروح التلخيص.

ومن التفاسير والدراسات القرآنية: (الكشاف) للزمخشري، و (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، و (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي.

وكان من الطبيعي إن يستضيء الكتاب بأمهات كتب النحو لما لعلم المعاني من صلة وثيقة به، فكان كتاب سيبويه في مقدمة هذه المصادر، فضلاً عن مصادر أخرى، ومراجع حديثة مختصة أضافت ملامح جديدة الى ما رسمه السابقون، واخص بالذكر منها كتاب (أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين) للدكتور قيس إسماعيل الاوسي، وكتاب (الحديث النبوي من الوجهة البلاغية) لمؤلفه عز الدين السيد.

ولابد في هذا المقام من الإشارة الى جانب من المعوقات التي اعترضت سبيل البحث ألا وهو قلة المصادر والمراجع، فالمكتبة النبوية – إن صح التعبير – تكاد تكون خالية الوفاض من الكتب التي تتحدث عن البلاغة النبوية، ولا سيما في هذا العلم (علم المعاني)، إذ قلما يحصل الدارس على كتاب منها، وان وجدنا شيئاً من ذلك في بطون الكتب، فهو لا يعدو إن يكون آراءً عامة، وملاحظات متكررة في اغلب الأحيان.

لذا كان على هذه الدراسة إن تشق طريقها بنفسها موزعة بين الحماسة للموضوع، وبين الوجل من الوقوع في مزالق الشطط والبعد عن مرمى الأحاديث ومعانيها، لأن الكشف عن تلك المعاني التي تغص بها الأحاديث الشريفة يحتاج الى حذر ودقة وبصيرة، فهي دقائق كامنة في التعبير كاللآلئ في الأصداف.

فضلاً عن ذلك اتساع مساحة الموضوع فهو يعالج أساليب طلب معالجة بلاغية تقترن بها غالباً جوانب لغوية ونحوية، في ميدان يتهيب الدارس الولوج في شعابه ومسالكه، ذلك هو الحديث النبوي الشريف. لذلك اجتهدت الدراسة إن توفي الموضع حقه مع الوجازة في الوقت نفسه.

وبعد، أرجو التماس العذر لي لما قد يكون بهذه الدراسة من نقص او خلل، فحسبي انني أقدمت عليها بشغف، وحاولت جاهدة إن أحقق فيها نتائج طيبة تنفع

الباحثين في هذا المضمار، ويكفيني أجراً على ما بذلت في هذه الدراسة من وقتٍ وجهدٍ، انها جاءت إسهاماً في خدمة لغة أفصح الناطقين بالضاد، رسولنا الكريم محمد ﷺ، الذي سيظل حديثه الشريف يقدح بفكره وأسلوبه ما بقيت الحياة.

فإن وفقت فذلك فضل من الله تعالى، احمده واشكره، وإذا كانت الأخرى، فذلك من نفسي لفتور في الهمة، وقصور في النظر او خطل في الرأي، فالكمال لله وحده، وأساله تعالى إن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وان يكتبه لي عنده علماً ينتفع به، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

مدخل

الى الخطاب الطلبي

يحتاج المنشئ البليغ في التعبير عن معانيه الى التصرف باللفظ مفرداً ومركباً، بحسب مقتضيات الأحوال، واختلاف الموضوعات ليتمكن من توصيل ما يريد الى أذهان سامعيه ونفوسهم ؛ فتارة يستعمل صورة التشبيه ليدني المعنى ويزيل أبهامه، وتارة أخرى يأتي بصور الاستعارة او المجاز او الكناية، بقصد تجسيد المعنى المجرد، والإبداع والإثارة، وتراه في هذا يورد العبارة بأسلوب خبري يمتاز بالإفادة والمنطق والإقناع، او بأساليب إنشائية تعبر عن نزعة الطلب لديه، كالأمر والنهي والاستفهام، او عن نزعات ذاتية أخرى تراود نفسه، فيود إن يشاركه فيها المخاطبون عقلاً وشعوراً، كالتمني والرجاء والتعجب وغير ذلك مما يحقق ذاته ويشبع رغباته.

إن هذه الأساليب تعد في مقدمة موضوعات علم المعاني، الذي يعد العلم الأول والاهم من علوم البلاغة.

علم المعاني:

عرف السكاكي (ت 626هـ) علم المعاني بأنه: " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره " [1].

وعرفه الخطيب القزويني (ت 739هـ)، بأسلوب اقرب الى الإيجاز والعلمية فقال: " هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال " [2].

والقدر الجامع بين تعريفي السكاكي والقزويني هو غاية هذا العلم في مراعاة الكلام لمقتضيات الحال[3].

ومقتضى الحال لا يختلف كثيراً عن كلمة (الموقف) في الدراسات الأسلوبية الحديثة، فكل من علم الأسلوب وعلم البلاغة يفترض ان هناك طرقاً متعددة للتعبير

(1) مفتاح العلوم: 77 .
(2) الإيضاح في علوم البلاغة: 12/1 ؛ التلخيص في علوم البلاغة: 37 .
(3) علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، الدكتور محمد حسين علي الصغير: 23 .

عن المعنى، وان القائل يختار احد هذه الطرق، لأنه في نظره أكثر مناسبة للموقف[1] .

ومقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة ؛ فمقام الإنشاء يباين مقام الخبر، ومقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الأطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي. ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له[2]. وهذا هو الذي يسميه عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بالنظم[3]. يقول عبد القاهر: " والنظم في الكلم إن يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. والتعليق والبناء فيها قائم على ترتب معانيها في النفس كأن تعمد الى اسم فتجعله فاعلاً لفعل او مفعولاً، او تعمد الى اسمين فتجعل احدهما خبراً عن الآخر، او تتبع الاسم اسماً يكون صفةً للأول او تأكيداً او بدلاً او حالاً او تمييزاً، او تتوخى في كلام نفياً او استفهاماً او تمنياً او إن تورد فعلين تجعل احدهما شرطاً في الآخر، وعلى هذا القياس " [4]. ويقول في بيان سبيل النظم: " ليس النظم إلا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت... فيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة ... فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع ذلك الى معاني النحو وأحكامه " [5]. ثم يؤكد هذا في موضع آخر بقوله: " وإذ قد عرفت ان مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه التي من شأنها ان تكون فيه، فاعلم إذن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض " [6].

وهكذا يقرر عبد القاهر ان النظم ينماز من غيره بقدر مراعاة الموضع الذي يقال فيه، وبحسب المعنى الذي يراد منه والغرض الذي يقصد، ولا يتأتى ذلك إلا لمن تهدى الى ضرب من التخير والتدبر، وألهم الحذق وحسن الصنعة.

---

(1) مدخل الى علم الأسلوب، شكري محمد عيّاد: 43 .
(2) الإيضاح: 9/1 .
(3) دلائل الإعجاز: 64 .
(4) نفسه: 44-45 .
(5) نفسه: 64 .
(6) نفسه: 69 .

وما أثبته عبد القاهر في نظرية النظم كان مصدر ما أتى به البلاغيون وأصحاب المعاني من بعده من أمثال السكاكي والقزويني وشراح كتابيهما (المفتاح والتلخيص) لكنهم أطلقوا على العلم بالنظم والسبيل اليه مصطلح علم المعاني، كما بينا في تعريفه.

واستقرت مباحث علم المعاني وموضوعاته عند المتأخرين[1]، كما يأتي:

1- أحوال الإسناد الخبري.
2- أحوال المسند اليه.
3- أحوال المسند.
4- أحوال متعلقات الفعل.
5- القصر.
6- الإنشاء.
7- الوصل والفصل.
8- الإيجاز والأطناب والمساواة.

ومما تجدر الأشارة اليه ان مباحث علم المعاني لا تقتصر مهمتها على تتبع التراكيب ودراسة معانيها المباشرة الظاهرة، بل تعنى أيضاً بدراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن[2]، فقد يخرج الخبر او الإنشاء عن معناه الأصلي الى معنى آخر يقصده المتكلم ويرى ان لا سبيل الى إبلاغه بشكل مؤثر ومقنع إلا عن طريق الإنشاء الطلبي مثلاً، وهو ليس بطلب على الحقيقة.

وفي هذا بيان ما لعلم المعاني من اثر في بلاغة الكلام ورفعة أسلوبه من ناحية، وفي الحكم على جيد الكلام ورديئه من ناحية أخرى[3] . وبذلك يعمل هذا العلم على السمو بالتراكيب، واتساعها للمعاني الجديدة لتواكب حضارة الأمة ورقيها، ولا غرو، فالأسلوب الأدبي الرفيع من مقومات المجتمع المتقدم، ومن هنا جاءت أهمية هذا العلم وقيمته في حياة الفرد والمجتمع.

أسلوب الإنشاء:

جاء في علم المعاني قسيماً لأسلوب الخبر، وجاءت أهميتها من اقتسام الجملة، فهي لا تعدو عن ان تكون إنشائية او خبرية، ولكل منهما معناه وخصائصه، وسنخص الإنشاء بدراستنا ولا سيما الطلبي منه.

---

(1) ينظر، مفتاح العلوم: 79-156 ؛ الإيضاح: 13/1 ؛ الطراز، العلوي: 251/3-323 .
(2) ينظر، دلائل الإعجاز: 206-226 .
(3) علم المعاني، الدكتور عبد العزيز عتيق: 42 .

الإنشاء لغة: الابتداء والابتداع[1]، اما اصطلاحاً فهو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه او لا يطابقه[2]، لذلك لا يجوز ان يوصف قائله بأنه صادق او كاذب[3].

وقال العلوي (ت749هـ) " هو استدعاء أمر غير حاصل ليحصل " [4].

لقد نشأ البحث في الإنشاء كما هو الحال في الخبر، في ظلال دراسة القرآن الكريم، وفي رحاب علم الكلام، فقد قسم العلماء معاني القرآن الى خبر وطلب وإنشاء. فقالوا: " الكلام اما ان يحتمل التصديق والتكذيب أو لا. الأول: الخبر والثاني: ان اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وان لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب " [5].

وبنى المعتزلة رأيهم على أساس إن القرآن أمر ونهي وخبر[6]، وعليه فقد انحصرت المعاني بالخبر والإنشاء لدخول الطلب في الإنشاء، وهو ما اعتمده البلاغيون بعدهم.

الإنشاء في الدراسات النحوية والبلاغية:

كانت الأساليب الإنشائية موضع عناية الباحثين من أهل النحو واللغة، وأول من يطالعنا منهم في هذا المضمار سيبويه (ت180هـ) إذ نقف في كتابه على أشارات تميز بين الأساليب العربية في الكلام.

وكانت مباحث الإنشاء متناثرة في الكتاب بشكل يلفت النظر، تستوعب جزءاً من أساليبه بصورة دقيقة كالاستفهام والنداء والتمني والأمر والنهي[7]. وفي أشاراته في تمييز الاستفهام ومعانيه قوله: " وايما فتىً، استفهام، ألا ترى انك تقوم: سبحان الله من هو وما هو ! فهذا استفهام فيه معنى التعجب. ولو كان خبراً لم يجز ذلك لأنه لا يجوز في الخبر ان تقول من هو وتسكت " [8].

وقد ذهب احد الباحثين الى ان كتاب سيبويه هو الذي أنار الطريق أمام عبد القاهر للاستقلال بنظرية النظم فقال: " فإذا كان عبد القاهر هو الذي ينسب اليه

(1) لسان العرب لابن منظور (نشأ): 165/1 .
(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور احمد مطلوب: 332/1 .
(3) مفتاح العلوم: 79 .
(4) الطراز: 280/3 .
(5) البرهان غي علوم القرآن، الزركشي: 316/2، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: 76/2 .
(6) البلاغة العربية، الدكتور احمد مطلوب: 77 .
(7) ينظر، الكتاب: 98/1، 108، 127، 137، 145، 253، 257، 29، 335، 34؛ 93/3، 100، 187، 189 .
(8) الكتاب: 181/2 .

ابتكار نظرية النظم، لأنه بسطها وفصلها وطبقها على أبواب جمة من البلاغة، فأن سيبويه هو الذي امسك المصباح بكلتا يديه وأنار الطريق أمام عبد القاهر[1] .

ثم تبع الفراء (ت207هـ) والاخفش (ت215هـ) سيبويه في ذلك[2] .

وقسم ابن وهب (ت272هـ) الكلام الى خبر وطلب، وعرفهما في قوله: " والخبر: كل قول أخبرت به مستمعه ما لم يكن عنده، كقولك: (قام زيد) فقد أخبرته العلم بقيامه والطلب كل ما طلبته من غيرك، ومنه الاستفهام والدعاء والتمني، لأن ذلك كله طلب، فانك انما تطلب من الله بدعائك ومسألتك، وتطلب من المنادى الإقبال عليك او إليك، وتطلب من المستفهم منه بذل الفائدة لك " [3] .

اما ابن قتيبة (ت276هـ) فالكلام عنده أربعة: أمر وخبر واستخبار ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر " [4] .

إلا أننا نجد عند المبرد (ت285هـ) تسمية لهذا النوع من الأساليب العربية، فقد قال في حديثه عن الآية الكريمة: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [5]: " الجملة إنشائية معناها الدعاء " [6] .

وبهذا يكون المبرد قد سبق علماء القرن الرابع الهجري في إطلاق مصطلح الإنشاء على الأسلوب الذي يتضمن الأمر والنهي والاستفهام والنداء والدعاء، المقابل لأسلوب الخبر الذي عرفه بقوله: " والخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب " [7] .

وإذا كان المبرد لم ينص على تعريف أسلوب الإنشاء، فان حده لأسلوب الخبر يفيد ضمناً تحديد أسلوب الإنشاء بـ " انه ما لا يحتمل التصديق والتكذيب " [8].

ولا ننسى جهود ثعلب (ت291هـ) في تقسيمه الشعر الى: أمر ونهي وخبر واستخبار[9] . وأشارة ابي هلال العسكري (ت395هـ) في (الصناعتين) الى الخبر والوصف في صورة الاستفهام[1].

---

(1) اثر النحاة في البحث البلاغي، الدكتور عبد القادر حسين، 113-114 نقلاً عن كتاب (سيبويه إمام النحاة) للدكتور علي النجدي ناصف: 178-180 .
(2) ينظر، معاني القرآن، الفراء: 292/2، ومعاني القرآن، الاخفش: 7/1 .
(3) البرهان في وجوه البيان: 13 .
(4) ادب الكاتب: 4 .
(5) النساء / 90 .
(6) المقتضب: 124/4 .
(7) نفسه: 89/3 .
(8) الأساليب الإنشائية في كتاب سيبويه، شامل راضي الزبيدي، رسالة ماجستير: 8 .
(9) قواعد الشعر: 35 .

وعقد اللغوي احمد بن فارس (ت395هـ) في كتابه (الصاحبي) بابا سماه (معاني الكلام) قال فيه: "وهي عند أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمنٍ وتعجب " [2] . وما هذه سوى مباحث الخبر والإنشاء، لم يكتف ابن فارس بتعدادها وانما بين معانيها الحقيقية والمجازية[3] .

ويبقى كتاب (الصاحبي) من أهم المصادر التي اعتمد عليها البلاغيون المتأخرون في بحث علم المعاني[4]، ولا سيما السكاكي في (مفتاح العلوم)، اذ يرى الدكتور احمد مطلوب ان السكاكي يمكن ان يكون قد اطلع على كتاب الصاحبي وأفاد من هذا الفصل فيما كتب في علم المعاني وان لم يشر اليه. ويعلل لرأيه قائلاً: " انه ليس في المتقدمين من بحث هذه الموضوعات بالتفصيل كأبن فارس، وان كتابه كان من الكتب الذائعة المنتشرة في بيئة السكاكي " [5] .

ويستوقفنا حقاً عبد القاهر الجرجاني الذي يعد بحق مؤسس علم المعاني ومشيد أركانه في كتابه (دلائل الإعجاز)، فقد أرسى فيه فكرة النظم، وان النظم ليس شيئاً الا توخي معاني النحو، وهو الذي أوحى بتسمية العلم الذي يعنى بالنظم بعلم المعاني[6].

لقد تحدث عبد القاهر عن موضوعات علم المعاني، بضمنها الخبر والإنشاء، بطريقة لم تدرس قبله، ولم تعالج على هذا النحو، فقد تحاشى الفصل بين النظرية والتطبيق ولم يعتن بالحدود والرسوم والتعريفات، بل كان يؤثر الحديث عن الأصل الفني للمعاني دون الخوض في تعقيد التعريف او جفاف القواعد، ولعله اول من أشار الى تعلق هذه المعاني بعلم النفس وربطها به مما أثبتته الدراسات الحديثة فيما بعد[7] .
وقد أشار الى أهم موضوعات علم المعاني وبين أهمية دراسته بقوله:
" اعلم ان معاني الكلام كلها معان لا تتصور الا فيما بين شيئين، والأصل والأول هو الخبر وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع " [8].

---

(1) صفحة 450 وما بعدها .
(2) الصاحبي: 179 .
(3) نفسه: 179-187 .
(4) البلاغة عند السكاكي، الدكتور احمد مطلوب: 94، 308 ؛ البيان العربي، الدكتور بدوي طبانة: 128، 129، 133 .
(5) البلاغة عند السكاكي: 202 .
(6) عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، الدكتور احمد احمد بدوي: 369 .
(7) علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي: 59-60 .
(8) دلائل الإعجاز: 405 .

وإذا وصلنا الى السكاكي الذي تم على يديه استقرار اغلب المصطلحات البلاغية، واتضحت عنده معالم الدرس البلاغي، نراه قد ذكر الطلب إزاء الخبر[1]. ويبدو انه عني بالطلب الإنشاء الطلبي دون غيره.

وعلق الدكتور احمد مطلوب موضحاً هذه المسألة بقوله: " لم يبحث السكاكي إلا النوع الأول – يعني الإنشاء الطلبي – ولذلك أطلق على موضوعاته مصطلح الطلب، اما النوع الثاني – ويعني الإنشاء غير الطلبي – فلم يشر اليه، ولعله كان يرى ان هذا النوع من الإنشاء ليس الا خبراً نقل الى أسلوب الإنشاء فأهمل ذكره "[2].

وقسم السكاكي الطلب الى خمسة أبواب، كالآتي: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء، ثم أشار الى استعمال الخبر في موضع الطلب[3].

ويلفت نظرنا اتجاه اخر يحدد مصطلح الإنشاء، هو اتجاه المناطقة ومنهم الرضي الاستراباذي (ت688هـ) في شرحه (كافية ابن الحاجب)، اذ يشير الى ان هناك نوعين من المعنى، احدهما: يكون في الألفاظ نفسها ولا وجود له في الواقع، والثاني: يوجد أصلاً في الواقع وتأتي الألفاظ لتعبر عنه فتطابقه او تخالفه، فان طابقته كان الأسلوب صادقاً، وان خالفته كان كاذباً، وهو في كلتا الحالتين خبر. اما الأسلوب الأول فهو الإنشاء[4].

وهذا يعني ان تعريف المناطقة أولى زمن التكلم أهمية في التمييز بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الخبر[5] . فالجملة الإنشائية لا تعنى بالزمن لخلوها من الحدث الموجود خارج ألفاظها.

ويلقانا مصطلح (الإنشاء) بنوعيه صريحاً عند الخطيب القزويني قسيماً للخبر، حيث قال مضيئاً أبعاد هذا الموضوع بالشرح الوافي، كما فعل في موضوعات البلاغة التي تناولها بالدرس في كتابيه (التلخيص والإيضاح): " ان الكلام اما خبر او إنشاء، لأنه إما ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه، او لا يكون لها خارج. الأول الخبر والثاني الإنشاء. والإنشاء ضربان: طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر، وأنواعه كثيرة ؛ منها التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، العرض، النداء، الخبر قد يقع موقع الإنشاء "[6].

---

(1) مفتاح العلوم: 145 .
(2) البلاغة عند السكاكي: 301 .
(3) مفتاح العلوم: 133-138 .
(4) شرح الكافية: 311/2 .
(5) الأساليب الانشائية في كتاب سيبويه: 9 .
(6) التلخيص: 151-174 ؛ الإيضاح: 13/1، 130/1-147 .

وفي تعبير القزويني المذكور " وهو المقصود بالنظر " أشارة الى ان عناية البلاغيين تتوجه نحو دراسة الإنشاء الطلبي دون الضرب الثاني وذلك لما يتضمنه من معانٍ بلاغية مثيرة ودلالات خفية يوحي بها سياق الطلب تحقق غاية المنشئ.

كما انه أضاف الى ما ذكره السكاكي من أنواع الطلب أسلوب العرض، فيصبح عدد أساليب الطلب لديه سبعة.

والعلوي (ت749هـ) يبحث الطلب مقترناً بالخبر ليوازن بينهما، ويميز احدهما من الآخر، ثم يقسم الطلب الى ايجابي وسلبي، وجملة الأمور الطلبية عنده سبعة اضرب، فهو يضيف الى ما ذكره القزويني (الدعاء) وينقص منه الخبر الواقع موقع الإنشاء[1]. ولم يخرج البلاغيون المتأخرون عما اقره السكاكي والقزويني في تقسيمهما للخبر والإنشاء.

وقد أشار عدد من الباحثين المعاصرين الى أسلوب الإنشاء، فهذا مثلاً الدكتور احمد عبد الستار الجواري يرى ان " الإنشاء هو تعبير يصح ان يوصف بأنه تعبير ذاتي، أي انه ينشأ من ذات المتكلم، وانه هو الذي ينشئه، فلا يستطيع المتلقي ان يصل اليه إلا إذا أنشأه المتكلم لينقله اليه، وهكذا تصدق التسمية في الإنشاء أكثر من صدقها في تعريف البلاغيين إياه " [2].

ويطلق باحثون آخرون على الأسلوب الإنشائي " الأسلوب الافصاحي التأثري الانفعالي effective language [3] ويدخلونه ضمن (لغة الإرادة)، اما الأسلوب الخبري فيدخلونه ضمن (لغة العقل والمنطق) [4].

بعد هذا الاستقراء في الوقوف على مفهوم الإنشاء وتأصيل مصطلحه، يمكننا القول ان بداية دراسته كانت في بطون كتب النحو واللغة، ثم تلقفه البلاغيون بعد ذلك ضمن موضوعات علم المعاني، ومن هنا تأتي الدعوة الملحة في الوقت الحاضر الى العودة بالإنشاء الى موطنه الأصلي (النحو) باعتبار نشأته الأولى، وباعتبار قربه من النحو موضوعاً ومنهجاً[5].

وقد غاب عنهم ان علم المعاني يمتلك صفة تميزه من النحو، وهي التي سوغت له الانسلاخ عن النحو، تلك هي عنايته الخاصة بالمعاني الثواني لأساليب الكلام

---

(1) الطراز: 281/3 .
(2) نحو المعاني: 113 .
(3) اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان: 88 .
(4) المدخل الى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية، عبد المجيد عابدين: 59 .
(5) ينظر: فلسفة البلاغة، الدكتور رجاء عيد: 120، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي: 117، اللغة العربية معناها ومبناها: 18، في النحو العربي، نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي: 226، نحو القرآن، الدكتور احمد عبد الستار الجواري: 101، نحو المعاني: 7 .

ومنها أسلوب الإنشاء الطلبي، فهو كثير الاعتبارات تتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير، في حين ان النحو يعنى بالمعاني الأول الظاهرة للأساليب ويقيم الإعراب إفصاحاً عنها وكما يقول احد الباحثين: " فإذا كان النحوي يهتم بما يفيد أصل المعنى، فإن البلاغي يبدأ منطقة حركته فيما يلي هذه الإفادة من عناصر جمالية " [1].

وعلى أية حال سواء بقي الإنشاء موضوعاً بلاغياً ام عاد الى أحضان النحو، فإن له أهمية خاصة في الدراسة البلاغية، وبخاصة معانيه التي توحي الى المتلقي بشتى الدلالات المؤثرة المستفادة من السياق.

أما إذا كان الإنشاء من نوع غير الطلبي، بمعنى انه لا يستلزم مطلوباً غير حاصل ولا يحمل دلالة إيحائية خاصة، فان البلاغيين لم يعنوا به، ويمكن ان يكتفى بالدراسات النحوية في فهمه، وصيغه هي: القسم، والمدح والذم، والتعجب،والرجاء، وصيغ العقود.

ويرى السكاكي والسيوطي (ت911هـ) وغيرهم من الباحثين إن هذه الصيغ اخبار في الأصل نقلت الى معنى الإنشاء[2] .

ويعقب الدكتور احمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير على ذلك بقولهما: " وهذه أساليب خبر، لكنها لا يراد بها الاخبار لأنها لا تحتمل الصدق والكذب، ولذلك لم توضع مع الخبر " [3] .

اما أساليب الإنشاء الطلبي المتفق عليها من القدامى والمعاصرين والتي تستلزم مطلوباً غير حاصل وقت الطلب فهي: الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، ولكل من هذه الأساليب صيغته ومعناه الذي وضع له في أصل اللغة، وفي عرف المتخاطبين به.

المعاني الثانية في الأسلوب الطلبي:

وقد تخرج هذه الأساليب عن معانيها الأصلية الى معان ودلالات أخرى سماها عبد القاهر الجرجاني المعاني الثواني، او دلالة المعنى على المعنى وجعل من شرط البلاغة إن يكون المعنى الأول الدال على المعنى الثاني متمكناً في دلالته مستقلاً بوساطته[4].

---

(1) نظرية اللغة في النقد العربي، الدكتور عبد الحكيم راضي: 206-207 .

(2) مفتاح العلوم، 145 ؛ عقود الجمان في المعاني والبيان، السيوطي: 170/1، وينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 75، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين: 80، علم المعاني، الدكتور قصي سالم علوان: 88 .

(3) البلاغة والتطبيق: 123، وأساليب بلاغية، الدكتور احمد مطلوب: 110 .

(4) دلائل الإعجاز: 203 .

ان مصطلح المعاني الثواني الذي أطلقه عبد القاهر، يعد مرحلة متطورة في مفهوم المعنى، لأنه المعنى الإيحائي[1] لذي يولده انفعال الأديب او القارئ، فإذا ما وقف المرء أمام نص معين واستشعر في نفسه اللذة والإمتاع " فان تلك اللذة وهذا الإمتاع لا يكونان لما تحمله الألفاظ من معان أول تظهر من النص لأول وهلة، وإنما لما وراء ذلك من معان ثانية هي التي تسعد النفس، وتجذب إليها الطباع " [2].

ويشير حازم القرطاجني الى هذه المعاني بقوله: " فهذه وأشباهها من المعاني التي تدل على مقاصد المتكلم واعتقاداته وأحكامه في التصورات والتصديقات والمتعلقات بغرضه معان ثوان ينوطها بمعاني كلامه " [3].

ويطلق الكفوي على المعاني الثانية في الأسلوب الطلبي المعاني المجازية بقوله:

" ان المتولدات من أبواب الطلب ليست من جنس الخواص بل هي معان جزئية والخواص وراءها، وذلك ان الاستفهام يتولد منه الاستبطاء، وهو معنى مجازي له ويلزمه الطلب، وهو خاصة يقصدها في مقام يقتضيه " [4].

ان هذه المعاني الثانية يستدل عليها بوساطة السياق او القرينة كما يطلق عليها البلاغيون[5]. وهذه القرينة تمارس دوراً قسرياً في تفهم العلاقات المعنوية بين الكلمات التي يحس بها المتلقي كانفعالات وجدانية. اذ انه ليس من المطلوب منا " ان نستدعي الى أذهاننا صور الأشياء التي يعبر عنها البليغ وانما نمارس فحسب طائفة من الأفكار والمشاعر المصاحبة لها " [6].

فالمعنى لا ينكشف الا من خلال تسبيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة[7].

وليس هناك تضارب بين المعنيين في نظم الكلام، بل هما متصلان وثيقا الصلة، لأن المعنى الأول طريق للمعنى الثاني، ووسيلة اليه، " فالنظم متى كان صورة من صور البيان، معبراً عن خلجة نفس، وهاجس ضمير، تحرك فيه المعنى الذي يفهم من ظاهر الكلام، واكتسب صفة جديدة ملونة، وكان منطلقاً لإيحاءات

(1) وهو بذلك يتفق مع النظرية الإيحائية التي نادى بها حديثا البنيويون والاسلوبيون . ينظر: مظاهر التفكير في الأسلوب عند العرب، محمد الهادي الطرابلسي، كراس سلسلة الدراسات الأدبية 2، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1990، ص 295 .

(2) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية، الدكتور عبد الفتاح لاشين: 92 .

(3) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 14 .

(4) الكليات: 2/291-292 .

(5) ينظر، مفتاح العلوم: 146 ؛ الإيضاح: 28/1 ؛ الطراز: 92/1 .

(6) الصورة الأدبية، الدكتور مصطفى ناصف: 139 .

(7) علم الدلالة، الدكتور احمد مختار عمر: 68 .

وتأملات، يساعد في إبرازها والكشف عنها ما في النظم من أحكام وإجادة وتفنن في وجوه البلاغة " [1].

وعلى هذا فإن لأساليب الطلب معاني أخرى حسب ما تثيره أدوات هذا الأسلوب او صيغه من قيم بلاغية، تبرز خلال تحليلنا للسياقات والمواقف التي ترد فيها.

وسنقف على نماذج رائعة من هذه المعاني الثانية التي انتظمت في الحديث الشريف وكانت من طرقه في النظم.

(1) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، الدكتور فتحي احمد عامر: 141 .

الفصل الأول

خطاب الأمر في الحديث الشريف

الفصل الأول

خطاب الأمر في الحديث الشريف

يعد أسلوب الأمر من أهم أساليب الإنشاء الطلبي لكثرة وروده في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب، إذ إن صيغة الأمر وتحديد دلالتها شغلت الدارسين في كثير من المجالات ولاسيما الفقهاء والأصوليون فضلاً عن أهل العربية لاتصال الصيغة بالوجوب والندب وما إلى ذلك من أحكام فقهية توجب الحذر في الدراسة والاستنتاج.

والأمر من اشد الأساليب الإنشائية تأثيراً في المتلقي لما له من قوة في حسم الموقف والتشدد في الطلب مما يؤدي إلى الاستجابة السريعة من لدن المتلقي.

الأمر في اللغة والاصطلاح

الأمر: نقيض النهي[1]، كقولك: أفعل كذا[2]. وحدّه السيد الجرجاني بقوله: " هو قول القائل لمن دونه أفعل " [3].

ويقول ابن فارس في تعريف الأمر وبيان لفظه: الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصياً[4]، نحو (وأقيموا الصلاة) [5].

أما البلاغيون فقد عرفوا الأمر بأنه: " طلب حصول الفعل بصيغة مخصوصة مع علو الرتبة والوجوب " [6].

ويعرف السكاكي الأمر بقوله: " والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها – يعني صيغة الأمر – نحو (لينزل) و (أنزل) و (نزال) و (صه) على سبيل الاستعلاء " [7][1].

---

(1) لسان العرب (أمر): 86/5 ؛ القاموس المحيط للفيروز آبادي (أمر): 379/1 .
(2) معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس (أمر): 137/1 .
(3) التعريفات: 20 .
(4) الصحابي: 184 .
(5) البقرة: 43 .
(6) مفتاح العلوم: 152 ؛ الإيضاح: 143/1 ؛ الطراز: 281/3-282 .
(7) المراد بالاستعلاء أن يعد الأمر نفسه أعلى من المخاطب وأرفع منه شأناً سواء أكان أعلى منه في الواقع أم لا، ولهذا ينسب إلى سوء الأدب إن لم يكن أعلى حقيقة ويوصف قائلها (صيغة

ويرى القزويني أيضاً إن الأظهر في صيغة الأمر انها موضوعة لطلب الفعل استعلاءً ليبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ماعدا ذلك على القرينة[2].

والملاحظ في التعريفين المذكورين وفي تعريفات أخرى لأهل البلاغة تأكيد الاستعلاء، وان الاستعلاء في رأيهم هو الذي يجعل الوجوب حقيقة في معنى الأمر، لأن المتبادر إلى الذهن لدى سماع صيغة الأمر هو الاستعلاء، وصدور الأمر ممن هو عال إلى من هو أقل منه يقتضي الوجوب[3].

بينما يشير ابن جني إلى ان معنى الأمر في أصل وضعه في اللغة هو الوجوب[4].

ويعلل احمد بن فارس ذلك بان العرب جرت العادة عندهم إذا أمر السيد عبده بأمر فخالفه، وصفوا ذلك العبد بالعصيان، ولولا ان الأمر للوجوب لما أطلقوا عليه هذا الوصف[5]. ولذلك قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [6]، ثم هدد على عدم الامتثال بقوله ((فإن تَوَلَّوا فإنّما عليهِ ما حُمِّلَ وعليكُم ما حُمِّلْتُم)) [7]، فقد دل هذا التهديد على ان الأمر للوجوب وإلا لم يكن عقاب[8].

وبناء على هذا يضيف بعض الباحثين إلى تعريف الأمر (مع الإلزام) [9].

وذكر السيوطي ان صيغة الأمر حقيقية في الوجوب، وان استعمالها لمعان أخرى انما هو من المجاز فقال: " الأمر: هو طلب فعل من غير كف، وصيغته (افعل) و (لتفعل) وهي حقيقة في الإيجاب، وترد مجازا لمعان أخرى منها الندب والإباحة....

والقيد الذي وضعه الأصوليون – قيد الاستعلاء – سببه ان مدار نقاشهم قائم على بيان الأوامر الإلهية التي هي مصدر الأحكام.

الأمر) بالجهل والحمق . الأحكام في أصول الأحكام، الامدي: 130/2 ؛ وشروح التلخيص 320/2 .

(1) مفتاح العلوم: 152 .
(2) الإيضاح: 143/1 .
(3) مختصر المعاني، التفتازاني: 96 ؛ المصباح في المعاني والبيان والبديع، ابن الناظم: 45 ؛ عقود الجمان، السيوطي: 60 .
(4) الخصائص: 442/2 .
(5) الصاحبي: 187 .
(6) و(6) النور / 54 .
(1) الأحكام: الامدي، 138/2 .
(2) البلاغة الاصطلاحية، عبدة عبد العزيز قلقيلة: 153 ؛ علم المعاني، درويش الجندي: 36 ؛ علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 81 .
(3) الإتقان: 81/2 ؛ وينظر، معترك الأقران: 441/1 .

كما ان الخلاف عند الدارسين حول الأمر، أهو إجابة على الفور، أم فيه تراخ؟ قيل: فيه الوجوب على الفور، وقيل: فيه التراخي، والتراخي يوقف على قرائن الأحوال[1] .

ومن المفيد ان نذكر ان الأصوليين ركزوا بحوثهم حول الأمر والنهي وتناولوهما من حيث الوجوب وعدمه، او الندب وعدمه، او التحريم وعدمه، في سبيل إثبات قضايا شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ بهما تثبت الأحكام، وبهما يتميز الحلال من الحرام، فالأمر والنهي هما صلب التشريع.

(1) ينظر، مفتاح العلوم: 153 ؛ الإيضاح: 145/1 ؛ التبصرة في أصول الفقه، أبو اسحق إبراهيم الفيروز آبادي: 55 .

صيغ الأمر في الحديث الشريف ودلالاتها

1- الأمر بصيغة (افعل):

وهي صيغة تعارفت العرب على استعمالها في أمر المخاطب حيث يلقي المتكلم فيها بمادة الفعل اليه، يأمره بإيقاع الفعل، لما في هذه الصيغة من قوة في حسم الموقف، والأمر في اغلب حاله يستدعي حالة من البت والتشدد في الطلب[1].

ان اغلب الأحاديث الطلبية الواردة بأسلوب الأمر في صحيح البخاري وردت بهذه الصيغة، ومن ذلك قوله ﷺ:

" كنْ في الدنيا كأنكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ " [2]

" واستوصوا بالنساءِ خيراً " [3]

وهذه الصيغة تتكرر كثيراً في الأحاديث ولا يتسع البحث لحصرها[4].

2- الأمر بصيغة (ليفعل):

وهي صيغة يؤمر بها الغائب تقابل صيغة (أفعل) في أمر المخاطب، وقد وردت أحاديث كثيرة تحمل هذا النوع من أسلوب الأمر، إلا انها اقل من النوع الأول. وفي الغالب ان الأوامر التي وردت بهذه الصيغة كانت أحكاماً شرعية لقضايا حياتية او آخروية لا تخص المسلمين في عصر الرسالة حسب، وانما إلى قيام الساعة، لاتصال الفعل المضارع بلام الأمر التي تنقله من الحال إلى الاستقبال[5].

وهذه الأحكام تفيد الاعمام والشمول لوقوع اغلبها ضمن سياقات شرطية، والمضامين الشرطية تكون كالقوانين التي لا ترتبط بوقت محدد[6]. فتكون دلالتها على الزمان مطلقة.

من ذلك قوله ﷺ:

" إذا دَخلَ أحدُكمُ المسجدَ فلْيَرْ ْكَعْ ركعَتَين قبلَ أن يَجلِسَ " [7].

" من كان حالِفاً فلْيحلِفْ باللهِ او لِيَصْمُت " [8].

---

(1) أحياء النحو، إبراهيم مصطفى: 86، 107 .

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: 280/11 .

(3) نفسه 314/9 .

(4) ينظر على سبيل المثال في فتح الباري: 560/1، 564 ؛ 559/2، 620 ؛ 161/3، 502، 529 ؛ 72/4 ؛ 291/5، 485 ؛ 398/7، 612 ؛ 77/12، 144 .

(5) شرح المفصل، ابن يعيش: 41/7 .

(6) الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو اوس إبراهيم الشمسان: 211-214 .

(7) فتح الباري: 707/1 .

(8) نفسه: 360/5 .

وقد وردت صيغة المضارع المتصل بلام الأمر للمتكلم مرة واحدة في الصحيح[1] في قوله ﷺ لأصحابه "
" قوموا فلأُصلِّ لكم " [2] وهي صيغة فصيحة قليلة الاستعمال[3][4] .

3- الأمر بصيغة (أسماء الأفعال):

لقد وردت أحاديث عديدة تحمل هذا النوع من الألفاظ التي أطلق عليها احد الباحثين اسم (الخوالف) وعرفها بأنها " كلمات تستعمل في أساليب افصاحية، أي في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي والإفصاح عنه " [5] إذ إن لها طبيعة الإفصاح الذاتي عما تجيش به النفس.

ومن هذا النوع وردت الألفاظ الآتية في الحديث الشريف:

عليك، هلم، حيهلا، مه، مكانك، رويدك، دونك، أيهٍ.

والغرض من الاتيان بهذه الألفاظ في سياقات الأحاديث الشريفة قد يكون المبالغة في المعنى، وتأكيده، او الإيجاز والاختصار في الكلام[6] فهي تؤدي الغرض الغرض المطلوب في اقصر لفظ وأسرع دلالة[7]. من ذلك قوله ﷺ:

" عليكم بالسَّكينةِ، فإنّ البِرّ ليسَ بالأيضاع[8] " [9].

فالرسول الكريم ﷺ استعمل اسم الفعل (عليكم) صيغة أمر وإلزام لما فيها من القوة والحث وإفادة الإيجاز والعناية بالمعنى المراد، وهو الالتزام بالتأني والتروي[10].

---

(1) نفسه: 644/1 .
(2) يحتمل ان يكون أمراً لهم بالائتمام لكنه أضافه إلى نفسه لارتباط فعلهم بفعله ويحتمل ان يكون يكون الأمر قد خرج لمعنى اخر وهو الخبر . ينظر، فتح الباري: 646/1 .
(3) شرح الكافية، الرضي: 252/2 ؛ مغني اللبيب، ابن هشام: 224/1 ؛ همع الهوامع، السيوطي: 55/2 ؛ الاتقان: 171/1 .
(4) وقد وردت هذه الصيغة مرة واحدة أيضاً في القرآن الكريم في قراءة من قرأ ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ (ولْنحمل خطاياكم) (سورة العنكبوت / الآية 12) . دراسات لأسلوب القرآن الكريم محمد عبد الخالق عظيمة: القسم الأول، الجزء الثاني: 507 .
(5) اللغة العربية معناها ومناها: 113، 116 .
(6) شرح المفصل: 25/4 ؛ الأصول في النحو، ابن السراج: 138/2 ؛ شرح الكافية: 68/2 ؛ الخصائص ابن جني: 46/3-47 ؛ المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني: 569/1- 570 .
(7) في النحو العربي، نقد وتوجيه: 204 .
في النحو العربي، قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي: 142 .
(8) الأيضاع: العَدو . اللسان (وضع): 279/10 .
(9) فتح الباري: 665/3 .
(10) وكررت اللفظة نفسها في فتح الباري 236/6، 887/8، 182/10 .

وكقوله ﷺ أيضاً:
" فَهلُمَّ فصلُّوا عليه " [1].

وقد وردت مرة واحدة متصلة بضمير الغائب في قوله ﷺ " فعليه بالصوم فانه له وجاء " .
فتح الباري: 149/4 .

(1) فتح الباري: 240/3 .

و " هلُمّوا إلى حاجَتِكم " [1] .
حيث وردت (هلّم وهلّموا) للأمر بالحث والاعجال وتوكيد المعنى[2].
ووردت (حيّ) في قولهﷺ:
" فحيَّ هلابكم " [3] و " حيّ على أهل الوضوءِ، البركة من الله " [4] .
وهي صوت أمري يفيد الاستحثاث والاستعجال والاستسراع[5] إلا إن في (حيّ هلا) مبالغة في إفادة هذا المعنى لانها قد جمعت بين اسمين من أسماء الأفعال وهما (حيّ) و(هلا) ومعناهما الحث والاستعجال[6] .
ومن أسماء الأفعال الواردة في الحديث النبوي (مه) وهو صوت يستعمل في الزجر والمنع عن الشيء[7]، وهو أمر بالإسكات والتوقف عن هذا الكلام او هذا الفعل.
قال احمد بن فارس: " مه زجر وإسكات وأمر بالتوقف عما يريده المريد، كأن قائلاً يريد الكلام بشيء او فاعلاً يريد فعلاً فيقال لهما (مه) أي قف ولا تفعل " [8].
من ذلك قوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها):
" مهْ، إنكُنَّ لأنتُنَّ صَواحِبُ يوسفَ " [9].
وقوله: " مهْ، عليكُم بما تُطيقون " [10] .
ومنها أيضاً (مكانك) كقوله ﷺ لأبي ذر: " مكانَكَ " [11] أي اثبت و (رويدك) كقوله ﷺ لأنجشة: " رُوَيدَك بالقَوارير " [12] أي أمهلهن.
و(دونك) بمعنى خذ وتفيد الإغراء بالشيء كقوله ﷺ:
" دونَكم يا بني أرْفِدةَ " [13] أي ألزموا ما انتم فيه وعليكم به.

---

(1) نفسه: 249/11 . وتتكرر اللفظة نفسها في، فتح الباري: 374/6 ؛ 658/9؛ 155/10؛ 568/11.
(2) الخصائص: 278/1 ؛ خزانة الأدب، البغدادي: 259/6 .
(3) فتح الباري: 503/7 .
(4) نفسه: 125/10 .
(5) خزانة الأدب: 372/3 ؛ 258/6 .
(6) شرح المفصل: 45/4، 47 .
(7) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر: 82/81 .
(8) الصحابي: 174 .
(9) فتح الباري: 209/2 . في الحديث إشارة إلى امرأة عزيز مصر والنسوة اللاتي قطعن أيديهن عندما طلع يوسف (عليه السلام) عليهن كما تخبرنا بذلك سورة يوسف في القرآن الكريم .
(10) فتح الباري: 136/1 .
(11) فتح الباري: 70/5 . ووردت أيضاً في فتح الباري: 154/2 ؛ 632/9 ؛ 143/11 .
(12) نفسه: 675/10 .
(13) نفسه: 559/2 .

ووردت هذه الألفاظ لظروف تقتضي الإيجاز وحصول الفراغ من الكلام بسرعة ليبادر المأمور إلى الامتثال[1].

ومن هذه المجموعة أيضاً (أيهٍ) وتستعمل للحث والإغراء بالفعل[2] وقد وردت وردت مرة واحدة في الصحيح في حديثه ﷺ مع عمر بن الخطاب ﷺ عندما دخل عليه وعنده نسوة عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب 00 فقال لهن: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: انك أفظ وأغلظ من رسول الله. قال رسول الله: " إيهٍ يا أبنَ الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطانُ سالكاً فَجَاً ألاّ سَلَكَ فَجّاً غيرَ فَجّكَ " [3].

فكأنه ﷺ قال: " هات حديثاً ما "، ويراد به " الاستزادة والاستنطاق " [4] فكأن قوله ﷺ (أيه) استزادة منه في طلب توقيره واحترامه، لذلك أعقبه بالقسم " والذي نفسي بيده " – الذي يعد من أقوى المؤكدات – في ان الشيطان لا سبيل له عليه، وقد ورد هذا الخبر بصيغة الاستثناء الذي يعد أيضاً ضرباً من ضروب التأكيد للمعاني[5]، للمعاني[5]، وطريقاً من طرق الإيجاز في التعبير لتمكين الكلام وتقريره في الذهن[6]. الذهن[6].

وهذا يشعر بأنه ﷺ رضي مقالة عمر ﷺ وحمد أفعاله.

وقد وردت (أيه) في رواية أخرى بالنصب (أيهاً) [7] وذكر ابن الأثير ان (أيهاً) (أيهاً) أمر بالسكوت[8] وهي زجر ونهي عن شيء منكور[9].

4- الأمر بصيغة المصدر:

وهذه الصيغة اقل الصيغ استعمالاً في الحديث الشريف، من ذلك قوله ﷺ:

" مَثَلي ومَثَلُ ما بعثني الله كمثل رجلٍ أتى قوماً فقال: رأيتُ الجيشَ بعيني، وإني أنا النذيرُ العُريان[10] فالنَّجاءَ النَّجاءَ .... " [1].

---

(1) شرح الكافية: 68/2 .
(2) الأصول في النحو، ابن السراج: 134/2 .
(3) فتح الباري: 10/ 616 .
(4) تهذيب اللغة، الأزهري: 482/6 ؛ شرح المفصل: 32/4 .
(5) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد: 123 .
(6) المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين: 268 .
(7) فتح الباري: 51/7 .
(8) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: 87/1 .
(9) الأصول في النحو: 134/2 .
(10) العُريان: من التعري . قيل: ان رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه، فانفلت إلى قومه فرأوه عرياناً فتحققوا صدقه، لأنه ليس من عادته التعري فقطعوا بصدقه لهذه القرائن . ينظر، النهاية: 225/3 ؛ فتح الباري: 384/11 . فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لما

لقد استعمل المصدر (النجاء) قصد تأكيد الأمر والمبالغة فيه، ولا سيما عند تكرار اللفظ، كما ان فيه نوعاً من الاختصار[2] فكأنه لضيق الوقت وللتعجيل بالهروب قبل وصول الجيش استعمل المصدر بدل الفعل، والمصدر لا يخلو من معنى الإغراء بإيقاع الفعل[3].

وقد وردت صيغة المصدر النائب عن الفعل في سياق صورة فنية اتخذت التشبيه وسيلة في التعبير لما فيه من خاصية أسلوبية في إبراز المعنى وتقريبه وتقريره في أذهان المخاطبين، من اجل حث القوم على الدخول في الإسلام عن طريق استثارة العقل والخيال لما في التشبيه من " قوة في التعبير والتصوير، والقدرة على التوصيل واستثارة الخيال " [4].

وبهذه الصيغة جاء قوله ﷺ:

" سُحقاً سُحقاً لمن غيَّرَ بعدي " [5]

وقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها):

" مهلاً يا عائشة، عليكِ بالرّفق وإياكِ والعنفَ والفُحش " [6][7] .

معاني الأمر في الحديث الشريف:

قد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي الذي وضعت له وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال لا من صيغة الأمر بحد ذاتها، وهو ما يطلق عليه الأمر المجازي.

والفرق بين الأمرين كما يشير احد الباحثين إن الأمر الحقيقي يطلب الفعل غير الحاصل وقت الطلب، اما الأمر المجازي فهو يعبر عن الحاصل قبل الطلب والعبرة بالسياق[8] . ويذكر الباحث إن دائرة الأمر في الأمر الحقيقي الذي يُلزِم مأموراً بتنفيذ

أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه .

(1) فتح الباري: 383/11 .

(2) الكشاف، الزمخشري: 530/3 ؛ الجامع الكبير، ابن الأثير: 128 ؛ المثل السائر، ابن الأثير: 337/2-338 .

(3) الصاحبي: 237 .

(4) المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، د. خليل عودة، مجلة النجاح للأبحاث، المجلد الثاني، العدد الثامن، 194، ص 102 .

(5) فتح الباري: 567/11 .

(6) نفسه: 555/10 .

(7) لمزيد من الأمثلة في الصيغة نفسها ينظر، فتح الباري: 513/1، 545 ؛ 686/6 ؛ 429/9 ؛ 355/11 .

(8) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان: 152 .

أمر لم يكن حاصلاً من قبل، تتسع في الأمر المجازي إلى دائرة تضم الأمر والمأمور، وموضوع الأمر، وطريقة إلقاء الأمر، ولا تسأل عن تنفيذ فهو أمر لا أمر فيه[1].

والمعاني الثواني التي ذكرها البلاغيون والأصوليون كثيرة، وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من ثلاثين معنى[2].

وقد وصف الغزالي إلى هذه الكثرة في المعاني بقوله: " إن هذه الأوجه عدّها الأصوليون، شغفاً منهم بالتكثير، وبعضها كالمتداخل " [3].

وقد استخلص البلاغيون وغيرهم هذه المعاني من مقتضى الحال التي يكون عليها المتكلم، او المخاطب ومن خلال مقاصد الأمر وأغراض المأمور، وتصوير الموقف، لا من خلال صيغة الأمر بحد ذاتها، أي من خلال فهمهم للسياق، وإيمانهم بأن لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً[4]، وإن لكل مقام مقالاً[5]' وهم بذلك يعدّون " متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال بوصفهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعد الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[6].

(1) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان: 152 .
(2) ينظر، تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة: 68/1، 207، 216 ؛ 4/2، 100 ؛ والصاحبي: 184-187 ؛ مفتاح العلوم: 152 ؛ الإيضاح: 143/1 ؛ شروح التلخيص: 313/2-321 ؛ الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان: 291 ؛ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني: 97 .
(3) المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي: 419/1 .
(4) دلائل الإعجاز: 69 ؛ مفتاح العلوم: 80 ؛ الإيضاح: 9/1 .
(5) كتاب الصناعتين: 153 ؛ دلائل الإعجاز: 69، مفتاح العلوم: 78 .
(6) اللغة العربية معناها ومبناها: 337 .

المعنى الأول (الحقيقي):

ومن اجل ان نتلمس البلاغة في أعلى مستوياتها في كلام أفصح من نطق بالضاد متمثلة في أسلوب يعد من أهم أساليب الإنشاء الطلبي لكثرة وروده في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب، لابد ان نتوقف عند المعنى الحقيقي لأسلوب الأمر، او المعنى الأول الذي يفهم من ظاهر صيغه ألا وهو دلالته على الوجوب والإلزام لنستطيع بعد ذلك أن نتلمس المعاني الأخرى، التي لا يراد بها تلك الدلالة. وانما يتحدد معنى صيغه المستخدمة على وفق بنية الجملة ومناسبة المقام، فتخرج بذلك إلى المعنى الثاني الذي تومئ اليه تلك الصيغة مندرجة في تركيب او نظم، والتي يجد قارئ الحديث الشريف نفسه مشدوداً اليها لا إلى المعاني القريبة الظاهرة التي تحملها الكلمات بحكم وضعها اللغوي.

وفيما يأتي نماذج من الأحاديث الشريفة التي تحمل معنى الالزام والوجوب:

قال ﷺ:

" اجتنِبوا السبعَ الموبقات[1] " [2].

" من بدَّلَ دينه فاقتُلوه " [3] .

وقال ﷺ لوفد عبد القيس لما سألوه ان يأمرهم بأمر فصْل يدخلهم الجنة ويبلغون به من وراءهم:

" أقيموا الصلاةَ، وآتوا الزكاةَ، وصوموا رمضان، وأعطوا خُمسَ ما غنِمتم..."[4]، ثم قال:

---

(1) الموبقات: المهلكات . الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: 38/2 ؛ النهاية: 146/5 .

(2) فتح الباري: 222/12 .

(3) نفسه: 331/12 .

(4) نفسه: 688/10 .

" أحفَظوهنَ وأخبِروا بهنَ منْ وَراءَكم " [1].

فالفعل (اجتنبوا) في الحديث الأول أمر حقيقي يراد به الإلزام والوجوب، أي اجتنبوا المهلكات لأنها سبب لأهلاك مرتكبها.

وقد فهم الصحابة (رضوان الله عليهم) ان هذا الأمر على الوجوب، فبادروا إلى سؤاله: يا رسول الله وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " [2] فمن لم يلتزم بأحد هذه الأمور يعد فاعله آثماً يستحق العقاب.

والفعل (اقتلوه) في الحديث الثاني يفيد المعنى نفسه أيضاً، وهذا الحكم الإلزامي يشمل كل مرتد ؛ لأن (من) الشرطية تدل على الإبهام والعموم.

أما الأوامر (أقيموا وآتوا وصوموا وأعطوا) التي تلقاها القوم في الحديث الثالث، فلا سبيل لهم فيها إلا الامتثال، فهم ملزمون بتنفيذها على سبيل الوجوب.

وبعد أن تلقى القوم ما تلقوا من هذه الأوامر والتوجيهات النبوية ووعوا ما سمعوا حرص رسول اللهﷺ، على ان تكون لتلك التوجيهات مكانتها في نفوس القوم وعقولهم ولذلك أمرهم بقوله: " أحفَظوهن وأخبِروا بهن مَنْ ورَاءَكم "

وفي صيغتي فعل الأمر (أحفظوا وأخبروا) دلالة على الإلزام لأن حملها على غير هذه الدلالة تقضي إلى معنى تخيير القوم بين ان يحفظوا تلك الوصايا او ان لا يحفظوها، وان يخبروا بهنّ من وراءهم او ان لا يخبروا، وهذا ما لا يقصده النبي الكريم، لأن الأفعال المأمور بها فرائض أوجبها الدين الإسلامي الحنيف.

والأفعال الأمرية التي تدل على الوجوب والإلزام كثيرة في الحديث الشريف[3].

المعاني الثاني (البلاغية):

لقد ورد أسلوب الأمر في حديث الرسول ﷺ بمعان ودلالات أخرى غير الوجوب والإلزام، وبما ان غايتنا هي دراسة معاني الأمر ودلالاته، فليس لنا من

---

(1) نفسه: 172/1 .

(2) نفسه: 222/12 .

(3) ينظر، فتح الباري: 642/1، 679، 681، 706، 731 ؛ 99/2 ؛ 263/3، 272، 535، 687، 502، 539؛ 402/4، 432، 532، 619، 72، 176، 285، 291، 110/5، 90، 93، 95، 153، 380؛ 219/6، 721، 728، 785، 207؛ 443/7، 529، 398، 612؛ 887/8، 18، 385، 178، 202، 682؛ 26/9، 28، 253، 445، 446، 433، 452، 544، 632، 691، 709؛ 657/10؛ 314/11، 43؛ 144/12، 77؛ 387/13، وغيرها كثير .

سبيل إلى ذلك إلا التأمل والبحث عن ذلك المعنى في أطار السياق، لأنه هو الذي تستمد منه صيغة الأمر دلالتها، وهي صيغة نفحصها ونتذوقها في إطارها لنشير إلى ما يقع في نفوسنا من مدلولها، " وكأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطي ألواناً متكاثرة كلما أدرتها إدارة جديدة ؛ والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشع من ألوانه ما يراد أشعاعه " [1].

وهذا ما يسميه علماء اللغة المعاصرون بـ (العلاقات السياقية) وما سماه عبد القاهر قبلهم بـ (النظم) [2].

ومن هذه المعاني التي أوقفتنا عليها سياقات الأحاديث الشريفة:

1- **الدعاء**

لقد كثر ورود الدعاء في الحديث الشريف بهذا الأسلوب وبصيغة الفعل المباشر، لأنه يدل على الإلحاح في الطلب، والشوق والرغبة في حصول الفعل سواء أكان الدعاء لنفسه ﷺ أم لأحد من الصحابة أم دعاء على المشركين.

فعنه ﷺ انه قال في مرضه الذي مات فيه:

" اللّهمّ اغفِرلي وأرحمني والحِقني بالرفّيقِ الأعلى " [3].

ودعا لأنس بن مالك ﷺ فقال:

(1) دلالات التركيب، د. محمد أبو موسى: 253 .

(2) دلائل الإعجاز: 64 . وينظر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، نصر أبو زيد، مجلة فصول (الأسلوبية)، المجلد الخامس، العدد الأول، 1984، ص 22 .

(3) فتح الباري: 157/10 .

" اللّهمّ ارزُقْهُ مالاً وولداً، وبارِكْ لهُ " [1].

ودعا على مضر بأن يشدد عليهم البأس والعقوبة والأخذ الشديد فقال:

" اللّهمّ أشددْ وطأَتَكَ على مُضَر " [2]

فالأفعال (اغفر وارحم، والحق، وارزق، وبارك، وأشدد) في الأحاديث الثلاثة يراد بها الدعاء. وبلاغة التعبير بهذه الأفعال الأمرية في مقام الدعاء بيان شدة رغبة الرسول الكريم في حصول المطلوب وتحققه[3] .

وقد دعا ﷺ على قريش بصيغة أسم فعل الأمر (عليك) في قوله:

" اللّهمّ عليكَ بقُريش " ثلاثَ مرات ثم سَمّى: " اللّهمّ عليكَ بأبي جَهل، وعليك بعُتبةَ ابنِ ربيعةَ ... " [4] .

فأجمل أولا ثم فصل بذكر أسماء الكفار منهم.

وخص قريشاً بالدعاء بهذه الصيغة المخالفة لكل ما ورد عنه ﷺ من صيغ الدعاء لما في هذه الصيغة من المبالغة في المعنى والاختصار في الكلام[5] وذلك لغرض حصول الفراغ من الدعاء بالسرعة الممكنة لتتحقق الاستجابة فيحل عليهم غضب الله وعقابه.

وأرى أن التعبير بهذه الصيغة يدل على شدة التضرع والتوسل إلى الله – سبحانه – بأن يوقع ما يراه مناسباً في حق هؤلاء الكفار. فلو قيل مثلاً (اللهم زلزلهم او اهزمهم او قاتلهم او العنهم) لتحدد نوع الفعل، ولكنه ﷺ أحال جميع هذه الأفعال الى الله – عز وجل – فهو الذي يحدد نوع العقاب والطريقة التي يراها – سبحانه – مناسبة لهم.

2- الإرشاد والتوجيه

وردت أحاديث كثيرة بأسلوب الأمر تحمل في طياتها معاني النصح والإرشاد. فالنبي الكريم لم يكن رسولاً يبلغ رسالة الإسلام في الأمور التشريعية والعقيدية حسب، وانما كان موجهاً ومربياً ومعلماً، وكانت أوامره في الأمور الحياتية تحمل في جانب كبير منها معنى التوجيه والإرشاد لأنها تصدر من أعظم مرشد وابلغ موجّه واكبر معلم واصدق ناصح في تاريخ البشرية، فهو لا ينطق عن الهوى وانما يوحى اليه من عالم الغيب والشهادة ما يعجز عن علمه البشر، فلا غرابة إذاً ان نجد

---

(1) نفسه: 286/4 .

(2) نفسه: 131/6 .

(3) وينظر الغرض نفسه في فتح الباري: 119/1، 134، 253، 72 ؛ 288/2، 637، 658، 662 ؛ 62-61/3، 149، 211، 461 ؛ 426/4، 436 ؛ 57/6، 58، 95، 131، 415، 333/7 ؛ 51/8، 88، 127، 839 ؛ 149/10، 253 .

(4) فتح الباري: 460/1 .

(5) الخصائص: 46/3-47 ؛ المقتصد في شرح الإيضاح: 569/1-570 ؛ شرح الكافية: 68/3 .

مجموعة كبيرة من أحاديثه الشريفة تحمل هذا المعنى، منها قوله ﷺ: " إذا نظرَ أحدُكم إلى من فُضِّلَ عليه في المال والخَلقِ فلْينظرْ إلى من هو أسفلَ منه ممن فُضِّل عليه " [1].

" يسِّروا ولا تعسِّروا، وبَشِّروا ولا تنفِّروا " [2].

" سدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيئاً من الدُّلْجةِ، والقَصدَ القَصدَ تبلغوا " [3][4].

" أَطفِئوا المصابيحَ إذا رَقَدْتم، وغلِّقوا الأبوابَ، وأوْكوا الاسقيةَ وخَمِّروا الطعامَ والشرابَ... [5] " [6].

في الحديث الأول دواء الداء لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه فلا يأمن إن يكون في ذلك حسد، والحسد مذموم، فدواؤه إن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعياً إلى الشكر [7].

فما أعظم هذه التربية الخلقية والنفسية التي يوجهنا اليها مرشدنا ومعلمنا رسول الله ﷺ التي جاءت بصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر (فلينظر).

وقد ورد الأمر في سياق الشرط بـ (إذا) والأصل في استعمال (إذا) انها تدخل على المتيقن وقوعه[8]. قال الرضي: " الأصل في استعمال إذا ان تكون لزمن من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلم.

---

(1) فتح الباري: 391/11 .
(2) نفسه: 216/1 .
(3) سددوا: أي اطلبوا بإعمالكم السداد والاستقامة وهو القصد في الأمر والعدل فيه . النهاية: 352/2 قاربوا: يقال قارب فلان في أموره إذا اقتصد . أي اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلو والتقصير . النهاية: 33/4 .
الغدو: السير أول النهار، اللسان (غدا): 353/19 .
الرواح: السير بعد الزوال، اللسان (روح): 292/3 .
الدّلجة: سير آخر الليل، والدلجة سير الليل كله (دلج)، اللسان: 97/3 . وقال: شيئاً من الدلجة أي ساعة منه لعسر سير جميع الليل .
القصد: الوسط بين الطرفين أي عليكم الاعتدال في القول والفعل . النهاية: 67/4، عمدة القارئ، البدر العيني: 63/23 .
(4) فتح الباري: 355/11 .
(5) اوكوا الاسقية: أي شدوا رؤوسها بالوكاء وهو الخيط الذي تشد به الصرة والكيس وغيرهما . . النهاية: 222/5 . التخمير: التغطية . النهاية: 77/2 .
(6) فتح الباري: 109/10 .
(7) فتح الباري: 392/11 .
(8) دلائل الإعجاز: 64 ؛ شرح المفصل: 4/9 .

ولهذا كثر في الكتاب العزيز استعماله لقطع علام الغيوب سبحانه بالأمور المتوقعة "[1].

والحديث الشريف يقترب من القرآن الكريم تركيباً ودلالة، فلا غرو إذن ان يعلم رسول الله ﷺ إن النظر إلى الغير واقع لا محالة فلذلك يأمر المسلمين إن ينظروا إلى من هم أسفل منهم متوخياً أرشادهم إلى السبيل القويم الذي يكفل لهم الرضا والأمن والسعادة.

والحديث الثاني جملتان متصلتان فيهما فعلا أمر صريحان هما (يسروا وبشّروا) ولكل منهما دلالته التي يقتضيها سياق التقابل والتضاد في الحديث.

فالأمر بالتيسير (يسروا) أعقبها النهي عن التعسير (ولا تعسروا)، أليس النهي عن التعسير هو الأمر بالتيسير؟ ولو اقتصر على الأمر (يسروا) لصدق على من يسر مرة وعسّر كثيراً فقال (ولا تعسروا) لنفي التعسير في جميع الأحوال. فالنهي كالتأكيد للأمر لهذا أعقب الأمر النهي عن ضدّه من اجل تأكيد المفهوم، وهذا لا يكون إلا في مقام له شأن وأهمية.

وكذلك الفعل الثاني (بشروا) وكان يقتضي إن يكون ضده (تنذروا) ولكن لما كان الإنذار – وهو الإخبار بالشر – في ابتداء التعليم او الدعوة يوجب النفرة قوبلت البشارة بالتنفير لأن المطلوب تأليف من قرب أسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي إن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعلّم العلم ينبغي إن يكون بالتدريج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده[2].

لله ما أبلغ تركيب هذه الجملة في مراعاتها لمقتضيات الاحوال ! حقاً أن " لكل لغة عبقرية خاصة لا يستطيع أي كان إن يعبر عنها كاملة، وأبرز ما تظهر فيه هذه العبقرية تركيب الجملة " [3].

هاتان الجملتان تهدفان إلى أرشاد المسلمين وتوعيتهم بحسن التعامل والسلوك في المجتمع عن طريق مخاطبتهم بأسلوب الأمر الذي يوحي اليهم بالالتزام وسرعة تحقيق الطلب، ليقوم البنيان على أساس راسخ متين ويعمر طويلاً.

وقد خط رسولنا الكريم ﷺ للمسلمين طريق حياتهم بما فيها من عبادة وعمل، في الحديث الثالث، بمعان إرشادية عبر عنها رسول الله بأسلوب الأمر بصيغة فعل الأمر في (سددوا، وقاربوا، واغدوا، وروحوا) وبصيغة المصدر النائب عن فعل الأمر في الطلب الأخير (القصد).

---

(1) شرح الكافية: 108/2 .
(2) فتح الباري: 216/1 ؛ 202/13 .
(3) مدخل إلى علم الأسلوب: 59 . نقلاً عن العالم الأمريكي (أدور سابير) .

لقد أرشدنا النبي الكريم ﷺ إلى الطريق الأفضل وهو التوسط في العمل من غير إفراط ولا تفريط، وإذا لم يستطع الإنسان ان يأخذ بالأكمل فليعمل بما يقرب منه، ثم دعانا إلى مداومة العبادة والعمل بإقامتهما في الأوقات المنشطة لنتمكن من المداومة عليهما من غير مشقة، وان هذه الأوقات أروح ما يكون فيها البدن للعبادة، وكأنه ﷺ يخاطب مسافراً إلى مكان معين فينبهه على أوقات نشاطه، فالمسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في الأوقات المنشطة، وهي أول النهار وآخره وبعض الليل، أمكنته المداومة من غير عناء [1].

وقد عدل الحديث عن صيغة الأمر المباشر الذي ابتدأ به إلى صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر، وفضلاً عما لهذه الصيغة من تأكيد لأمر الاعتدال والمبالغة في الالتزام بهذا الأمر، إلا ان مجرد العدول والمخالفة ينبئ عن غرض ما، وهذا الغرض هو لفت انتباه السامع إلى كلمة تضيف معنى جديداً وبتكرار اللفظ أصبح المصدر بمثابة منبه فني يتوقف المعنى عنده.

ومن الباحثين[2] من يرى ان المصدر يفيد إلى جانب الطلب معنى آخر افصاحياً انفعالياً فيه من الحث والحض على الفعل ما لا يوجد في صيغة الأمر المجردة.

وأفعال الأمر في الحديث الرابع (أطفئوا، وغلقوا، واركوا، وخمروا) وردت على سبيل الإرشاد والتوجيه، اتخذت شكل الطلب لما فيه من قوة الحسم وسرعة الانجاز، ولكن لا يشترط فيها الإلزام والوجوب[3].

3- الحث والترغيب

وهذا معنى آخر من المعاني التي يخرج اليها أسلوب الأمر، وقد وردت أحاديث عديدة تحمل هذا المعنى.

قال ﷺ:

" السفرُ قِطعةٌ من العذابِ يَمنَعُ أحدَكم طعامَهُ وشرَابَهُ ونَومَهُ، فإذا قضى نَهْمته[4] فلْيُعَجِّلْ إلى أهلِهِ " [5].

وقال ﷺ لرجل من الأنصار يعظ أخاه في الحياء:

---

(1) فتح الباري: 1/127-128 .
(2) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 254-255 .
(3) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 1/719 ؛ 2/19، 149، 235، 254 ؛ 3/48 ؛ 4/267، 423 ؛ 5/124، 263، 485، 501 ؛ 6/427، 542، 613؛ 7/388، 389؛ 9/124، 132، 151، 163-164، 314، 299، 632؛ 10/214، 306، 546، 583، 741-742؛ 11/151، 238-239، 280، 355؛ 13/187، 312 .
(4) النَهمة: بلوغ الهمة في الشيء، أي حاجته ومقصده . النهاية: 5/138 ؛ اللسان (نهم): 16/73 .
(5) فتح الباري: 3/794 .

" دَعْهُ، فإنَّ الحياءَ من الإيمان " [1] .

وقال: " تعاهَدوا القرآنَ، فوالذي نفسي بيده لَهوَ أَشدُّ تفصّياً[2] من الأبل في عُقلِها " [3] .

" واعلموا أنَّ الجنةَ تحت ظِلالِ السيوف " [4] .

عدّ السفر جزءاً من العذاب، في الحديث الأول، لما فيه من المشقة والجهد الحاصلين في الركوب والمشي مما يؤدي إلى اضطراب حال المسافر في أكله وشربه ونومه، لذلك يحث الحديث الشريف بأسلوب الأمر (فليعجل) على الإسراع في العودة إلى الأهل والوطن لما في الإقامة من الراحة النفسية والجسدية التي تعين المرء على أداء واجباته الدينية والدنيوية.

لقد ورد الأمر بعد الجملة الخبرية التي صورت السفر في إطار التشبيه البليغ تصويراً فنياً احتضن الأفكار والمعاني وجسدها بقطعة من العذاب محسوسة بجامع المشقة في الاثنين، وبغير هذه الصورة يفقد النص كثيراً من الحسن والجمال والفاعلية التي مهدت لاستقبال أسلوب الأمر وتحقيق فعله. وهذا ادخل في بلاغة العبارة وقوة تأثيرها وتعميق دلالة الأمر فيها.

كأن الرجل، في الحديث الثاني، كان كثير الحياء يمنعه من استيفاء حقوقه فعاتبه أخوه على ذلك، فقال له النبي ﷺ: (دعه)، أي اتركه على هذا الخلق الحميد، وبين لنا الحكمة في ذلك: ان الحياء من الإيمان. قال ابن قتيبة: ان المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي كما ينقطع بالإيمان عنها، فكأنه شعبة منه، والعرب تقيم الشيء مقام الشيء إذا كان مثله او شبيهاً به او كان سبباً له " [5] .

فالجملة المؤكدة (ان الحياء من الإيمان) وضحت المقصود بفعل الأمر وفي هذا التوكيد زيادة حث وترغيب في التمسك بالحياء.

والفعل (تعاهدوا) في الحديث الثالث، أي جددوا العهد بملازمة تلاوة القرآن، إذ لا يقع النسيان الا بترك القراءة، فلو تعاهده الإنسان بالتلاوة والقيام به في الصلاة لداوم حفظه وتذكره، وشبه هذا التعاهد بالإبل في عقلها لأن من شأن الإبل انها تطلب التفلت والتخلص ما أمكنها فمتى لم يتعاهدها صاحبها برباطها تفلتت فكذلك حافظ القرآن ان لم يتعاهده تفلت بل هو أشد من ذلك.

---

(1) نفسه: 101/1 .
(2) تفصياً: أي اشد خروجاً يقال تفصيت الأمر تفصّياً إذا خرجت منه وتخلصت . النهاية: 452/3 .
(3) فتح الباري: 97/9 .
(4) نفسه: 41/6 .
(5) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: 237 .

ان ورود التشبيه في جملة اسمية، علت فيها نبرة التوكيد، يزيد المعنى ترسيخاً وتقريراً لفعل الأمر، فضلاً عن أنه يعد " وسيلة فنية لأثراء الدلالة وتحقيق القوة التعبيرية على مستوى التركيب والسياق " [1].

فالأمر في سياق ما ذكر من المعاني يفيد الحث والحض على مداومة قراءة القرآن وتكرار تلاوته ومدارسته منعاً من نسيانه لفظاً ومضموناً.

والفعل (اعلموا) في الحديث الأخير جاء أيضاً في سياق كلام نفيس جامع موجز مشتمل عل ضروب من البلاغة مع فصاحة وعذوبة لفظ، دالاً على الحث على الجهاد ومنازلة الاعداء حتى تصير السيوف ظلالاً للمقاتلين، وحينذاك يستحق المجاهدون الثواب الموعود وهو الجنة. وقد تداخلت الصورة، المجازية (الجنة تحت ظلال السيوف) مع فعل الأمر في بناء تجسيدي لتفجر دلالات ومعاني رامزة معبرة عن موقف الترغيب والحض على الجهاد في سبيل الله[2].

4- الإباحة

كثيراً ما يخرج أسلوب الأمر في الحديث الشريف إلى معنى الإباحة، والعلاقة بين الإباحة والطلب ان كلاً منهما مأذون فيه، فالإباحة إذنْ في الفعل وإذنْ في الترك[3]. والمسوغ للتعبير بصيغة الأمر في مكان الإباحة هو الحمل على الفعل وكأنه أمر مطلوب. وفيما يأتي أحاديث تحمل معنى الإباحة:

قال ﷺ:

" أنَّ بلالاً يُؤذِّنُ بليلٍ، فكُلُوا وأَشربوا حتى يُنادِيَ ابنُ أمِّ مكتومٍ[4] " [5].

وعن سلمة بن الاكوع ان النبي ﷺ قال:

" من ضحَى منكم فلا يُصبِحنّ بعدَ ثالثةٍ وبقيَ في بيته منه شيء. فلما كان العامُ المقبِلُ قالوا: يا رسول الله، نفعلُ كما فعلنا العام الماضي؟ قال:

" كلوا وأطعِموا وأدخِروا. فإن ذلك العام كان بالناس جَهْدٌ[1] فأردتُ ان تعِينوا فيها " [2].

---

(1) في البنية والدلالة، د. سعد ابو الرضا: 183 .

(2) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 313/1، 696؛ 26/2، 42؛ 45/3، 374، 392؛ 57/4، 174، 361؛ 124/5، 217، 272؛ 172/6 ؛ 725/9 ؛ 509/10، 546، 659 ؛ 488/11؛ 6/13، 24، 161 .

(3) عروس الأفراد – شروح التلخيص: 313/2 .

(4) ابن ام مكتوم: اسمه عبد الله وقيل عمرو بن قيس القرشي العامري، وهو الأعمى المذكور في سورة عبس . عمدة القارئ: 14/25 .

(5) فتح الباري: 127/2 .

(1) جهد أي مشقة من جهد قحط السنة . النهاية: 320/1 .
(2) فتح الباري: 29/10 .

وقال ﷺ:
" لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ او يومين إلا ان يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فَلْيَصُم ذلك اليومَ " [1].

الأمران (كلوا وأشربوا) في الحديث الأول يراد بهما الإباحة، أي لا بأس عليكم ان تأكلوا وتشربوا حتى موعد نداء مؤذن آخر غير بلال. والاستجابة المصحوبة بالشغف في سياق الإباحة كالاستجابة للأمر الحقيقي امتثالاً وتنفيذاً، إذ كأن بالنفوس في تلك اللحظات ميلاً إلى ان تظل مستمتعة بالطعام والشراب وكأن هذه الإباحة قد يسّرت عليهم ذلك. ووجه الحسن في إظهار الإباحة بمظهر أسلوب الأمر هو " إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب " [2].

وأفعال الأمر (كلو وأطعموا وادخروا) في الحديث الثاني لا يراد بها الوجوب وانما يراد الإباحة، لأنه أمر بعد حظر كما يقول الفقهاء[3].

والتعبير بلفظ الأمر عن معنى الإباحة يكون أوجز وابلغ من ان يقال مثلاً: أبيح لكم او احل لكم الأكل والإطعام والادخار.

ونهى النبي ﷺ في الحديث الثالث ان يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان على نية الاحتياط لرمضان، ولكنه استثنى من ذلك من كانت له عادة الصيام في ذلك اليوم فقد إذن له فيه لأنه اعتاده وألفه، وترك المألوف شديد وليس ذلك من استقبال رمضان في شيء[4]. فالأمر (فليصم) أفاد معنى الإباحة[5].

5- الندب

وكثيراً ما تضمن الأمر النبوي معنى الندب، والندب قريب من الحث او هو نوع منه، يقول ابن منظور: " ندب القوم إلى الأمر يندبهم ندباً دعاهم وحثهم " [6].

وفيما يأتي نماذج من الأحاديث الشريفة التي يحمل فيها الأمر على الندب:

" إذا وُضِعَ العَشاءُ وأقيمتِ الصلاةُ فابدؤوا بالعَشاء " [7].

" إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامِه، فان لم يُجلِسْه معهُ فلْيُناولهُ أُكلةً او أُكلَتين، او لُقمةً او لُقمتَين، فإنه وَلِيَ حرَّهُ وعلاجَهُ " [1].

---

(1) نفسه: 160/4 .
(2) الإيضاح: 143/1-144 .
(3) فتح الباري: 31/10 .
(4) نفسه: 161/4 .
(5) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 277/1، 409، 517، 557، 628، 733 ؛ 19/2، 193، 431، 441، 602 ؛ 725/3 ؛ 35/4، 510 ؛ 566/6، 614 ؛ 208/9، 422، 634، 747، 791 ؛ 156/10 ؛ 302/13 .
(6) لسان العرب (ندب): 251/2 .
(7) فتح الباري 202/2 .

" إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنوا، فانه مَنْ وافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدم من ذَنْبِهِ "[2].

فالأمر (ابدؤوا) في الحديث الأول أفاد معنى الندب كما حمله الجمهور على ذلك[3]، لما في ذلك من تشوق النفس الى الطعام والانشغال والتفكير به مما يذهب بكمال الخشوع الواجب حضوره في الصلاة.

والفعل (فليناولـه)، في الحديث الثاني، حمله الفقهاء على الندب[4]، ومعنى الحديث ان على المرء ان يتواضع فيأكل مع خادمه، أما إذا ترفع عن مؤاكلة غلامه او إذا تواضع الخادم عن مؤاكلة سيده فليجعل له السيد نصيباً من الطعام ولو لقمة او لقمتين إذا كان الطعام قليلاً لأنه قد تولى إعداده.

وكذلك فعل الأمر (أمنوا) في الحديث الثالث حمل على معنى الندب[5].

وبعد ان ندبهم الى التأمين، بين لهم علة ذلك ان فيه غفراناً لما تقدم من الذنوب، وفي هذا التعليل تأكيد على الحث والالتزام به.

وقد ورد أسلوب الأمر في الأحاديث أعلاه ضمن سياق شرطي مما يعمق دلالته ويطلقها عن التقيد بزمن محدد، لأن " (إذا) تدل على الاستمرار في الماضي والحاضر والمستقبل "[6]، كما ان المقام الذي وردت فيه (إذا) يقتضي التحقيق بحصول الشيء، واتصالها بالفعل الماضي في الأحاديث الثلاثة " لإظهار غلبة الوقوع "[7][8].

6- التأديب

هنالك أحاديث كثيرة وردت بأسلوب الأمر، وأفاد هذا الأسلوب التأديب، من ذلك: ان النبي ﷺ مرّ وهو يطوف بالكعبةِ بإنسانٍ ربط يدَهُ إلى إنسانٍ بسَيْرٍ[9] – او بخيطٍ او بشيءٍ غيرِ ذلكَ – فقطعه النبي ﷺ ثم قال: " قدْهُ بيدِهِ "[10].

---

(1) نفسه: 725/9 .
(2) نفسه: 333/2 .
(3) نفسه: 204/2 .
(4) نفسه: 727/9، وحمله البدر العيني على الاستحباب . عمدة القاري: 79/21 .
(5) نفسه: 336/2 .
(6) معاني القرآن، الفراء: 243/1-244 .
(7) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: 229 .
(8) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 349/1، 707 ؛ 112/2، 471، 619؛ 326/4، 434؛ 416/6، 423، 614؛ 128/7؛ 768/8؛ 135/9، 304، 650، 736-737؛ 139/10، 409، 428 .
(9) السيْر: وهو ما يقدمن الجلد . النهاية: 433/2 .
(10) فتح الباري: 615/3 .

وقوله ﷺ لرجال دعاهم إلى الطعام يوم عرسه بزينب بنت جحش (رضي الله عنها):

" أذكروا اسمَ الله، ولْيأكل كلُّ رجلٍ مما يَليهِ " [1].

وقوله:" لا يمشي أحدُكم في نعل واحدة، ليُحْفِهما او ليُنْعلهما جميعاً " [2].

ان فعل الأمر (قده) في الحديث الأول يتضمن معنى التأديب لأن فعل القود يكون للبهائم، والإنسان خلقه الله عزيزاً كريماً فهو أكرم من ان يقاد كما تقاد الحيوانات.

ولم يكتف النبي الكريم بالقول وانما سبق القول الفعل، لذا قطع الحبل ثم أمره ان يقوده بيده[3].

ومن آداب الطعام، في الحديث الثاني، ان يذكر اسم الله تعالى أولاً ثم يأكل الإنسان من أقرب مكان له – إذا كان الطعام نوعاً واحداً – لأن كل احد كالحائز لما يليه من الطعام فأخذ الغير له تعدّ عليه مع ما فيه من تقذر النفس مما خاضت فيه الأيدي ولما فيه من إظهار الحرص والنهم وسوء الأدب[4] .

فالفعل (ليأكل) أفاد التأديب بعد أن ندبهم في الفعل الأول (أذكروا)، فيا له من أدب جم يعلمنا إياه نبينا الكريم، لا يصعد إلى مستواه أعلى التشريفات وآداب الطعام في العالم.

الانتعال شرع لوقاية الرجل عما يكون في الأرض من شوك او نحوه، فإذا انفردت إحدى الرجلين احتاج الماشي ان يتوقى لأحدى رجليه ما لا يتوقى للأخرى فيخرج بذلك عن سجية مشيه ولا يأمن مع ذلك من العثار، وربما نسب فاعل ذلك إلى اختلال الرأي او ضعفه، كما انها خارجة عن الاعتدال وهي مخالفة للمألوف فتمتد الأبصار لمن صدر منه ذلك.

لهذه الأسباب جاءت الأوامر النبوية (ليحفهما او لينعلهما) في الحديث الثالث، لغرض التأديب في المشي والتوجيه وعدم الخروج عما اعتاده الناس وألفوه[5].

7- التحذير

أكثر ما ورد معنى التحذير في الحديث الشريف بصيغة التحذير (إياكم) [6] تأكيداً للتنفير من المحذّر منه. ودلالة هذه الصيغة على التحذير أكثر من الصيغ

---

(1) نفسه: 282/9 .
(2) نفسه: 380/10 .
(3) يبدو من مظاهر الحديث ان الرجل كان ضريراً، ولذا قال له: قده بيده .
(4) فتح الباري: 653/9 .
(5) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 364/1 ؛ 453/2 ؛ 666/3 ؛ 142/5، 217، 225، 226، 228 ؛ 55/8، 57، 836 ؛ 299/9 ؛ 690/10، 741-742 ؛ 17/11، 18، 32، 73 .
(6) ينظر، فتح الباري: 455/3 ؛ 258/4 ؛ 142/5 ؛ 555/10، 589 .

الأخرى، يقول احد الباحثين: " إياك تفيد التحذير ولو أظهرت أي فعل يفيد هذا المعنى لخرجت عما تفيده من التحذير إلى الطلب الهادئ " [1].

ومن الأحاديث الشريفة التي وردت فيها هذه الصيغة وغيرها من الصيغ التي تحمل معنى التحذير قوله ﷺ .

" إياكم والدخولَ على النساء " [2] .

" مَنْ كانت لهُ مظلِمةٌ لأخيه من عِرضِهِ او شيءٍ فلْيتَحَلّلهُ منه اليومَ قبلَ ألاّ يكون دينارٌ ولا درهمٌ، ان كان له عملٌ صالحٌ أخِذَ منه بقدْرِ مظلمتِهِ، وان لم تكنْ له حسناتٌ أُخِذَ من سيئات صاحبِهِ فحُملَ عليه " [3].

وقال ﷺ حين انزل الله (وأنذِرْ عشيرتَكَ الأقربين)[4]:

" يا معشرَ قريش، اشتَروا أنفسَكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً 000 ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ، سليني ما شئتِ من مالي، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً " [5] .

لقد تصدر الحديث الشريف الأول صيغة التحذير (إياكم)[6]، تعجيلاً بالإنذار وإعلان الخطورة ليثير انتباه السامع ويوقظ ذهنه للإصغاء إلى ما يقال خاصة إذا كان الكلام صادراً من الرسول الكريم، يقول احد الباحثين: " ان السامع إذا طرقت سمعه(إياكم) انتفض من شواغله، وألقى انتباهه وبخاصة إذا عرف في محذره حرص الناصح الأمين " [7] .

هذا فضلاً عما تحققه هذه الصيغة من إيجاز في موضع اعجال ليأخذ المخاطب حذره من ذلك المحذور[8] وفي ذلك يتبين حرص المتكلم على السامع بسرعة المبادرة.

والرسول الكريم يأمر الرجال المسلمين محذراً من الدخول على النساء لأنهن حرمات، وانتهاك الحرمات غير جائز في الإسلام فيعجل بذكر صيغة (إياكم) تحذيراً وتخويفاً مراعاة لأهمية المقام.

ويحذر الرسول ﷺ بصيغة المضارع المتصل بلام الأمر (فليتحلله) في الحديث الثاني، من ظلم الغير باغتصاب شيء من ممتلكاته او حقوقه وان كان يسيراً، ويدعو

---

(1) في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمايرة: 163 .
(2) فتح الباري: 413/9 .
(3) نفسه: 128/5 .
(4) الشعراء / 214 .
(5) فتح الباري: 643/8 .
(6) معنى إياك نحّ، ويحذف الفعل وجوباً . الكتاب: 273/2-275 .
(7) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 390 .
(8) الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي: 268/1 ؛ شرح الكافية: 182/1 ؛ معاني النحو، د. فاضل السامرائي: 534/2-535 .

إلى رده في هذه الدنيا قبل يوم الجزاء الذي لا يكون فيه حساب بالدراهم والدنانير وانما بالحسنات والسيئات التي تثقل او تنقص ميزان الثواب والعقاب.

وفعلا الأمر(اشتروا، سليني) في الحديث الثالث يراد بهما التحذير والتخويف من عقاب الله، وتذكيرهم ان قرابته ﷺ لهم لا تشفع لهم ولا تغني عنهم شيئاً أمام الله – سبحانه -.

وجاء التحذير بأسلوب الاستعارة المكنية فقد جعل الحديثُ الإسلام تجارة رابحة، ذكر من لوازمها الشراء لأن من اعتنق الإسلام وعمل بمبادئه سلم من العذاب فكأنه ربح نفسه. وهذا التصوير أمضى في النفس وأدعى إلى التصديق. ومما قوّى أسلوب الأمر وقوعه بعد النداء، فالنداء يوقظ النفس ويلفت الذهن، لأنه طلب ودعاء فإذا ما جاء الأمر صادف نفساً مهيأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واع وذهن نابه متوقد، وهذا دليل على عناية الآمر بأمره ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه[1][2].

(1) دلالات التراكيب: 272 .

(2) لمزيد من الأسئلة ينظر، فتح الباري: 361/3 ؛ 764/6 ؛ 265/8 ؛ 181/9 ؛ 37/13، 161 .

8- الزجر والردع

ومعناه الإسكات والأمر بالتوقف عن فعل ما، وقد ورد هذا المعنى في الحديث الشريف عند مخاطبة او تنبيه من يتمادى في الأمر الممنوع او غير المستحب، كما ورد في الأحاديث الشريفة الآتية:

عن عائشة (رضي الله عنها) انها قالت: " لما جاء النبي ﷺ قتلُ ابنِ حارثةَ، وجعفر وابنِ رَواحةَ[1] جَلَس يُعَرفُ فيه الحزنُ وأنا انظُرُ من صائرِ البابِ[2]، فأتاه رجُلٌ فقال: إنَّ نساءَ جَعفرٍ[3] – وذكر بُكاءَهُن – فأمره ان يَنْهاهُنَّ، فذهبَ، ثم أتاه الثانيةَ لم يُطِعْنَه، فقال: انْهَهُنَّ. فأتاه الثالثةَ فقال:

" فاحثُ[4] في افواهِهنّ الترابَ " [5].

وعن عائشة أيضاً إن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانةُ – تذكُر من صلاتها – قال:

" مَهْ[6] عليكم بما تُطيقون، فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتى تَمَلُّوا " [7][8].

(1) أي زيد بن حارثة، وجعفر بن ابي طالب، وعبد الله بن رواحة وكان قتلهم في غزوة مؤتة .
(2) صائر الباب أي شق الباب . النهاية: 66/3 .
(3) أي امرأته ومن حضر عندها من الأقارب . فتح الباري: 215/3 .
(4) الحثو: الرمي . النهاية: 339/1 .
(5) فتح الباري: 214/3 .
(6) الزجر يحتمل ان يكون لعائشة والمراد نهيها عن مدح المرأة بما ذكر، ويحتمل ان يكون المراد النهي عامة عن ذلك الفعل . فتح الباري: 137/1 .
(7) معناه ان الله لا يمل أبداً، مللتم او لم تملوا . تأويل مختلف الحديث: 349 ؛ النهاية: 360/4 .
(8) فتح الباري: 136/1 .

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يسوق بَدَنة[1] فقال:
" اركبْها. فقال: انها بَدَنَة. فقال: اركبْها. قال: انها بَدَنَة. قال اركبْها وَيْلَكَ " [2].

وقال ﷺ مخاطباً اليهود:
" يا معشرَ اليهود، وَيْلكم، اتقوا اللهَ، فواللهِ الذي لا اله إلا هوَ إنكم لتعلمونَ أني رسولُ اللهِ حقاً، وأني جئتكم بحق فأسلِموا " [3].

فالأمر (انههن) في الحديث الأول يفيد المنع والزجر، ويفيد الفعل الآخر (أحُث) المبالغة في الزجر، لأنهن لما لم ينتهين عن رفع أصواتهن بالبكاء أمرن بسد أفواههن بالتراب، وخص الأفواه بالذكر لأنها محل النوح والصياح، فذكر المحل وأراد الحال على سبيل المجاز المرسل.

كما ان الجملة الطلبية هذه جاءت في إطار الصورة الكنائية التي تعبر عن صفة الإسكات، وهذه ادعى إلى إثارة الانفعال وترسيخ دلالة الزجر وهو المقصود، إذ أن " معرفة العبارة وتحليل عناصرها التركيبية والنحوية ليس بالأمر الهام، وانما الوقوف أولاً، وقبل كل شيء على قيمتها الانفعالية " [4].

ولا شك ان التنغيم المصاحب للحدث الكلامي قد عمق من دلالة الزجر والردع في الحديث، فالنغمة الصاعدة في أسلوب الأمر[5] لابد وان يكون قد وضحت المعنى المقصود وأبانت عنه حينئذ.

وورد الزجر في الحديث الثاني بصيغة اسم الفعل (مه) الذي يفيد هذا المعنى، ويحمل من القوة ما لا يحمل فعل آخر كـ (أكفف) مثلاً الذي وضع له رديفاً، فهو صوت يعبر عن مشاعر الانفعال والزجر وطلب الإسكات، مما يجعل السامع يدرك هذه المشاعر.

ولم يكتف رسول الله بهذه اللفظة وما فيها من إيحاءات دلالية وانما أعقبها باسم فعل الأمر الآخر (عليكم) الذي يفصح أيضاً عن مشاعر الانفعال للمتكلم، لما لهذا

---

(1) البدنة: ناقة او بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها، ومنه بدن الرجل يبدن إذا ضخم .
الصحاح (بدن): 2077/5 .
(2) فتح الباري: 683/3 .
(3) نفسه: 318/7 .
(4) علم النفس اللغوي، د. نوال محمد عطية: 37 .
(5) Gimson A.C. , An Introduction to the pronounciation of English . Edward Arnold , London , 1980 , p. 264.
وينظر همزة الاستفهام بين المفهومين النحوي والبلاغي، د. يوسف ابو العدوس، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد الثاني، العدد الثاني، 1987، ص 169 .

اللفظ من طبيعة الإفصاح الذاتي عما تجيش به النفس[1] فكل هذه المشاعر والانفعالات ليس من اليسير التعبير عنها بغير هذه الصيغة، كما ان هذه الأهمية قد تحققت بزيادة حرف الجر (بـ) الذي يكثف من دلالة التوكيد على الأخذ بما تقدر عليه النفس من أعمال ولا تعجز عنه في المستقبل.

ويزداد الانفعال عنفاً عندما تقترن هذه الكلمات المؤثرة (مه وعليكم) بصيغة تعبيرية أخرى تضاعف من قوتها وشدة تأثيرها وهي القسم وهذه صيغة تتلائم مع أهمية الموضوع، من اجل تعميق المعنى وزيادة تأكيد تنفير المخاطبين من الوقوع في المحذور، وهو الإحساس بالملال والسأم والضجر.

ويلاحظ ان الخطاب كان للنساء فيقتضي حينئذ ان يقال (عليكن) ولكن لما أراد ﷺ اعمام الحكم ليشمل الأمة غلّب الذكور على الإناث في الذكر[2].

ان أسلوب الأمر في الحديث قد أدى المعاني التي يبتغيها المتكلم وهو الزجر بأوجز الطرق وأدلّها وأكثرها وقعاً وتأثيراً في النفس، لأن عِلة استعمال هذه الأسماء في موضع الأفعال التي تدل عليها يعود إلى ما في أسماء الأفعال هذه من المبالغة في المعنى والاختصار في الكلام.

أما الحديث الثالث فكان الأمر الأول للإرشاد، فقد أشفق رسول الله ﷺ على الرجل من المشي[3]، لكنه لم يمتثل للأمر فراجعه بقوله (انها بدنة)، ظناً منه انه خفي على النبي ﷺ كونها هديا[4] .

ولما زاد في مراجعته أمره ثانية وثالثة (اركبها) وفيه زجر على عدم امتثال الأمر، ولما أغلظ له وبالغ في زجره بادر إلى استعمال كلمة (ويلك) التي هي للذم ودعاء بالهلكة[5]. وفي ذلك ترسيخ لمعنى الزجر والردع[6] .

ومن اجل تعميق المعنى الدلالي للزجر ومضاعفة قوته وشدة تأثيره في المخاطب، في الحديث الرابع، سُبق الطلب بالنداء (يا معشر اليهود) فضلاً عن الويل، والنداء في اللغة العربية إذا سبق طلباً كان دالاً على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه[7] ولضمان اهتمام المخاطب وإصغائه والتفاته وتتبعه لما يُلقى عليه.

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها: 116 .
(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني: 172/1، عمدة القاري: 257/1 .
(3) ورد في رواية أخرى انه " قد جهده المشي " وأخرى " انه كان حافياً . فتح الباري: 685/3 .
(4) لم يخف على النبي ذلك لكونها كانت مقلدة . فتح الباري: 685/3 .
(5) الفائق في غريب الحديث: 85/4 .
(6) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 277/1 ؛ 193/2 ؛ 280/3 ؛ 836/8 ؛ 312/13 .
(7) نداء المخاطبين في القرآن، أسراره وبلاغته، د. علي عبد الواحد وافي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن، 1978م، ص 85 .

وتشتد دلالة الزجر في الحديث الذي اقتضاه المقام بجعل العبارة في سياق طغت فيه أدوات التوكيد لأنها موجهة إلى مخاطب في اشد حالات الإنكار، فبالقسم يلفت نظره إلى أمر ذي بال فيجعله فصل الخطاب. يقول السيوطي: " والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، والقرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت إن تؤكد أمراً " [1] .

9- الإخبار

لقد وردت في الحديث الشريف أفعال أمر لا يراد بها المعنى الحقيقي للأمر وهو الوجوب والإلزام وانما يراد بها الإخبار والإقرار.

فقد قال ﷺ:

" مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِباً فَلْيَتَبَوَأْ [2] مقْعَدَهُ مِنَ النار " [3] .

وقال أعرابي للنبي ﷺ: متى الساعة؟ فأجابه رسول الله:

" فإذا ضُيِّعتِ الأمانةَ فانتظِرِ الساعةَ ". قال: كيف أضاعَتُها؟ قال: " إذا وُسِّدَ الأمر إلى غيرِ أهلِهِ فانتظِرِ الساعةَ " [4] .

وقال ﷺ: " إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلام النبوّة، إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شِئت " [5] .

إن المعنى الذي ينطوي عليه الفعل (فليتبوأ) في الحديث الأول هو الإخبار بسوء العاقبة. فمفاد الجملة – وهي تنزع هذا المنزع الإخباري – إن من تعمد على رسول الله كذباً فمصيره النار.

وقد ورد الأمر في سياق شرطي للدلالة على العموم والشمول وللفت الأنظار إلى عاقبة الأمر فيسارع المسلم إلى التنفيذ والتطبيق من خلال هذا الأسلوب المحفز، وبه تتعمق دلالة الأمر. والبلاغة في الاتيان بلفظ الأمر والعدول عن الخبر إيذاناً بوجوب ذلك، وانه مفعول لا محالة كما قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [6]، أي مدّ له الرحمن[7] .

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: 133/2 .
(2) يتبوّأ: يقال بؤاه الله منزلاً أي اسكنه اياه، وتبوأت منزلاً أي اتخذته . النهاية: 159/1 .
(3) فتح الباري: 268/1 .
(4) نفسه: 189/1 .
(5) نفسه: 638/6 .
(6) مريم / 75 .
(7) الكشاف: 521/2 .

والأمر (انتظر) في الحديث الثاني يفيد الإخبار بأنه إذا ضيعت الأمانة فذلك من اشراط الساعة وقرب وقوعها، ويؤكد ذلك الجواب الثاني فإذا اسند الأمر إلى غير أهله فذلك من اشراط الساعة.

والاتيان بلفظ الأمر والعدول عن الخبر في الإجابة عن سؤال الأعرابي (متى الساعة) ثم (كيف أضاعتها) أفاد بلاغة وقوة تعبير وتأثير لما له من دلالة الحسم والردع.

وقد جاء الأمر برفقة الفعل الماضي مع (إذا) لإشعار المخاطب او السامع بتيقن الحدوث وانه واقع لا محالة. يقول احد الباحثين: " ولما كان أصل (إذا) الجزم بالوقوع كان الغالب في الفعل المستعمل معها إن يكون بلفظ الماضي لإشعار المعنى بتحقيق الوقوع وذلك يناسب مفاد إذا " [1] .

ويخبرنا رسول الله في الحديث الثالث، إن مما اتفق عليه الأنبياء ولم ينسخ فيما قد نسخ من شرائعهم، لأنه أمر أجمعت عليه العقول " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " وهو أمر قد يراد به الإخبار والإقرار أي إذا لم يكن لك حياء يمنعك من فعل القبيح صنعت ما شئت[2] .

ومما يراد به الإخبار، فعل الأمر (أبشر) الذي ورد في مواضع متعددة[3] من الحديث النبوي الشريف كقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها) عندما نزلت براءتها من حادثة الافك:

" ابشري يا عائشة، فقد انزل الله براءتك " [4] .

فالفعل (ابشري) أريد به الإخبار بحصول المقصود وتحقيق ما يسر أي قد حصل لك ما تريدين.

10- الترهيب والتخويف

لقد ورد هذا المعنى في أسلوب الأمر النبوي من اجل إدخال الخوف والفزع في قلوب المشركين والرهبة من المؤمنين لدفعهم إلى الدخول في الإسلام. من ذلك قوله ﷺ للمسلمين لما قدم إلى مكة في عامه الذي استأمن[5] .

---

(1) من بلاغة النظم العربي، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: 245/1 .
(2) للاستزادة في هذا المعنى ينظر، فتح الباري: 669/6 ؛ 77/9 ؛ 554/10 .
(3) ينظر على سبيل المثال، فتح الباري: 317/6 ؛ 123/8 ؛ 145 .
(4) فتح الباري: 625/8 .
(5) عام العمرة .

" ارمُلوا[1]، ليرى المشركون قوَّتَكم " [2]

ولما سار رسول الله عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً، خرج ابو سفيان ومن معه يلتمسون الخبر، فرآهم حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأتوا بهم رسول الله فقال ﷺ للعباس: " احبِسْ أبا سفيانَ عند خَطْم[3] الجبل، حتى ينظُرَ إلى المسلمين ".

فحَبَسَهُ العباسُ فجعلتِ القبائلُ مع النبي ﷺ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان[4].

وعنه ﷺ قال: " ان الشمسَ والقمرَ لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ[5]، فإذا رأيتموهما فصلُّوا وادعوا حتى يُكشَفَ ما بِكم " [6].

الأمر بالإسراع في المشي او بالهرولة (أرملوا) في الحديث الأول جاء من اجل إدخال الرعب والخوف في قلوب المشركين عندما يرون قوة المؤمنين وصحة أجسادهم لأن المشركين عندما علموا بقدوم رسول الله وأصحابه قالوا: انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب[7] فأراد رسول الله ان يريهم قوة هذا الوفد الذي قيل فيهم ذلك.

وقد حقق رسول الله غايته في أمره لأصحابه بالارمال إذ قال المشركون: " هؤلاء الذي زعمتم ان الحمى وهنتهم؟ لهؤلاء اجلد من كذا " [8].

والمراد من الأمر (احبس) في الحديث الثاني كما يبدو من خلال سياق الحديث هو الترهيب، فقد قصد تخويف أبي سفيان وإدخال الهلع إلى قلبه عندما ينظر إلى جنود الله وكثرتهم، وما اعد الله للمشركين من قوة وبأس فيرتدع من يراهم فلا يعود إلى الكفر. ومما يؤيد هذه الدلالة رواية ابن عقبة ان العباس قال لرسول الله ﷺ " لا آمن إن يرجع أبو سفيان فيكفر، فاحبسه حتى تريه جنود الله " [9].

---

(1) الرمل: الإسراع او الهرولة، يقال رمل يرمَلْ إذا أسرع في مشبه وهزّ منكبيه . الصحاح: 1713/4 ؛ والنهاية: 265/2 .
(2) فتح الباري: 648/7 .
(3) خطم الجبل: مقدمته . الخطم من كل دابة مقدم انفها رقمها . اللسان (خطم):76/15 .
(4) فتح الباري: 6/8 .
(5) كسفت الشمس في اليوم الذي توفي فيه إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فحدّث النبي بهذا الحديث . ينظر فتح الباري: 670/2 .
(6) فتح الباري: 668/2 .
(7) فتح الباري: 599/3 .
(8) صحيح مسلم، كتاب الحج: 923/2 .
(9) فتح الباري: 9/8 . وقد حسبه في هذه المنطقة لكونها مضيقاً ليرى الجميع ولا يفرقه رؤية احد احد منهم . (المصدر نفسه) .

أما الحديث الثالث فإن كسوف الشمس وخسوف القمر دلائل على وحدانية الله وعظيم قدرته وقوة سطوته وهما آية من آيات الله التي يرسلها لتخويف عباده وترهيبهم من بأس الله وعذابه ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [1] .

لقد أزال رسول الله ﷺ الشك من أذهان الناس – الذين قالوا إن الشمس قد كسفت لموت إبراهيم – بالتوكيد ونفي الخبر، ثم انتقل إلى الأسلوب الطلبي فأمرهم بالصلاة والدعاء في حالة وقوع هذه الظاهرة الكونية.

وهذا الأمر لم يأتِ على وجه الإلزام والوجوب وإنما جاء لغرض التخويف والترهيب من آيات الله تعالى التي يبديها لعباده كي يتعظوا بها[2].

11- **التخيير**

هو الدعوة إلى اختيار أمر من اثنين او ثلاثة أمور، وقد وردت أحاديث شريفة بهذا المعنى يحمله أسلوب الأمر، من ذلك ما رواه ظهير بن رافع قائلاً: دعاني رسول الله ﷺ قال: " ما تصنعونَ بمحاقِلكم؟ " [3] قلت: نُؤاجِرُها على الرَّبيعِ[4] وعلى وعلى الاوسُق[5] من التمرِ والشعير. قال:

" لا تفعلوا، إزرَعوها، أو أَزرِعوها، أو أَمسِكوها " [6].

وقال رسول ﷺ عندما وقف على كعب بن عُجْرةَ ﷺ بالحديبية ورأسه يتهافت قملاً:

" احلِقْ رأسَك، وصُمْ ثلاثةَ أيامٍ، او أطعِمْ ستةَ مساكين، او انسُكْ بشاةٍ[7].

وقال ﷺ في صوم يوم عاشوراء:

" من شاءَ أن يصومَهُ فَلْيصُمه، ومَن شاءَ إن يترُكَهُ فَلْيَتْرُكْه " [8].

لقد خير الرسول الكريم ﷺ في الحديث الأول ظهيراً وقومه بين ثلاثة أشياء، بأسلوب أمر صريح أولها زراعة الأرض بأنفسهم، وثانيها إعطاؤها لغيرهم يزرعونها بغير أجرة، وثالثها تركها معطلة وقد روعي الترتيب في تقديم أمر على

---

(1) الإسراء / 59 .
(2) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 161/3 .
(3) محاقلكم " مزارعكم، واحدها محقلة من الحقل أي الزرع، النهاية: 416/1 .
(4) الربيع: النهر الصغير . النهاية: 188/2 . والمعنى انهم كانوا يكرون الأرض ويشترطون لأنفسهم ما ينبت على الانهار ينظر، فتح الباري: 29/5 .
(5) الاوسق: ستون صاعاً وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز . النهاية: 185/5 .
(6) فتح الباري: 27/5 .
(7) نفسه: 15/4
(8) نفسه: 580/3 .

آخر بحسب إرادة أصحاب الأرض ومراعاة فائدتهم وفائدة غيرهم. ولعل الحكمة في الأمر الثالث (امسكوها) ان الأرض إذا تركت بغير زرع لم تتعطل منفعتها فإنها قد تنبت من الكلأ والحطب والحشيش ما ينفع في الرعي وغيره، وقد يكون تأخير الزرع عن الأرض إصلاحاً لها فتخلف في السنة التي تليها ما لعله فات في سنة الترك " [1] .

وقد ورد التخيير في رواية أخرى للحديث بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر " من كانت له ارض فليزرعها، او ليمنحها، فإن لم يفعل فليمسك أرضه[2].

وبعد ان أمر رسول الله كعبا في الحديث الثاني بحلق رأسه خيره بأسلوب أمر ثان بين أفعال ثلاثة، الصوم او إطعام ستة مساكين او ذبح شاة. وقدم على غيره لأن الصحابة الذين خوطبوا شفاها بذلك كان أكثرهم يقدر على الصيام أكثر مما يقدروا على الذبح والإطعام[3].

وفي الحديث الثالث يأمر رسول الله ﷺ المسلمين، ولكن أمره يخرج إلى غرض التخيير بين صوم يوم عاشوراء او ترك الصوم، إذ كانت قريش تصوم ذلك اليوم في الجاهلية ثم أمر رسول الله بصيامه حتى فرض رمضان.

فصيغتا الأمر (فليصمه و فليتركه) تفيدان التخيير بين الصوم والإفطار[4].

12- التكريم

وقد يخرج أسلوب الأمر في حديث رسول الله ﷺ إلى معنى التكريم كما في قوله ﷺ الذي نعى به النجاشي صاحب الحبشة:

" استغفِروا لأخيكم " [5].

وفي رواية أخرى " صلُّوا على صاحِبكم " [6] .

وقال ﷺ للصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ يوم أُحُد:

" ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي " [7].

وجاء سعد بن معاذ[8] راكباً حماراً إلى رسول الله، فلما دنا قال رسول الله ﷺ " " قوموا إلى سيِّدِكم " [9].

---

(1) نفسه: 30/5 .
(2) نفسه: 27/5 .
(3) فتح الباري: 18/4 .
(4) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 76/3 ؛ 224/4 ؛ 182/5 ؛ 40/8، 81 ؛ 29/10 .
(5) فتح الباري: 256/3 .
(6) نفسه: 589/4 .
(7) نفسه: 116/6 .
(8) سيد الأوس .
(9) فتح الباري: 203/6 .

وكانت سبية[1] من بني تميم عند عائشة فقال ﷺ "
" اعتقيها فانها من وَلَدِ إسماعيلَ " [2].

فالأمران (استغفروا وصلّوا) في الحديث الأول خرجا بدلالة السياق والقرائن عن حقيقتهما إلى غرض تكريم النجاشي، ففضلاً عن أمره الصحابة بالاستغفار له والصلاة عليه، سمّاه بـ (أخيكم وصاحبكم) فجعله كالأخ والصاحب للمسلمين، أصحاب رسول الله ﷺ وهذا في غاية التكريم.

وفعل الأمر (أرم) في الحديث الثاني يراد به تكريم سعد ﷺ لما يبديه في الجهاد من شجاعة وهمة عالية، ولعمري ما اجله من تكريم، فرسول الله يفديّه بأبيه وأمّه، ولم يفدِّ رجلاً بعد سعد كما قال الإمام علي ﷺ [3].

و (قوموا) في الحديث الثالث، أي إلى إعانة سعد بن معاذ ﷺ وإنزاله من دابته، ولا يراد بالقيام التعظيم وانما يراد به التكريم، كأنه قيل قوموا وامشوا اليه تلقياً وإكراماً.

وقوله (سيدكم) كأنه ذكر سبب أمره لهم بالقيام، وذلك انه شريفٌ علي القدر. وهذا التعبير هو الذي وجه صيغة الأمر إلى معنى التكريم وأشار اليه، ولا غرابة " فالأسلوب بمثابة قائد لفظي للمتلقي " [4].

والأمر بالعتق في الحديث الرابع أفاد تكريم بني تميم، وعقب الأمر كعادته ﷺ بالجملة الخبرية المؤكدة، تعليلاً للأمر المراد وإفصاحاً عن سببه، وهو إن السبية من العرب، وهم في موضع تكريم من لدن رسول الله[5] .

---

(1) امرأة من السبي .
(2) فتح الباري: 213/5 .
(3) نفسه: 116/6 .
(4) البلاغة والأسلوبية: 170 .
(5) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 272/3 ؛ 461 ؛ 402/4 ؛ 611 ؛ 113/6 ؛ 152/7 ؛ 661 .

13- التأنيس والتسلية

كثيراً ما ينحو الكلام في مواقف الحزن والضيق معنى التسلية والتأنيس وتبديد الحزن والوحشة، والأمر احد الأساليب التي تحقق هذا الغرض، من ذلك قول النبي ﷺ للأنصار:

" أنكم ستلقَونَ بعدي أثَرَة [1]، فاصبروا حتى تَلقَوني، ومَوعِدُكم الحَوض " [2].

وقال أبو بكر لرسول الله عندما كان معه بالغار وسمع بأقدام القوم: يا نبي الله لو أنّ بعضَهم طأطأ بصَرَه رآنا فقال له رسول الله ﷺ:

" اسكُتْ يا أبا بكر، اثنانِ اللهُ ثالثُهما " [3].

وعن أبي موسى ان النبي ﷺ كان له بعض الشغل[4] في بعض أمره فأعتم بالصلاة حتى أبهارّ الليل[5] ثم خرج فصلى بهم، فلما قضى صلاته قال لمن حضره:

" على رِسْلِكم أَبشِروا، أنَّ من نعمةِ اللهِ عليكم أنّه ليس احدٌ من الناسِ يُصلِّي هذه الساعة غيرُكم " [6].

ففي الحديث الأول خرج الأمر (اصبروا) لغرض التأنيس وتطبيب نفوس الأنصار، بعد ان انبأهم في صدر الحديث ان الأمر سيصير في غيرهم فيختصون دونهم بالأموال[7] لذا أمرهم بالصبر، ووعدهم بأنه سيكون لهم لقاء معه على الحوض، فيحصل لهم الانتصاف ممن ظلمهم، وينالون الثواب جزاء صبرهم.

والعبقرية النبوية في اختيار الأسلوب الملائم تتجلى في أروع مظاهرها في الحديث الشريف، فبعد ان ابتدأ حديثه بالجملة الخبرية المؤكدة، مخبراً إياهم بما سيحصل لهم في الدنيا بعد وفاته، أمرهم بالصبر على ذلك، ثم أعقب الطلب بالجملة الاسمية التي تدل على الدوام والاستمرار (موعدكم الحوض) لتكون كالمكافأة له جزاء صبرهم في الحياة الدنيا، فتقع هذه الجملة في النفوس موقع الرضا والقبول، والتسلية والتأنيس.

أما الحديث الثاني فالجملة الخبرية (اثنان الله ثالثهما) تدل على المعنى المراد من فعل الأمر (اسكت). فهي تقرر أمراً يبعث في نفس أبي بكر القلقة الطمأنينة،

---

(1) أثرة: أي الانفراد بالشيء، أراد انه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء . النهاية: 22/1 .
(2) فتح الباري: 147/7 .
(3) نفسه: 327/7 .
(4) هو تجهيز الجيش . ينظر، فتح الباري: 61/2 .
(5) أبهارّ الليل: انتصف، ويقال ذهب معظمه وأكثره . النهاية: 165/1 ؛ لصحاح (بهر): 120/1 .
(6) فتح الباري: 60/20 .
(7) وكان الأمر كما وصف رسول الله فقد وقع كما قال . ينظر، فتح الباري: 148/7 .

ويسبغ عليها السكينة، وذلك عندما أبدى مخاوفه مما سيقع لرسول الله ﷺ - وهو الحريص على سلامته – لو أن أحداً من المشركين أبصرهما وهما في الغار.

وقد أعقب الأمر النداء الدال على القرب من النفس ليحقق لأبي بكر قدراً اكبر من الإحساس بالأمن والسكينة، وهدوء النفس، وسكون الروع، فهما اثنان ولكن الله ثالثهما يحفظهما ويعينهما على درء المخاطر.

أما الأمر (ابشروا) في الحديث الثالث فقد كان لتأنيس الصحابة (رضوان الله عليهم جميعاً)، وتبشيرهم بغية إدخال السرور والفرح إلى قلوبهم، ثواباً لانتظارهم له ﷺ إلى ان انتهى من شغله.

ان دلالة التأنيس والتسلية في فعل الأمر(ابشروا) وشى بها السياق، باستخدام صيغة التوكيد، وهي صيغة تتلاءم مع أهمية الموضوع وهو أخبارهم أنهم اختصوا بهذه العبادة التي هي نعمة عظمى مستلزمة للمثوبة الحسنى في الدنيا والآخرة[1].

14- التهديد والوعيد:

الأحاديث التي وردت بأسلوب الأمر في هذا الغرض قليلة، ومما ورد عنه ﷺ مهدداً ومتوعداً قوله لليهود:

" أسلِموا تَسلَموا، واعلموا انَّ الأرض للهِ ورسولِهِ، إني أريدُ إن أجلِيَكم من هذه الأرض[2] فمن يَجِدْ منكم بمالهِ شيئاً فَلْيَبِعْه، وألاّ فاعلَموا أن الأرض للهِ ورسولِهِ " [3].

وقال ﷺ:

" إنَّ أوّلَ ما ينتِنُ من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكلَ إلاّ طيّباً فَلْيَفعلْ، ومن استطاع ان لا يُحالَ بينه وبين الجنّةِ بِمِلءِ كفِّ من دم هراقه فَلْيَقْعلْ " [4].

وسمع رسول الله خصومةٌ بباب حجرته، فخرج اليهم فقال:

" إنما أنا بَشَرٌ وإنه يأتيني الخصمُ فلعلَّ بعضكم ان يكون ابلغَ من بعضٍ فأحسبُ أنَّهُ صادقٌ فأقضي له بذلك، فمن قَضَيتُ له بحقِّ مسلمٍ فإنما هي قِطعةٌ من النار، فلْيأخُذْها او لِيَترُكها " [5] .

ان فعلي الأمر (اسلموا واعلموا) في الحديث الأول أفادا التهديد أي أنكم إن لم تدخلوا الإسلام لم تأمنوا العواقب ومنها إخراجكم من هذه الأرض ومما هو اشق منه.

---

(1) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 571/4، 471/6، 759/8، 94/11 .
(2) أي المدينة المنورة .
(3) فتح الباري: 332/6 .
(4) فتح الباري: 161/13 .
(5) نفسه: 214/13 .

وفي (اسلموا) و (تسلموا) مجانسة لفظية بديعة، " تدفع الذهن إلى التماس معنى تنصرف اليه اللفظتان بما تثيره من انسجام بين نغم التشابه اللفظي ومدلوله على المعنى " [1]. أي ان القوة التعبيرية في جرس الألفاظ قد استغلت في توليد المعنى وهو ان أسلمتم سلمتم من إخراجكم من هذه الأرض وإلا فسوف لن تسلموا.

وفي الحديث الثاني صيغة الأمر الأول (فليفعل) الذي يحمل تحذيراً ووعيداً شديداً ضمن سياق الاستثناء القائم على ثنائية الإيجاب والسلب، وهذه البنية تعد في قوة جملتين، من اجل تمكين الكلام وتقريره في الذهن.

أما صيغة (فليفعل) الثانية فقد جاءت ضمن سياق شرطي دلالة على الاعمام حاملاً معه صورة كنائية (ملء كف من دم) عن إراقة مقدار قليل من الدم بغير حق، فهذا المقدار القليل سيكون حائلاً بينه وبين الجنة. وقد سبق الطلب جملة حبرية مؤكدة موحية بألوان من الوعيد والتحذير، من اجل أن يقع الطلب موقعه من الرضا والقبول في النفوس، ويؤثر في مشاعر المخاطبين وعواطفهم.

لقد أسهمت هذه الصور والأساليب جميعاً في إثراء معنى التهديد والوعيد وخلق التأثير المطلوب.

وفعلا الأمر (فليأخذها أو ليتركها) أفادا بدلالة سياق الحديث التهديد للمقضي له، ومعناه انه اعلم بنفسه هل هو محق أو غير محق، فان كان محقاً فليأخذ حقه، وان كان على باطل فليترك الحق لخصمه، فالذي يقضى له بحسب الظاهر وبقوة بيانه وهو غير مستحق لهذا القضاء فكأنما يمسك قطعة من النار. فالأمر حمل دلالة التهديد والوعيد الذي يشف عن الغضب، وقد وردت هذه المعاني ضمن سياق الشرط (من قضيت) محتضناً الصورة التشبيهية المكتنزة بالمعاني الدلالية (هي قطعة من النار) مما يجعل مساحة الوعيد شاملة زماناً ومكاناً وشخوصاً من اجل ان تكون دلالة الردع أقوى وأشد. ولاشك ان من " خصائص الأدب الحي ان يمنحنا القدرة على الانفعال به " [2].

15- التعجيز

ورد هذا المعنى في حديثين للنبي ﷺ وجههما إلى المصورين، أولهما قوله:

(1) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال: 284 .
(2) النقد الأدبي، سيد قطب: 28 .

" إنَّ أصحابَ هذه الصُّوَر يعذَّبون يومَ القيامة ويُقال لهم: أحيُوا ما خَلَقتُم " [1].

وثانيهما قوله ﷺ حاكياً عن ربه:

" قال اللهُ – عزّ وجلَّ – ومن اظلم ممن ذَهَب يَخْلقُ كخلقي فَلْيخْلُقُوا ذَرَّةً او لِيخْلقوا حبّةً او شَعيرةً " [2].

ليس المراد بالأمر (أحيوا) في الحديث الأول أمرهم حقيقة على وجه التكليف والإلزام، وإنما المراد إظهار عجزهم عن الاتيان بفعل الأحياء لأن ذلك محال.

وشبه خلق هؤلاء المصورين بخلقه في الصورة على سبيل الاستهزاء. اما فعل الأمر (فليخلقوا) فهو طلب يراد به التعجيز والإمعان في التحدي ليتعظوا ويقلعوا عن عنادهم ومكابرتهم. وقد كان التحدي بأصغر كائن مخلوق وهو الذرة او الحبة او الشعيرة على سبيل المبالغة في إظهار عجزهم وإمعاناً في بيان ضعفهم.

وبلاغة التعبير بالأمر في مقام التعجيز الحكم على المخاطبين بالعجز وفي ذلك لفت للنظر في حالهم وما هم عليه من العناد والضلالة.

16- بيان العاقبة

وردت أحاديث نبوية تبين عاقبة فعل بأسلوب الأمر الداعي إلى التحفيز والاستجابة السريعة، من ذلك قوله ﷺ لأبي سعيد الخدري:

" إني أراك تُحبُّ الغَنَمَ والباديةَ فإذا كنت في غَنَمِكَ او باديتِكَ فإذنتَ للصلاة فارفع صوتَك بالنداء فانه لا يَسمعُ مَدَى صوت المؤذِّن جِنٌّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهدَ له يوم القيامةِ " [3].

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ يوم خيبر:

" أنفُذْ على رِسلك حتى تنزلَ بساحتِهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبِرْهم بما يَجِبُ عليهم من حقِّ اللهِ فيه، فواللهِ لأنْ يهديَ الله بك رجُلاً واحداً خيرٌ لك من ان يكونَ لك حُمْرُ النَّعَم " [4].

---

(1) فتح الباري: 646/13 .
(2) نفسه .
(3) فتح الباري:634/13 .
(4) نفسه: 605/7 .

ففعل الأمر (ارفع) في الحديث الأول يشي بدلالة السياق إلى بيان عاقبة رفع الصوت بالأذان، وهي الثواب يوم القيامة لأن من فاته دعاء المصلين لم يفته شهادة من سمعه من غيرهم[1].

والأفعال (أنفذ، ادعهم، أخبرهم) في الحديث الثاني، أوامر يبين رسول الله ﷺ بها عاقبة فعلها في الجملة الخبرية المؤكدة، فان استطاع ان يهدي إلى الإيمان قلب رجل واحد خير له من ان تكون له الإبل الحمراء، وكانت العرب تتفاخر بامتلاكها، فأجر الهداية يفوق كثيراً ما يحصل عليه المرء من مال زائل.

ونلاحظ ان صيغة الطلب لا يمكن ان تدل وحدها على المعنى ما لم تتفاعل مع السياق على وفق بنية الجملة[2][3].

17- **التبشير**

ورد هذا المعنى في عدد من أحاديث رسول الله ﷺ منها قوله في أهل بدر مخاطباً عمر ابن الخطاب ﷺ:

" وما يُدرِيك لعلَّ اللهَ أطّلَعَ على من شهدَ بدرا قال: اعملوا ما شِئتم فقد غفرتُ لكم "[4].

وعن عائشة (رضي الله عنها) ان النبي ﷺ بعث رجلاً على سَرِيةٍ وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ " قل هو الله احد " فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي فقال:سَلوه لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أُحبُّ ان أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: " أخبروه أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ "[5].

يلاحظ ان جملة (فقد عفرت لكم) في الحديث الأول تحدد المعنى المراد من صيغة الأمر (أعلموا)، فليس المراد أمرهم بكل عمل شاءوا، وان الله قد أباح لهم شيئاً مما حرمه، بل الأمر يفيد التبشير والإشارة إلى ما أعده الله لهذه الكوكبة المباركة – أهل بدر – من الثواب العظيم.

أما الأمر (أخبروه) في الحديث الثاني، فقد مهد لنقل البشرى التي تضمنتها الجملة الخبرية المؤكدة التالية للأمر، وهي إخباره بمحبة الله وتقريبه له وإكرامه، ويا لها لعمري من بشرى عظيمة[6].

---

(1) نفسه: 114/1 .
(2) ينظر، علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي: 146 ؛ وعلم الدلالة، د. احمد مختار عمر: 68 .
(3) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 419/3 .
(4) فتح الباري: 661/7 .
(5) نفسه: 431/13
(6) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 784/3 ؛ 759/8 .

18- **الكراهة**

وفي هذا المعنى ورد قوله ﷺ:

" إذهَبوا بخَميصَتي[1] هذه إلى ابي جَهْم، وائْتوني بأَنْبجانيةِ أبي جَهْم[2]، فانها ألهتني آنفا عن صلاتي " [3].

وقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها) عندما وضعت قراماً[4] سترت به جانب بيتها:

" أَميطي عنا قِرَامكِ هذا، فإنه لا تزالُ تصاويرُهُ تعرِضُ في صَلاتي " [5].

ففعلا الأمر في الحديث الأول (أذهبوا وائتوني) خرجا بدلالة السياق إلى معنى يراد به الكراهة، لأن في الخميصة ما يشغل عن الصلاة ويلهي المصلي عن الخشوع.

وكذلك فعل الأمر (أميطي) في الحديث الثاني كان لغرض الكراهة خشية الافتتان في الصلاة.

19- **الاعتبار**

وقد عبر أسلوب الأمر في الحديث الشريف عن فكرة الاعتبار وإثارة التأمل للاتعاظ والتفكر في آيات الله والإيمان بها، فقد ورد في الصحيح ان القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه فقال رسول الله:

" إشهَدُوا " [6].

فالفعل (أشهدوا) جاء بمعنى اضبطوا هذا الحدث بالمشاهدة لغرض الاعتبار، فكما ان الله – عز وجل – شق القمر كذلك هو قادر على إقامة الساعة، ففي هذا الانشقاق دليل اعتباري ليتعظوا بآيات الله.

---

(1) الخميصة:وهي ثوب خزٍّ او صوف مُعَلّمْ ولا تسمى خميصة إلا ان تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخمائض . النهاية: 81/2 .
والانبجانية: منسوبة إلى موضع اسمه انبجان، وهو كساء يتخذ من الصوف وله خمل ولا علم له . النهاية: 73/1 .

(2) هو عبيد الله بن حذيفة القرشي، صحابي مشهور، وانما خصه ﷺ بإرسال الخميصة لأنه كان أهداها للنبي ﷺ، فلما شغلته في الصلاة قال: ردوها عليه وأتوني بانبجانيته، وطلبها منه لئلا يؤثر رد الهدية في قلبه . النهاية: 73/1 ؛ فتح الباري: 637/1 .

(3) فتح الباري: 636/1 .

(4) القِرام: ستر رقيق من صوف ذي ألوان . النهاية: 49/4 .

(5) فتح الباري: 638/1 .

(6) فتح الباري: 794/8 ؛ 231/7 .

ان فعل الأمر هذا الذي لا يتعدى كلمة واحدة يحمل طاقة تعبيرية توحي بدلالات شتى وتثير التعجب والتأمل. ومن ثم الاتعاظ، ولا عجب فاللغة الحية " توحي أكثر مما تصرح وتنبه أكثر مما تعبر، وتستفز أكثر مما تخبر " [1].

ثم ان الخطاب عام لكل من يتأتى منه النظر، وفكرة عموم الخطاب في البلاغة العربية دالة على خطورة الحدث وعمومه واشتهاره وإثارته وغرابته[2] .

20- الامتنان

عن جابر ﷺ قال: غزونا – جيشَ الخَبَطِ[3]، فجعنا جوعاً شديداً، فألقى البحرُ حوتاً ميتاً لم نر مثله يقال له العَنبر، فأكلنا منه نصفَ شهر، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال:

" كُلوا رِزقاً أخرجهُ الله، أطعمونا ان كان معكم. فأتاه بعضُهم بعضوٍ فَأَكَلَهُ " [4].

فالأمر (كلوا) خرج عن حقيقته لغرض بلاغي وهو الامتنان، فهذا الكرم الربّاني المتمثل بإلقاء الحوت ذي الحجم الضخم إلى الساحل ليطعم به الجيش الإسلامي الجائع رحمة منه وفضلاً، لابد انه يبعث على الامتنان لله تعالى، والتنبيه على فضله وإحسانه وكرمه، وكأن الرسول ﷺ يقول: كلوا منه واشكروا الله عز وجل واحمدوه على هذه النعمة. والتعبير بالأمر مقام الامتنان ارسخ أصلاً وأعمق أثراً في نفس المتلقي.

21- التعظيم

قال ﷺ: " إذا رأيتُم الجنازةَ فقوموا، فمَن تَبِعها فلا يَقْعُدْ حتى تُوضَعَ " [5].

فالأمر (قوموا) أريد به تعظيم أمر الموت وأعظاماً للذي يقبض النفوس، لأن القيام للفزع من الموت فيه تعظيم لأمر الله، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك، وهم الملائكة، ويستدل على ذلك بحديث آخر للنبي الكريم عندما مرت به جنازة فقام، فقيل له: انها جنازة يهودي، فقال: أليست نفساً؟ " [6] فكان ردّه استفهاماً أراد به التقرير والإثبات بمعنى هي نفس.

22- التمني

---

(1) قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، د. عبد السلام المسدي: 141 .
(2) الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد دراز: 28 .
(3) الخبط: الورق الساقط من الشجر، وسمّوا جيش الخبط لنهم خرجوا في سرية إلى ارض جهينة قِبَل الساحل فأصابهم جوع فأكلوا الخبط فسمّوا جيش الخبط . النهاية: 7/2 .
(4) فتح الباري: 98/8 .
(5) فتح الباري: 230/3 .
(6) نفسه: 231/3 .

والتمني كما نعلم في عرف البلاغيين هو مخاطبة ما لا يعقل، وكأن المتكلم ينتظر رداً، ولكن هذا لا يحصل، مما أدخله في إطار الشيء المحال او الذي يصعب تحقيقه. وقد ورد حديث واحد للرسول الكريم يمكن ان يحمل هذا المعنى، إذ خاطب عليه الصلاة والسلام جبل أحد عندما صعد عليه هو وأبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم جميعاً) فرجف بهم فقال: " اثبُتْ أُحُدُ، فما عليك الاّ نبيٌّ او صدِّيقٌ او شَهيدان " [1].

ليس المراد هنا من صيغة الأمر (اثبت) طلب الثبات من احد على الوجه الحقيقي لأنه ليس مما يخاطب او يؤمر وانما أريد به التمني. والتمني في عالمنا البشري قد يهرب اليه المرء حين تفوق طموحاته الواقع المحدد، لذا يلجأ إلى أحلامه الحبيسة يصوغها أمنيات، أما في عالم النبوة فقد يختلف الأمر، ويكون الطموح واقعاً في لحظة بإذن الله[2].

وهكذا نرى ان التعبير النبوي لا يعطينا الحقيقة مجردة جافة، بل يعطينا إياها من خلال الأمر صوراً رائعة خلابة، غنية بالمعاني، تعمل على ترسيخ المفهوم في ذهن السامع، فتتحقق المشاركة والتأثير والاستجابة.

(1) نفسه: 51/7 .
(2) يرى العسقلاني ان حمل الأمر على الحقيقة أولى من حمله على المجاز . فتح الباري: 47/7 .

الفصل الثاني

خطاب النهي في الحديث الشريف

الفصل الثاني

خطاب النهي في الحديث الشريف

وأسلوب النهي كسابقه (الأمر) نال عناية الدارسين من الفقهاء والأصوليين لارتباط الصيغة بالأحكام الفقهية.

وهو أسلوب يستعمل في المواقف التي تتطلب الشدة والقوة للتنبيه على خطورة المنهي عنه وعظم شأنه، ولا سيما إن الحديث الشريف قد أفاض في النهي عن الرذائل مطلقاً حسية كانت او نفسية فيكون وقع المعنى على المخاطب بهذا الأسلوب اشد قوةً وتأثيراً من اجل تحقق الاستجابة والإقناع.

النهي في اللغة والاصطلاح

النهي في اللغة خلاف الأمر. يقال نهاه، ينهاه نهياً، فانتهى وتناهى: أي كف وامتنع[1]. وبين السيد الجرجاني صيغته بقوله: " وهو قول القائل لمن دونه لا تفعل " [2].

وعرفه البلاغيون بأنه: " طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام " [3].

ومبحث النهي مقترن بمبحث الأمر عند الأصوليين، " لأن النهي أمر بالترك " [4] . فإذا قلت للإنسان لا تتحرك فكأنك أمرته بالسكون. ويقول السيوطي: " ان النهي يتنزل من الأمر منزلة النفي من الإيجاب " [5] .

(1) لسان العرب (نهى): 218/20 ؛ أساس البلاغة، الزمخشري: 1000 .
(2) التعريفات: 171 .
(3) ينظر، مفتاح العلوم: 152 ؛ الإيضاح: 145/1 ؛ شروح التلخيص: 324/2 ؛ معجم المصطلحات البلاغية: 344/3 .
(4) الأحكام، لأبن حزم: 314/3 .
(5) الأشباه والنظائر في النحو: 255/2 .

صيغة النهي ودلالتها

للنهي صيغة واحدة وهي (لا تفعل) من حرف النهي (لا) والفعل المضارع للمخاطب، كقوله ﷺ: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ... " [1].

وقد يكون للغائب كقوله ﷺ:

" إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين " [2].

ويندر وقوعها على فعل المتكلم[3]. و(لا) الناهية تخلص الفعل المضارع للاستقبال[4].

واشترط البلاغيون الاستعلاء في صيغة (لا تفعل) لتدل على الوجوب والإلزام، وإلا فهي تفيد طلب الترك حسب، كما في قول السكاكي: " والنهي محذو به حذو الأمر في ان أصل استعمال (لا تفعل) ان يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب " [5]. او قد تفيد الدعاء إن استعملت على سبيل التضرع، او الالتماس إن استعملت في حق المساوي في الرتبة. وتعد صيغة (لا تفعل) مستعملة في هذه المعاني حقيقة لا مجازاً[6].

وارى ان هذا المذهب لا مبرر له، سوى الحرس على التنويع في المصطلح، وان صيغة (لا تفعل) إما أن تفيد النهي على الحقيقة في حال توفر شرط الاستعلاء، او معاني أخرى على سبيل المجاز في حال غياب شرط الاستعلاء. وبالتالي ينتفي القول بأن صيغة (لا تفعل) مستعملة في معنى (الدعاء) او (الالتماس) حقيقةً، وانما يعد ما استعملت فيه مجازاً.

وهذا ما عليه جمهور الأصوليين من إن النهي: " حقيقة في طلب الترك واقتضائه، ومجاز فيما عداه " [7].

ويقيناً ان سياق الكلام ودلالة القرائن هما اللذان يعينان ما إذا كان المراد بصيغة النهي حقيقة الإلزام أم معان أخرى على سبيل المجاز، كالكراهة والنصح والإرشاد، وغير ذلك.

---

(1) فتح الباري: 365/5 .
(2) نفسه: 63/3 .
(3) همع الهوامع: 56/2 .
(4) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي: 544/2 ؛ شرح المفصل: 41/7 ؛ مغني اللبيب: 246/1 .
(5) مفتاح العلوم: 152-153 ؛ وينظر، شروح التلخيص: 324/2-325 .
(6) مغني اللبيب: 247/1-248 ؛ شروح التلخيص: 327/2 .
(7) ينظر، الأحكام للامدي: 175/2 ؛ الإتقان: 82/2 ؛ معترك الأقران: 443/1 .

أما فيما يخص زمن الامتثال، فقد ذهب البلاغيون الى أن الأمر والنهي حقهما الفور، والتراخي يوقف على قرائن الأحوال[1]. فعلى هذا إذا قيل للمخاطب: (لا تشرب الخمر)، لا يعد ممتثلاً للنهي إلا إذا كف عن الشرب في الحال. فلو شرب بعد النهي ثم كف لا يكون ممتثلاً، وذلك لعدم الفور في الامتثال الذي اقتضاه النهي[2] .

ومما ذكره البلاغيون ايضا في أسلوب النهي، المقدار الذي تدل عليه صيغة النهي المطلقة، أتدل على (المرة) الواحدة أم على الاستمرار. فيرى السكاكي ان السياق وقرائن الأحوال هي التي تحدد دلالة النهي للمرة او الاستمرار، فإذا كان الطلب راجعاً الى قطع الواقع، كقولك للمتحرك (لا تتحرك) فالأشبه (المرّة) وان كان الطلب راجعاً الى اتصال الواقع، كقولك في النهي للمتحرك (لا تسكن) فالأشبه (الاستمرار) [3].

وذهب المغربي الى أن النهي للفور، وتكرار الكف، ليتحقق نفي المفسدة[4]. وعليه فإن قرائن الأحوال هي التي تحدد مقدار الكف عن الفعل المنهي عنه، ففي قولك: (لا تشرب الخمر) هو غير المقدار الذي يقتضيه النهي في قولك (لا تتكلم) " فالصورتان مشتركتان في الدلالة على طلب ترك الفعل لا غير، ومفترقتان في إرادة دوامه في الأولى، وعدم إرادة دوامه في الثانية " [5].

والأصوليون بحثوا النهي والأمر، وتناولوهما من حيث التحريم او عدمه، او من حيث الفور والتراخي، الى غير ذلك من قضايا شرعية، لأن الأمر والنهي هما صلب التشريع، لذلك يمكن ان تعد مباحثهم مصدراً ثراً للباحثين في هذا الميدان[6] .

والنهي يقترب من الأمر في أوجه ويبتعد عنه في أوجه أخرى، فمما يتفقان فيه:

1. ان كل واحد منهما لابد فيه من اعتبار الاستعلاء.
2. إنهما يتعلقان بالغير فلا يمكن ان يكون الإنسان آمراً لنفسه او ناهياً لها.

---

(1) مفتاح العلوم: 153 ؛ شروح التلخيص: 325/2 .
(2) حاشية الدسوقي – شروح التلخيص: 325/2 .
(3) مفتاح العلوم: 153 .
(4) شروح التلخيص: 325/2 .
(5) ينظر، الأحكام للامدي: 180/2-181 ؛ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي: 472 .
(6) ينظر، البحث النحوي عند الأصوليين، محسن بن العربي، حوليات الجامعة التونسية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، العدد الرابع والعشرون، 1985، ص 435 ؛ التصور اللغوي عند الأصوليين، السيد احمد عبد الغفار: 36 .

3. إنهما لابد من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما.

ومما يختلفان فيه:

1. ان كل واحد منهما يختص بصيغة تخالف الآخر.
2. ان الأمر دال على طلب حصول الفعل، والنهي دال على طلب الامتناع عنه.
3. ان الأمر لابد فيه من إرادة مأمورة، وان النهي لابد فيه من كراهية منهية[1].

معاني النهي في الحديث الشريف

لقد ورد النهي في حديث رسول الله ﷺ، بنوعيه الحقيقي والبلاغي، ويمكننا ان نتبين كليهما من دلالة السياق، ومن المقام الذي هو " جملة الظروف الحافة بتولد النص " على حد تعبير احد الباحثين[2].

يجدر بنا أولاً ان نقف عند المعنى الظاهر المباشر لأسلوب النهي في الحديث الشريف لتتضح لنا بعد ذلك معانيه الثانية، ودلالاته الباطنة العميقة، وهذا ما سماه عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى[3]. وما يذهب اليه علماء النحو التوليدي والمعنيون بالأسلوبية – كما جاء في فرضية تشومسكي – ومؤداها ان التركيب الباطن للجمل قد يكون الأساس العام لدلالة الألفاظ[4].

المعنى الأول (الحقيقي)

في رواية عبد الله بن عمر ﷺ ان النبي ﷺ قال رداً على سؤال رجل: يا رسولَ الله، ماذا تأمرُنا إن نلبَسَ من الثيابِ في الإحرام؟ فقال:

---

(1) ينظر الطراز: 285/3 ؛ أساليب بلاغية: 116 ؛ البلاغة والتطبيق: 129 .
(2) التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود: 201 .
(3) ينظر دلائل الإعجاز: 261-275 .
(4) الأسلوب والأسلوبية، لكراهم هاف، ترجمة كاظم سعد الدين، ص 23 . وللوقوف على آراء تشومسكي ينظر: جوانب من نظرية النحو، تشومسكي، ترجمة مرتضى جواد باقر ؛ ومقالة بعنوان " تشومسكي ومدرسته اللغوية "، د. خليل عمايرة، مجلة الفيصل، العدد (96)، سنة 1985، ص 180 .

" لا تَلبَسوا القميصَ ولا السَّراويلاتِ ولا العمَائمَ ولا البَرانِسَ 000 ولا تَلبَسوا شيئاً مَسَّهُ زَعفَرانٌ ولا الوَرسُ [1] " [2].

وقال ﷺ: " الصِّيامُ جُنّة، فلا يَرْفثْ، ولا يَجْهَل[3] ... " [4].

وقال ﷺ: " لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تُسافِرَنَّ امرأةٌ إلا ومعها مَحْرَم " [5].

(1) الورس: نبت اصفر طيب الرائحة يصبغ به . اللسان (ورس): 141/8 .
(2) فتح الباري: 64/4 .
(3) الجنة: السترة، والرفث: الفحش من القول . الصحاح (جنن) 2094/5 و (رفث): 283/1 . ويجهل على قومه: يتسافه عليهم . أساس البلاغة (جهل): 145 .
(4) فتح الباري: 130/4 .
(5) نفسه: 176/6 .

وقال: " إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ اكذبُ الحديث، ولا تَحسسوا ولا تجسّسوا [1]، ولا تحاسَدوا، ولا تَباغضوا ولا تَدابروا ... " [2].

لقد جاء النهي في الحديث الأول عن لبس الملابس المذكورة على سبيل الوجوب والإلزام، ويلاحظ ان سؤال الرجل كان عما يُلبس فالمتوقع ان يكون الجواب عن ذلك بأسلوب الأمر، ولكن رسول الله ﷺ وهو ابلغ البلغاء واعلم بمقتضيات الأحوال أجاب السائل عما لا يُلبس، وعلة ذلك كما يرى ابن حجر نقلاً عن النووي " ان ما يلبس منحصر فحصل التصريح به، وأما الملبوس الجائز فغير منحصر، فقال: لا يلبس كذا أي ويلبس ما سواه " [3]. وفي هذا إيجاز وحصر ويضيف ان هذا من " بديع الكلام وجزله " [4].

وسواء جاء الجواب بصيغة الأمر او النهي فإن كليهما يتضمنان شرط الوجوب والإلزام، بمعنى ان الغرض المقصود هو حقيقة النهي.

وكان النهي في الحديث الثاني، عن سلوك يتنافى ومقاصد الصوم التربوية، فهو يهدف الى إقامة الموازنة بين الصوم عبادة والجنوح الى السكينة والهدوء واخذ النفس بالصبر، والجلد في المواقف الصعبة، سلوكاً يعبر عن أهداف العبادة التي جاءت لتهذيب النفس وتزكيتها، وعندئذٍ فإن المتلقي لهذا النهي يقف عند حدود الطلب النبوي الكريم ملبياً مستجيباً، غير ناكص او متردد.

وبذلك لا نجد سبيلاً الى حمله على غير الالتزام الذي تتحقق به الموازنة بين العبادة والسلوك الاجتماعي.

وجاء النهي في الحديث الثالث، عن الخلوة بين الرجل والمرأة مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة، وموثقاً بأسلوب القصر في الجملة الثانية المعطوفة على الأولى، مبالغة وإمعاناً في ان هذه الخلوة منهي عنها في عزم وتصميم، حتى لا يكون هناك سبيل الى التردد في هذا النهي، او جواز الأخذ به او تركه، إذن فهو نهي بمعناه الحقيقي.

ويلاحظ ان الرجل والمرأة وردتا نكرة، لإفادة التعميم، وسريان النهي على كل رجل وكل امرأة. وكرر النهي في قوله: " ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم " رغم ان النهي هنا داخل فيما قبله حين نهى عن الخلوة بين الرجل والمرأة – لأن سفر

---

(1) التحسس: طلب الخبر والبحث عنه، وهو شبيه التسمع والتبصر . اللسان (حسس): 350/7 . التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، وقيل البحث عن العورات . اللسان (جسس): 337/7 .

(2) فتح الباري: 589/10 .

(3) نفسه: 512/3 .

(4) نفسه .

المرأة منفردة يؤدي الى الخلوة – وكان يمكن الاستعاضة عنه بالنهي الأول، ولكنه كرر النهي لبيان شدة الحرمة بوجه خاص في سفر المرأة دون محرم[1].

ونهى رسول الله في الحديث الرابع، عن التحسس والتجسس والتحاسد والتباغض والتدابر بعد التحذير من الظن، وصولاً الى الأمر بالتآخي، فقد نهى عن المعنى ثم أعقبه عليه الصلاة والسلام بما يفضي اليه. ان هذه المعاني وردت بأسلوب النهي الصريح لأنها من الأمور الخطيرة التي يجدر بالنفوس المؤمنة ان تبرأ منها وتتنزه عن الأتصاف بها، فلا يجدي غير التعبير المباشر الحاسم، فجاء النهي عن هذه الخصال حاسماً قاطعاً لا يحتمل وجهاً معنوياً آخر غير ما تنطوي عليه العبارات من الدلالة الحقيقية[2].

والأحاديث التي وردت بصيغة النهي بمعناه الحقيقي كثيرة تفوق الحصر. وأرى ان ما ذكرته منها يكفي لإعطاء صورة عن المجموع، لذا سأكتفي بالإشارة الى مواضعها في الهامش[3].

(1) ينظر: من بلاغة النبوة، د. عبد القادر حسين: 62 .
(2) حمل جمهور الفقهاء النهي هنا على التحريم . ينظر، فتح الباري: 249/9 .
(3) ينظر: فتح الباري 266/1، 654، 668، 683 ؛ 340/2، 407؛ 175/3، 642 ؛ 150/4، 176، 366، 477، 478؛ 73/6 ؛ 14/7، 216، 400، 443، 503، 612 ؛ 144/8 ؛ 279/9، 747 ؛ 24/10، 51، 398، 589، 650 ؛ 168/11، 318، 704، 717 ؛ 89/12، 264، 534 ؛ 411/13 .

المعاني الثانية (البلاغية)

لقد كان لأسلوب النهي نصيب كبير في حديث رسول الله ﷺ .

ولقد أفاد أسلوب النهي في كثير من الأحاديث الشريفة معاني ثانية، تستشف بوساطة السياق الذي كثيراً ما يمارس دوراً قسرياً في تفهم العلاقات المعنوية بين الكلمات التي يدركها المتلقي، او يحس بها إحساساً وجدانياً،من هذه المعاني:

1- النصح والإرشاد

لقد كان رسول الله ﷺ معلماً وموجهاً ومربياً للأمة، بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فلا غرابة إذاً ان يكثر في حديثه التوجيه والإرشاد، يسديه الى صحابته والى المسلمين عامة بأسلوب النهي، يتناول معظم جوانب الحياة. من ذلك حديثه عليه الصلاة والسلام:

" لا يقضِينّ حَكَمٌ بين اثنين وهو غَضبانٌ " [1].

وعن أبي هريرة ﷺ ان رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصِني. قال:

" لا تَغْضَبْ " فردد مراراً، قال: " لا تغضب " [2].

وفي حديث آخر قال ﷺ:

" لا تتركوا النارَ في بيوتِكم حين تنامون " [3].

وقال ﷺ في الوباء:

" إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقدموا عليه، وإذا وَقَع بأرض وانتم بها فلا تخرُجوا فِراراً منه " [4].

لقد حمل النهي في هذه الأحاديث الشريفة معنى النصح والإرشاد في جوانب الحياة المختلفة، فالحديث الأول تضمن توجيه المسلمين نحو توخي العدل في الحكم لأنه أساس الملك، ولأجل ذلك نهى عن أن يكون الحاكم غاضباً عند إصدار الحكم، فيزيغ عن الحق ويلحق الظلم بأحد الخصمين، فجاءت النون المؤكدة لتتناسب مع السياق، لأن المقام يحتاج قدراً اكبر من التأكيد، تنبيهاً على مراعاة الحالة النفسية للحاكم وأثرها البالغ في إصدار الحكم لذا كان النهي وتوكيده[5].

وردد رسول الله ﷺ في الحديث الثاني، مراراً صيغة النهي " لا تغضب " في المعنى المذكور ذاته، وفي إيجاز بليغ، بغية إثارة المعاني الدلالية العديدة لهذه اللفظة

---

(1) فتح الباري: 170/13 .
(2) نفسه: 635/10 .
(3) نفسه: 101/11 .
(4) نفسه: 221/10 .
(5) وقد حمل العلماء النهي هنا على سبيل الكراهة . ينظر: عمدة القاري: 234/24 .

في ذهن السائل ونفسه، من اجل تأكيدها وتقريرها فيهما. وهذا من قدرات الخبير بطبائع اللغة الذي يستطيع ان يعبر بكلمة واحدة عن معانٍ لا تستطيع ان تفصح عنها جمل عديدة، فالعبرة بكمية التعابير وتنوعها ودقتها لا بكمية المفردات[1].

فالغضب عدو لصاحبه قد يفضي به الى عمل لا تحمد عقباه في الدنيا والآخرة. وبما ان الغضب حالة لا شعورية تتملك الإنسان فجأة فيقع تحت وطأتها، لذا لا يمكن ان نعد النهي هنا حقيقياً، وانما الانتهاء عما يأمر به الغضب من الأقوال والأفعال مستحسن ومفضل يصون من يمتثل له، ويبقي على فضائله، لذلك عد هذا النهي من قبيل النصح والإرشاد.

وكذلك الحال في الحديثين الأخيرين، كان النصح فيهما مصوغاً بأسلوب النهي، لما في هذا الأسلوب من التأكيد ولفت الانتباه من اجل سلامة الفرد والمجتمع من مخاطر الحريق والمرض المهلك.

ويجدر بنا أن نقول إن معظم ما جاء في هذا الغرض يتعلق بالأمور الدنيوية التي تنظم حياة المجتمع الإسلامي وتقوي أواصر المحبة والتعاون بين أفراده، وتحافظ على سلامة أبنائه، ليتحقق بقاؤه قوياً معافى[2].

2- الكراهة

لقد وردت طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة تنهى المسلمين عن أمور مختلفة تتجلى في حياتهم العامة، ولم يقصد بالنهي الإلزام، وانما قصد اجتناب تلك الأمور وكراهية الوقوع فيها. من ذلك قوله ﷺ:

" من أكلَ من هذه الشجرةِ – يعني الثُّومَ – فلا يَقربَنَّ مَسجدَنا " [3].

" لا تعذِّبوا بعذابِ الله " [4].

" لا تَحرَّوا [5] بصلاتِكُم طلوعَ الشمسِ ولا غُروبَها " [6].

" سَمّوا باسمي ولا تُكنّوا بكُنْيَتي " [7].

---

(1) في الأدب والنقد، محمد مندور: 21 .

(2) ينظر، فتح الباري: 266/2، 340 ؛ 430/3 ؛ 130/4، 253 ؛ 40/5، 365 ؛ 192/6، 199 ؛ 185/10، 295، 589، 650، 651 ؛ 301/11 ؛ 376/12، 457، 215 .

(3) فتح الباري: 431/2 .

(4) نفسه: 184/6 .

(5) لا تحروا: أي لا تتحروا فحذفت إحدى التائين تخفيفاً . والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، الطلب، والعزم على تخصيص الشيء في الفعل والقول . النهاية في غريب الحديث والأثر: 376/1 .

(6) فتح الباري: 73/2 .

(7) نفسه: 426/4 .

لقد أفادت هذه الأحاديث الشريفة معنى الكراهة، فالثوم، في الحديث الأول، له رائحة كريهة، قد تؤذي جماعة المصلين، لذا جاء النهي عن الصلاة في المسجد لآكل الثوم بلفظ (القرب) مؤكدة للمبالغة في النهي عن الفعل مراعاة لمشاعر المصلين وراحتهم. وقد ورد النهي في تضاعيف الشرط مما يبعد الشبهة عن شخص بعينه صدر عنه الفعل، وهذا من أدب الرسول الكريم في محادثة أصحابه.

وجاء النهي عن التعذيب بعذاب الله، في الحديث الثاني، والمقصود التعذيب بالنار، لأنه خاص بالله – عز وجل – كراهة ان يستوي العبد وخالقه في وسيلة التعذيب[1].

أما في الحديث الثالث، فقد جاء النهي عن أداء الصلاة – قصداً او من غير قصد – في أوقات طلوع الشمس او غروبها، فهي أوقات تكره الصلاة فيهما، خشية ان يتوافق سجود المسلم مع عبدة الشمس في مثل هذه الأوقات[2].

وأوحى النهي، في الحديث الأخير، بكراهة ان يكنى الرجل بكنية رسول الله ﷺ لئلا يحصل الوهم واللبس، لذا فقد نبه الرسول ﷺ على ذلك. وذكر شراح الحديث[3] ان النهي حمل معنى كراهة تنزيه[4] .

3- الحث

ويخرج النهي في الحديث النبوي أحياناً الى معنى الحث والحض على الشيء المستحب، كما في قوله ﷺ: " اجعَلوا في بُيوتِكم مِن صَلاتِكم، ولا تتَّخذوها قُبوراً "[5] .

وقال ﷺ مخاطباً النساء: " يا نساءَ المسلماتِ لا تحقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو فِرْسَنَ شاة[6] "[7].

وقال ﷺ يوم الأحزاب: " لا يصلّين احدّ العصر إلا في بني قريظة[8] "[1] .

---

(1) ذكر شراح الحديث ان هناك من أخرج النهي فيه على سبيل التواضع . فتح الباري: 184/6 ؛ عمدة القاري: 220/14 .
(2) فتح الباري: 419/6 ؛ 76/2 .
(3) ينظر: فتح الباري: 701/10 ؛ شرح الكرماني: 116/2 .
(4) ينظر المعنى نفسه، فتح الباري: 656/1 ؛ 54/2، 152 ؛ 160/4، 454 ؛ 174/6، 432 ؛ 692/9، 692/9، 747 ؛ 464/10-465 ؛ 196/11 .
(5) فتح الباري: 696/1 .
(6) الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو للبعير موضع الحافر للفرس، ويطلق على الشاة مجازاً . النهاية: 429/3 .
(7) فتح الباري: 246/5 .
(8) لما انصرف النبي ﷺ من غزوة الخندق راجعاً الى المدينة أتاه جبريل الظهر، وابلغه امر ربه ربه بالسير الى بني قريظة، فذكر الحديث . ينظر: فتح الباري: 519/7 .

وقال ﷺ في بيان أفضل الصدقة: " إن تَصَدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ حريصٌ، تأمُلُ الغِنى وتَخشى الفقرَ، ولا تُمهِلْ حتى إذا بَلَغَتِ الحَلقومَ قلتَ: لِفُلانٍ كذا ولِفُلان كذا، وقد كان لِفُلان " [2].

فالمتلقي لهذا النوع من النهي النبوي لا يساوره شك في ان النبي ﷺ أراد بهذه الأحاديث الحث والحض.

فقد حث على الصلاة في البيوت، إذ نهى عن جعلها قبوراً ساكنة تضم أمواتاً لا يملكون مقومات الحياة التي تجعلهم يستذكرون موجودها.

وخاطب النساء في الحديث الثاني بـ (يا نساء المسلمات) لأنه في مقام المدح لهن ليحثهن على التوادد والتآلف والتهادي بين الجيران، وقد ساهمت الكناية في توكيد المعنى وتقويته، أي لا تمنع جارة ان تهدي الى جارتها شيئاً ولو كان مما لا ينتفع به، بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وان كان قليلاً، عبر عنه بالفرسن مبالغة، فهو خير من العدم.

وخص النساء بالخطاب لأنهن القائمات على شؤون الطعام والشراب في البيوت ولأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منهما[3][4]. فقد أراد للمسلمات التحابب والمواددة والحفاظ على الصلة بينهن ليشددن من أزر المسلمين في الجهاد والبناء وترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية.

ويلاحظ ان صيغة النهي قد وردت في الحديثين السابقين في إطار صورة فنية تعتمد التشبيه والكناية محوراً لأداء المعنى، ولاشك ان الصورة أوقع فعلاً في النفس وأعمق أثراً في ذات المتلقي لما تحمله من دلالات تجسد المعنى، وتثبت الحياة في الموات، فتبدو صيغة النهي في إطار هذه الصورة ركناً متيناً تستند اليه مفاصل الصورة، وتتواشج معه لتعبر وتؤثر وتحدث الاستجابة المطلوبة.

ولم يحمل النهي في الحديث الثالث دلالة الحث على الإسراع في الوصول الى بني قريظة حسب، وانما المبالغة في الإسراع. وجاء التعبير بأسلوب النهي المؤكد الذي كانت النون فيه بمثابة منبه تعبيري، او أداة قرع للنفوس لئلا تغفل او تسهو عن ذلك.

---

(1) فتح الباري: 555/2 .
(2) نفسه: 469/5 .
(3) ينظر: فتح الباري: 546/10 .
(4) وذكر الكرماني ان النهي يحتمل ان يكون للمعطية أي لتجود بما تيسر وان كان قليلاً، ويحتمل ان يكون للمهدي اليها نهياً لها عن الاحتقار . شرح الكرماني: 110/11 . وقد اعترض ابن حجر على حمل النهي على المهدي اليها إلا بجعل اللام في قوله (لجارتها) بمعنى (من) . فتح الباري: 546/10 .

وتشير صيغة النهي (ولا تمهل) في الحديث الأخير الى الحث على جعل الصدقة جارية غير منقطعة حتى الموت، وقد كنى عنه بـ (بلغت الحلقوم) على تقدير الفاعل (الروح).

ويلاحظ انه ﷺ عدل عن الأسلوب الخبري الذي ابتدأ به الكلام " أن تصدق وأنت صحيح ... " الى الأسلوب الطلبي " ولا تمهل ... " من اجل تنبيه المخاطب أن الحديث قد بلغ مقطعاً مهماً من المعنى يجب عليه أن يلتفت اليه. وهذه قاعدة عامة في كل مخالفة[1]. فتوجيه الحث اليهم بصيغة النهي دلالة على اهتمام المتكلم بهذا الأمر وتأكيد إبرازه لينال العناية المطلوبة في النفس المتلقية[2].

4- الزجر

وقد ورد هذا المعنى بأسلوب النهي، وذلك لما في هذا الأسلوب من قوة وردع لازمين في مواقف تصحيح العقيدة وتقويم الاعوجاج. وفيما يأتي طائفة من الأحاديث الشريفة التي تحمل في دلالتها هذا المعنى، قال ﷺ:

" لا تَسبّوا أَصحابي، فلو أنَّ أحدَكم انفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بَلَغَ مُدَّ احدِهم ولا نَصيفَه[3] " [4].

" لا تُخَيّروا بين الأنبياء، فإنَّ الناسَ يُصْعَقونَ يومَ القيامةِ فأكونُ أوَّلَ مَن تَنشقُّ عنه الأرضُ، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فلا أدري أكانَ فيمَن صَعِقَ أم حُوسبَ بصَعقةِ الأولى " [5].

وقال ﷺ لأحد أصحابه عندما رمى رجلاً بالنفاق:

" لا تَقُلْ ذلك، ألا تَراهُ قد قال لا إله إلا الله يُريدُ بذلكَ وَجهَ الله " [6].

وقال ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ عندما أراد ان يشتري فرساً كان قد أعطاه صدقة لرجل: " لا تَشْتَرِه وان اعطاكَهُ بدِرهَمٍ واحد، فإنّ العائدَ في صدَقتِهِ كالكلبِ يَعودُ في قَيئِهِ "[7].

لقد جاء الزجر والتوبيخ بأسلوب النهي لأنه اشد وقعاً وابلغ تأثيراً من غيره في مقام يتطلب مثل هذا الموقف.

---

(1) خصائص التراكيب: 205 .
(2) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 1/114-115 ؛ 3/62، 382 ؛ 5/138، 246 ؛ 8/72 ؛ 9/720 ؛ 10/725 .
(3) المد: ربع الصاع، وانما قدره به لأنه اقل ما كانوا يتصدقون به في العادة . النهاية: 4/308 و 5/65 . والنصيف هو النصف .
(4) فتح الباري: 7/24 .
(5) نفسه: 5/90 .
(6) نفسه: 1/683 .
(7) نفسه: 5/293 .

فالنهي في الحديث الأول لجماعة المخاطبين والمراد احدهم[1]، لكن الرسول ﷺ لكرم أخلاقه لم يعينه حفاظاً على مشاعره من ان تخدش امام صحبه، ولكنه يستشف الزجر والتوبيخ على ما بدر منه من سب لصاحب رسول الله.

وأصحاب رسول الله – رضوان الله عليهم – في منزلة خاصة لا يلحق احد شأوهم في الفضل والأجر، الذي تفصح عن مقداره الصورة التشبيهية (مثل احد ...) وبخاصة انهم ينتمون الى الرسول الكريم بدليل إلحاق ياء الملكية بلفظ (أصحاب)، دلالة على حبه لهم واعتزازه بهم، لكل ذلك فهو ينهى موبخاً من تسول له نفسه سبهم.

وجاء النهي في الحديث الثاني، مصحوباً بالزجر وتوبيخ ذلك المسلم الذي لطم يهودياً على وجهه لأنه قال: " والذي اصطفى موسى على العالمين " [2]. فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه[3]. لأن المفاضلة بين الأنبياء قد تفضي الى الخصومة والفتنة[4]، لذا فقد رأى رسول الله انه يحتاج الى أسلوب رادع حاسم تكفّلت صيغة النهي بالتعبير عنه.

ويتجلى معنى الزجر والتوبيخ في الحديث الثالث، وذلك لكون المخاطب مجانباً للحق في وصف الرجل المسلم بالنفاق، إذ إنه يكفي ان يقول المسلم كلمة التوحيد يبغي بها وجه الله ورضاه، فهي شفيعته عند الرسول ﷺ فلا يصح ان يوصف بالنفاق، هذا فضلاً عن ان المخاطب اغتاب صاحبه في حضرة الرسول الكريم. وهاتان الصفتان ذميمتان تنخران في المجتمع الإسلامي اقتضتا نهي رسول الله عنهما بشدة.

أما في الحديث الأخير[5]، فقد اقترن النهي عن استعادة الصدقة بالصورة التشبيهية (العائد في صدقته كالكلب ...) التي تحفل بالدلالات وتحمل في أعماقها مقومات الخطاب النفسي المثير، فهذا العائد يوحي بنفسية قلقة تحيد عن الأعراف الاجتماعية السليمة، ولا تحسب حساباً للمدلولات الطبيعية للتهادي، مما حث عليه الشرع في توجيهاته، لذلك اقتضى الأمر ان يأتي إزاءه ردع قوي، فكانت صورة الردع مصورة بالكلب يتقيأ، من اجل زيادة الاشمئزاز والتنفير من المنهي عنه.

لقد تجاوز الحديث هنا الإبلاغ الى الإثارة وهذه هي وظيفة اللغة، إذ ان اللغة في الواقع – كما يقول جارلس بالي – تكشف في كل مظاهرها وجهاً فكرياً ووجهاً

---

(1) هو خالد بن الوليد الذي كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه، فذكر الحديث . ينظر، فتح الباري 41/10 .

(2) ينظر في تفاصيل الحديث: فتح الباري: 544/6 .

(3) ذكر ذلك الشارح عن رواية ابن الفضل . ينظر فتح الباري: 548/6 .

(4) النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها . قال تعالى (لا نفرق بين احد من رسله) البقرة / 285 . 285

(5) وحمل شراح الحديث النهي فيه على التنزيه . ينظر، شرح الكرماني 146/11 ؛ فتح الباري: 294/5، 296 .

عاطفياً، ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري، وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها[1] . ومقومات بلاغه الحديث النبوي الموهبة والفطرة ومراعاة مقتضيات الأحوال[2] .

5- التنبيه

لقد نبه النبي ﷺ المسلمين في مواقف كثيرة على أخطاء ارتكبوها او سلوك غير مستساغ، والتنبيه يأتي عادة بعد الإرشاد والتوجيه، ولذلك فهو اشد منهما، وكأنه مرحلة ثانية تتلو التوجيه، كما جاء في قوله ﷺ:

" اعتدِلوا[3] في السُّجودِ، ولا يَبْسُط أحُدكم ذِراعَيه انبِساطَ الكلبِ " [4].

وعن عبد الله المزني إن النبي ﷺ قال:

" لا تَغْلِبَنكُم الأعرابُ[5] على اسمِ صلاتِكمُ المغربِ ".

قال: وتقول الأعراب هي العشاء[6].

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ، إذ سمِعَ جَلَبَة رجالٍ، فلما صلى قال: ما شأنُكم؟ قالوا: استعجلنا الى الصلاة. قال:

" فلا تفعلوا. إذا أتيتُمُ الصلاةَ فعليكم بالسَّكينةِ، فما أدْركتُم فصلُّوا، وما فاتَكم فأَتِمّوا " [7] .

لقد جاء النهي في الحديث، تأكيداً لفعل الأمر (اعتدلوا) الذي بدأ رسول الله كلامه به، عناية بهذا الأمر لأن توكيد المعنى لا يكون إلا في مقام له شأن. والحكمة في هذا الأمر انه أكثر دلالة على التواضع وابلغ في تمكين الجبهة من الأرض،

---

(1) الأسلوبية والنقد الأدبي، د. عبد السلام المسدي، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، السنة الثانية، العدد الأول، 1982 م، ص 40 .

(2) ينظر الغرض نفسه في فتح الباري: 697/1 ؛ 617/4 ؛ 256/5-257 ؛ 174/9، 417 ؛ 77/12 ؛ 155/13 .

(3) الاعتدال: الاستقامة . اللسان (عدل): 459/13 . أي كونوا متوسطين بين الافتراش والقبض . شرح الكرماني: 174/5 .

(4) فتح الباري: 383/2 .

(5) يقال غلبه على كذا: استولى عليه قهراً . اللسان (غلب): 143/2 . والأعراب من كان من اهل اهل البادية وان لم يكن عربياً، والعرب من ينتسب الى ولد إسماعيل ولو لم يسكن البادية، والنسب اليهما أعرابي وعربي . معجم مفردات ألفاظ القرآن: 340 .

(6) فتح الباري: 54/2 .

(7) نفسه: 148/2 .

ولاشك إن إراحة المصلين في صلاتهم من شؤون العبادة ينبغي مراعاتها، لذا أعقب الأمر النهي.

وقد جاء النهي متآزراً مع صورة تشبيهية منكرة منفرة، من اجل زيادة ترسيخه في الذهن، وتعميق استجابة النفس الى الكف عنه بشكل أطوع وأسرع.

ونهى النبي ﷺ، منبهاً المسلمين، عن إطلاق لفظ (العشاء) على صلاة المغرب، في الحديث الثاني، كما هو متداول بين الأعراب، فيغلب هذا المصطلح خطأً على الاسم الذي شرعه رسول الله. وذلك لأن لفظ العشاء لغةً هو أول ظلام الليل[1]، وذلك من غيبوبة الشفق، فلو قيل للمغرب عشاءً، لأدى فهمها الى أن أول وقتها غيبوبة الشفق، وهذا الوقت متأخر عن المغرب.

ولما كان الأمر يتعلق بفريضة تعد من أهم فرائض الإسلام أراد رسول الله ﷺ حمل المصلين على توخي الدقة في مواعيد صلاتهم.

أما الحديث الأخير فقد نبه رسول الله ﷺ أصحابه فيه على مجانبة الاستعجال بأسلوب النهي. وقد عدل عن التعبير بـ (لا تستعجلوا) الى صيغة (لا تفعلوا) ربما لأن الفعل مبهم يوحي بدلالات متعددة، فهو ينبئ عما يترتب على الاستعجال من أمور كالاضطراب، واجتناب الوقار، والقلق، والجلبة. وكل هذه الأفعال والمشاعر تستبدل عند المصلين بما يقابلها من الثبات والراحة والهدوء، والتزام الوقار في الهيئة، عندما يستمعون الى تنبيه الرسول ﷺ (لا تفعلوا) الذي يحمل في طياته التسامح في التأخير، وتأكيداً لرغبة الرسول الكريم في تحقيق الراحة النفسية للمستعجلين، أعقب نهيه بأسلوب طلب آخر هو الأمر (فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا) يحمل دلالة السماح والإباحة[2] .

6- التأديب

ويتضمن معنى التقويم وتصحيح العادات السيئة، وإقامة خلق إسلامي خالص، وتربية للشخصية المثالية في إطار النظرة الإسلامية العامة للسلوك الاجتماعي.

وأسلوب النهي يسعف بتحقيق هذه الأهداف، لذلك ورد قوله ﷺ بهذه الصيغة. من ذلك: " لا يقولنَّ أحدُكم خَبثتْ نفسي، ولكن ليقلْ لَقِسَتْ نفسي[3] "[4] .

" إذا شَرِبَ أَحدُكم فلا يتنفَّسْ في الإناءِ 000 " [1] .

---

(1) اللسان (عشا): 289/19 . وقيل (العشي) ما بين زوال الشمس وغروبها، وقيل من زوال الشمس الى طلوع الفجر . الصحاح: 2426/6 .

(2) وهناك أحاديث أخرى تحمل المعنى نفسه . ينظر، فتح الباري: 339/1، 315، 623 ؛ 152/2 ؛ 77/12 ؛ 469/13، وكثير غيرها كان التنبيه فيها معنى مؤازراً لمعنى آخر .

(3) الخبث: ضد الطيب من الرزق والولد والناس . اللسان (خبث): 447/2 . واللقس: الغثيان، اللسان (لقس): 92/8 ؛ وينظر: النهاية: 264/4 .

(4) فتح الباري: 689/10 .

" لا تَسُبّوا الأمواتَ، فإنّهم قد أفضَوا[2] الى ما قَدّموا " [3] .

" إذا أَطالَ أحدُكم الغَيبةَ فلا يَطرُقْ[4] أهلَهُ ليلاً " [5] .

لقد كره رسول الله ﷺ ان ينسب المسلم الخبث الى نفسه، فنهى عن ذلك، في الحديث الأول، وللدلالة على تثبيت هذا الأمر وترسيخه في نفوس المخاطبين أكد الفعل بالنون الثقيلة، من اجل ان يقطع الصلة بين المسلم وبين أهل الشر كلما أمكنه ذلك حتى ولو كان في الألفاظ المشتركة، فأختار اللفظة البريئة من ذلك[6] . وطلب من المسلمين الاقتداء به تنزيهاً لهم عن القبح في آداب الكلام. وفضلاً عما ذكر من قبح اللفظة، فإن الخبث يجمع أموراً زائدة على المراد، فهو يطلق على الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبيح في الفعال كما ذكر الراغب[7] بخلاف اللقس فأنه يختص بامتلاء المعدة[8] .

وفي هذا دلالة على فصاحته وذوقه العربي الأصيل في انتقاء الألفاظ، وتخير الكلام الذي يحسن التخاطب به في المجتمع الإسلامي.

وفي آداب الطعام والشراب نهى النبي ﷺ شارب الماء عن التنفس داخل الإناء، فقد يخرج من النفس بصاق او مخاط او بخار ردئ من المعدة فيكسبه رائحة كريهة، فيتقذر بها او غيره عن شربه. فالنهي كما هو واضح أفاد معنى التأديب في الأكل والشرب، حفاظاً على النظافة والذوق العام[9] .

وجاء النهي ضمن أسلوب شرطي مما يوحي بأن الرسول ﷺ لعظم خلقه لم يرد إن يقصد واحداً بعينه لئلا يخدش حياءه، او كأن الفعل لم يقع من احد بعد.

ونهى النبي ﷺ، في الحديث الثالث، عن سب الأموات تأديباً للإحياء في الحفاظ على ذكرى الأموات وحرماتهم، لأنهم قد انقطعوا عن عملهم ولاقوا عند ربهم جزاء ما صنعوا سواء أكان خيراً ام شراً. فكان الخطاب بأسلوب النهي الدال على الطلب، الذي هو اقوى ردعاً واشد وقعاً في النفس مما لو جاء بصيغة أخرى.

---

(1) نفسه: 113/10 .
(2) أفضوا: وصلوا اليه، والإفضاء الانتهاء . اللسان (فضا): 16/20 .
(3) فتح الباري: 330/3 .
(4) المقصود بالطروق المجيء بالليل من سفر او من غيره عن غفلة . النهاية: 121/3 .
(5) فتح الباري: 424/9 .
(6) لقد كان من سنته تبديل الاسم القبيح بالحسن كلما أمكنه ذلك . ينظر: فتح الباري: 690/10 ؛ عمدة القاري 201/22 .
(7) معجم مفردات ألفاظ القرآن:141-142 .
(8) فتح الباري: 690/10 .
(9) وهذا ما ذهب اليه عدد من شراح الحديث ايضا . ينظر: شرح الكرماني 199/2 ؛ فتح الباري: 114/10 .

ونهى النبي ﷺ عن الطروق، لئلا يطلع الطارق على ما تنفر نفسه عنه، كأن يجد أهله على غير اهبة من التنظيف والتزيين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما. فعمد الى أسلوب النهي لتنبيه الزوج على صون العلاقة الزوجية وترسيخها بمراعاة آداب العشرة وبما يحفظ الود، ويقيم أسرة متماسكة مثمرة[1] .

7- التحذير

ومما خرج اليه النهي في الحديث النبوي الشريف التحذير من أمور واقعة خوف الفتنة وانقسام المسلمين.

من ذلك قوله ﷺ في حجة الوداع: " لا ترجعوا بعدي كفاراً[2] يَضرب بعضكم رقابَ بعض " [3].

وقال ﷺ : " يُوشِكُ الفُراتُ أن يَحسِرَ عن كنزٍ [4] من ذهبٍ، فمن حضَرَهُ فلا ياخُذْ منه شيئاً[5].

وقال: " لا تُطروني[6] كما أطرَتِ النصارىَ ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبدهُ، فقولوا: عبد اللهِ ورسوله " [7].

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: " يا عبدَ اللهِ، لا تكنْ مثلَ فلانٍ كان يقومُ من الليل فترك قِيام الليل " [8].

لقد امتدت تعليمات وتحذيرات الرسول الكريم الى ما سيقع مستقبلاً، يرسم بها طريق الغد للمسلمين، ويحفظ لهم أمنهم وسلامتهم.

ففي الحديث الأول كان الغرض من النهي التحذير مصحوباً بالزجر من الخصام والفرقة المفضيين الى ضعف المسلمين في الدنيا وخسرانهم في الآخرة. ان

---

(1) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 623/1 ؛ 184/6 ؛ 378 ؛ 202/12 .
(2) وقد اختلف الفقهاء في المراد بالكفر، فمنهم من حمله على الحقيقة أخذاً بالظاهر، ومنهم من أوله على التشبيه أي تفعلون فعل الكفار في قتل بعضهم بعضاً، وأقوال أخرى تقارب العشرة . ينظر، شرح الكرماني 139/2 ؛ فتح الباري 238/12-239 ؛ 33/13 .
(3) فتح الباري: 135/8 .
(4) يحسر أي يكشف، والكنز في الأصل هو المال المدفون تحت الأرض . النهاية: 203/4 .
(5) فتح الباري: 98/13 .
(6) الإطراء: مدح الرجل بما ليس فيه، او هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه .
(7) فتح الباري: 591/6 .
(8) نفسه: 47/3 .

جسامة الموضوع وخطورة مضمونه، وما ينطوي عليه من حرص وقلق، لا يحسن ان يساق الى المسلم إلا في أسلوب يحمل دلالة التحذير في حسم وقوة.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن اخذ شيء من الذهب او الدنانير، في الحديث الثاني، التي سينحسر عنها الفرات فتنكشف، وذلك للحفاظ على الأنفس التي يمكن ان تتعرض للأذى او الموت بسبب أطماع الآخرين بهذا الكنز.

وقد نبه رسول الله، في الحديث الثالث، وحذر أصحابه من إطرائه، خوفاً من ان ينسبوا اليه صفات وأموراً ليست فيه، وربما يبدر منهم ما يعد تجاوزاً للحقيقة يأثمون بسببه، كما فعل النصارى مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام حينما ادعوا انه ابن الله تعالى، فضلوا الصراط المستقيم.

أما النهي في الحديث الأخير فقد جاء لشخص معين هو الصحابي عبد الله رضي الله عنه فقد حذره رسول الله من ان يكون مثل (فلان)، ولم يصرح باسمه تستراً عليه ودفعاً للتشهير به. فما أعظم خلقك يا رسول الله ! لقد كان يراعي الأحوال النفسية لأصحابه حتى عندما كان يريد ان يقوم اعوجاجهم.

ويلاحظ ان التحذير قد جاء – في الحديثين الأخيرين – متواشجاً مع الصورة التشبيهية، لتقريب المعنى الى مدارك المخاطب وترسيخه، وهذا أمضى أثراً في النفس، وابلغ في تعميق الدلالة مما لو جاء التحذير دون تشبيه[1].

(1) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 654/1 ؛ 413/9 .

8- الإباحة

كثيراً ما استفتى المسلمون نبيهم الكريم ﷺ في أمور الفرائض والعبادات، وافتاهم بأساليب مختلفة، منها أسلوب النهي الموحي بالإباحة والسماح، من ذلك قوله ﷺ:

" لا يَمنعنَّ أحَدكم أذانُ بلالٍ من سَحورِه، فأنه يؤذِّنُ بليلٍ، لِيرجعَ قائمَكم، ولِيُنبّهَ نائمَكم " [1].

وفي إباحة خروج المرأة الى المسجد قال ﷺ:

" إذا استأذنتِ امرأةُ أحدِكم فلا يَمنعْها " [2].

وقال ﷺ في ما يؤكل من لحوم الأضاحي[3]:

" لا تأكلوا إلا ثلاثةَ أيام " [4].

فالنهي كما يدل عليه سياق الحديث الأول أفاد معنى الإباحة والسماح للصائم باستغلال وقته قبل صلاة الصبح، فالوقت المحصور بين أذان بلال وقبيل صلاة الفجر، يباح فيه التسحر او التطهر او الراحة لمن أراد ذلك. ولأن بالنفوس ميلاً في تلك اللحظات الى ان تظل مستمتعة بالطعام والشراب، جاءت النون متصلة بالفعل المنهي عنه للمبالغة في التأكيد.

ونهى الرسول ﷺ الرجال عن منع النساء من الخروج الى المسجد إذا استأذن في ذلك، ويفهم من دلالة السياق إن ما يراد به هو معنى الإباحة والسماح لهن في الخروج الى المسجد.

ويفهم من النهي في الحديث الأخير إن النبي ﷺ أباح للمضحي ان يأكل وأهله من لحم أضحيته ثلاثة أيام فقط، وغرض النبي من هذا التحديد هو الحث على إشراك عدد اكبر من الناس بهذا الطعام بدل استئثار المضحي به، وفي ذلك تواد وتراحم.

9- الوعيد

وقد لا يكون التحذير كافياً في مواقف تستدعي الشدة والردع، فيأتي الحديث متوعداً منذراً من سوء العاقبة، ومما ورد في ذلك قوله ﷺ:

" إنكم تختَصمونَ إليَّ، ولعلّ بعضَكم ألحنُ[1] بحجّتِهِ من بعض، فَمَن قَضيتُ له بحقِّ أخيهِ شيئاً بقولهِ فإنما اقطعُ لهُ قِطعةً من النارِ، فلا يأخُذْها " [2].

---

(1) فتح الباري: 132/2 .
(2) نفسه: 446/2 .
(3) ورد النهي في عام جاع الناس فيه فأراد رسول الله ان يطعم الغني الفقير، ثم نسخ الحديث فرخص رسول الله بأكل لحم الأضحية متى شاء المضحي . فتح الباري: 32/10 .
(4) فتح الباري: 29/10 .

" لا ترغبوا عن آبائِكم، فمن رَغِبَ عن أبيه فقد كَفَرَ " [3].

وقال ابن مسعود ﷺ: " سمعت رجلاً قرأ أية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية. وقال:

" كِلاكما مُحسِن، ولا تختلِفوا، فإن مَن كان قبلَكم اختلَفوا فهلَكوا " [4].

إن الذي يقدر على تزيين الباطل وإخراجه في صورة الحق، اقتداراً منه على التصرف بأساليب القول، وفطنة بمعانيها ودلالاتها لهو إنسان كاذب ومنافق، لأنه يسعى الى مخالفة الحقيقة والواقع، طمعاً في الحصول على حق غيره، لكن هذا الحق المغتصب هو قطعة من النار تحرق صاحبها، هكذا عبر الحديث الأول عن هذه المغالطة بأن شبهها بالنار المحرقة وهي رمز العذاب الإلهي، فهل يرضى احد إن يمسكها طائعاً؟

إن صورة التشبيه الضمني (فإنما اقطع له قطعة من النار) بدلالته الحسية تكاتفت مع نسيج النهي (فلا يأخذها) في بث مشاعر وجدانية مختلطة تدفع بصاحبها الى النأي بنفسه عن مثل هذا العمل المنهي عنه، وبذلك يتحقق المطلوب.

ويظل النبي ﷺ ينهى عن الكذب وتمويه الحقيقة لما في ذلك من ضرر قد يتفاقم فيؤدي بصاحبه الى الكفر[5]، بل قد يشيع الضرر فيعم المجتمع الإسلامي وينخر في كيانه، كما في الحديث الثاني، الذي خرج النهي لمن يتحول عن نسبته لأبيه الى غير أبيه عامداً مختاراً الى الوعيد، بأنه سينال من العقاب ما يناله الكافر، وفي هذا مبالغة في التحذير أدخلته دائرة الوعيد، لما في هذا السلوك من تبعات اجتماعية ضارة، أظهرتها الحياة الجاهلية قبل الإسلام.

وكان النبي ﷺ يكره إن يختلف المسلمون ويتفرقوا فيهلكوا، لذلك جاء النهي، في الحديث الثالث، عن ذلك حاثاً على التوافق والتآلف. وأعقب صيغة النهي ببيان عاقبة من لم يرعوِ فيقع بمثل ما وقع به الذين اختلفوا من الأقوام السالفة وكانت عاقبتهم الهلاك.

ويلاحظ إن انفعالات الرسول ﷺ كانت تتساوق مع المعنى والأسلوب، حتى لقد أحس الصحابي بانفعاله فعرف ذلك في تعبيرات وجهه. ولابد ان إيقاع الحديث المرافق للحدث الكلامي يشي بأن الوعيد وراء النهي، لأن النغم الذي هو " تنوعات

---

(1) اللحن، بفتح الحاء: الفطنة ؛ وساكن الحاء: الخطأ في الأعراب . الصحاح (لحن): 2193/6 . أراد ان بعضكم يكون اعرف بالحجة وافطن لها من غيره .

(2) فتح الباري: 361/5 .

(3) نفسه: 63-62/12 .

(4) نفسه: 637/6 .

(5) أصل الكفر تغطية الشيء، والمراد بالكفر هنا كفر النعمة . النهاية: 187-186/4 .

في علو النغمة الحنجرية أي في تردد ذبذبات الحبال الصوتية " [1] يعد وسيلة من وسائل الكشف عن معاني الكلام[2].

10- التنزيه

قصد النبي ﷺ معنى التزيه في أسلوب النهي الذي أورده في طائفة من أحاديثه الشريفة، وبخاصة فيما يتعلق بصفات الخالق – سبحانه – كما في الحديث الآتي:

" لا يقُلْ أحدُكم: أَطعِمْ ربَّك، وَضِّئْ ربَّك. ولْيقُلْ: سيّدي مولاي. ولا يَقُلْ أحدُكم: عبدي، أمَتي. ولْيَقُلْ: فَتايَ وفَتاتي وغُلامي " [3].

وقال ﷺ: " لا تُسمّوا العنبَ الكَرْم، ولا تقولوا خَيْبةَ الدهر، فأنَّ اللهَ هو الدهر " [4].

إن الربوبية لله تعالى، وان الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد وترك الإشراك معه. فكره النبي ﷺ له المضاهاة في الاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه.

فالنهي النبوي في الجملتين الطلبيتين، في الحديث الأول، قد تعدى غرضه الحقيقي ليوحي بتنزيه اسم الخالق تعالى عن أن يسمى به مخلوق. ويلاحظ إن السياق يقتضي أن يقال (سيدك) و (مولاك) ليناسب (ربك) ولكن عدل عن ذلك لأن الأول خطاب للسادات والثاني للمماليك أي لا يقول السيد للمملوك اطعم ربك لأن في ذلك نوعاً من التكبر، ولا يقول العبد ايضا لفظاً لا يكون فيه نوع تعظيم له، بل يقول أطعمت (سيدي) او (مولاي) ونحوه [5].

ونهى النبي ﷺ، في الحديث الثاني، عن تسمية العنب بالكرم، وذلك لأن لفظ الكرم كانت العرب تطلقها على شجر العنب وعلى الخمر المتخذة من العنب[6]، فنهى النبي ﷺ عن ذلك تنزيهاً لهذه الفاكهة ان يقترن اسمها بشيء حرمه الإسلام.

وكذلك نهى رسول الله عن سب الدهر لأن من اعتقد انه الفاعل للمكروه فسبه اخطأ، لأن الله تعالى هو الفاعل، فإذا سب من انزل ذلك رجع السب الى الله – عز وجل -.

وفي كلتا الجملتين أفاد النهي التنزيه عما يوقع في الخلط واللبس.

---

(1) علم الأصوات، بارتيل مالمبرج، تعريب د. عبد الصبور شاهين: 209 .
(2) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 230/12 .
(3) فتح الباري: 222/5 .
(4) نفسه: 691/10 .
(5) ينظر: شرح الكرماني 97/11 .
(6) عمدة القاري: 203/22 ؛ فتح الباري 694/10 .

11- التأنيس والمواساة والتسلية

وقد يخرج النهي النبوي الى ما يؤنس المخاطب، ويسليه، ويصبره ويخفف عنه شدة الحزن ووطأة الألم والضيق، كما جاء في حديث رسول اله لجابر بن عبد الله ﷺ [1] عندما كان يبكي اباه ساعة مقتله:

" لا تبكِه، ما زالتِ الملائكةُ تظلُّهُ بأجنحَتها حتى رُفِعَ " [2].

ونهى رسول الله ﷺ صاحبه أبا بكر عن البكاء بعد خطبة له عليه الصلاة والسلام قال فيها " ان الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله ... " فبكى أبو بكر ﷺ لأنه علم بأن ذلك إيذاناً بدنو اجل رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله مواسياً:

" يا أبا بكر لا تَبكِ، إنّ أَمَنَّ [3] الناسِ عليَّ في صُحبتِهِ ومالِهِ أبو بكر، ولو كنتُ مُتّخِذاً خليلاً مِن أَمّتي لأتَّخَذْتُ أبا بكر، ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلام ومَوَدَّتُهُ. لا يَبقينَّ في المسجدِ بابٌ إلاّ سُدَّ، إلا بابُ أبي بكرٍ " [4].

فصيغة النهي في الحديثين لا يمكن حملها على معنى الكف عن البكاء على وجه الوجوب والإلزام، لأن البكاء أمر تفيض به النفس ألماً وحزناً، ولا يمكن التحكم فيه، وإنما كان النهي تعزية للمخاطب، ومؤانسة لنفسه الحزينة وتسلية لها.

ثم يزيد هذا الائتناس بالجملة الخبرية التي تعقب صيغة النهي، ليبدد كلياً حالة الحزن تلك، فهذا الجليل القدر – في الحديث الأول – الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكى عليه، بل يفرح له بما صار اليه.

وجاء كلام رسول الله في أبي بكر منبعثاً من القلب يواسي صاحب عمره، ويسري همه بالكشف عن منزلته الخاصة التي انماز بها بين أصحابه، فهو أكرمهم صحبة وأقربهم الى نفسه، على هذا الوجه من التأكيد للجملة الاسمية ليتناسب مع حالة الحزن، فتواسي القلب المكروب وتعون عليه مشاعر الأسى والألم.

12- التشريف

روى انس ابن مالك ﷺ أن النبي ﷺ رأى نخامة[1] في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده وقال:

---

(1) واختلف شراح الحديث في المخاطب فذكر الكرماني والبدر العيني ان النهي لجابر وذكر ابن حجر ان ظاهر الحديث انه نهى لجابر الا انه ليس كذلك بل هو لفاطمة بنت عمرو عمة جابر . ينظر: شرح الكرماني 13/16 ؛ عمدة القاري: 164/17 ؛ فتح الباري: 479/7 .

(2) فتح الباري: 476/7 .

(3) المن: العطاء، أي أكثرهم جوداً بنفسه وماله، وليس هو من المنة الذي هو الاعتداد بالصنيعة، فتح الباري: 735/1 ؛ شرح الكرماني: 128/4 ؛ النهاية: 365/4 .

(4) فتح الباري: 734/1 .

" إنَّ أحدَكم إذا قام في صَلاته فأنهُ يُناجي ربَّهُ، فلا يَبزُقَنَّ[2] أحدُكم قِبَلَ قِبلتهِ، ولكنْ عن يَسارِه او تحتَ قَدَميهِ " [3].

وفي معنى تشريف القبلة أيضا ورد الحديث الشريف:

" إذا أتيتُمُ الغائطَ فلا تَستقبِلوا القِبلةَ ولا تَستَدْبِروها، ولكنْ شَرِّقوا أو غَرِّبوا " [4].

القبلة رمز للمسلم تجتمع فيه كل معاني الإيمان والخشوع والإخلاص في مناجاة الله سبحانه، لذا أراد رسول الله إن يوقظ إحساس المسلم بشرف القبلة، ويثير مشاعره نحو تنزيهها عن كل ما يشين معانيها السامية، أليست هي الموضع الذي يصل العبد بربه؟ فكره رسول الله ﷺ أن يتجه قبالة هذا الرمز الروحي بما ينفثه الجسد من مخلفات كالبصاق وغيرها من الأوساخ، حفاظاً على قدسية وشرف هذا الرمز المجسم بالقبلة. فالنهي – كما أراه – أريد به تشريف القبلة واحترامها.

---

(1) النخامة: البزقة التي تخرج من أقصى الحلق . النهاية: 34/5 .
(2) يبزق: يبصق . اللسان (بزق) 301/11 .
(3) فتح الباري: 668/1 .
(4) نفسه: 656/1 .

13- **الدعاء**

كان رسول الله ﷺ يدعو لأصحابه بصيغ وأساليب مختلفة، منها صيغة النهي، وفي الحديث:

" اللّهمّ امضِ لأصحابي هجرَتَهم، ولا تُردَّهم على أَعقابِهم " [1].

دعا الله تعالى عندما كان يعود سعد بن أبي وقاص ﷺ من وجع اشتد به في مكة، بأن يسهل لأصحابه المهاجرين أمر عودتهم الى المدينة، بعد زيارة بيت الله الحرام في مكة عام حجة الوداع، وان لا يعيقهم عن هجرتهم مكروه.

ان تكرار الدعاء بأسلوب النهي (ولا تردهم) الذي عطف على صيغة الطلب[2] الأولى (اللهم امض) يحمل لهفة الرسول الكريم، وإشفاقه على أصحابه وإلحاحه في التضرع الى الخالق، بأن يبعد عنهم ما يسيئهم من مرض او شدة.

وجاءت صورة الكناية عن صفة التراجع (على أعقابهم) إطاراً يرسخ هذا الدعاء ويوثق لزومه في مثل هذا الموقف.

14- **التواضع**

وقد يخرج النهي النبوي أحياناً الى معنى التواضع كما في الحديث الشريف:

" لا يَقولنَّ أحدُكم إني خيرٌ من يونسَ [3] " [4].

فقد نهى النبي ﷺ أصحابه والمسلمين من بعده عن القول بأنه عليه الصلاة والسلام خير من النبي يونس عليه السلام، تواضعاً منه، على الرغم من انه يعلم ان الله تعالى فضله على العالمين.

وخص النبي يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته ان يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة[5].

وبما ان التواضع من مكملات الإيمان، لذا فقد استوجب السياق الأسلوب المؤكد بالنون، للمبالغة في النهي.

15- **التسليم**

ومعناه الرضا بالحكم الإلهي، وهذا ما يوحي به النهي في قوله ﷺ: " لا تمنوا الموت " [1].

---

(1) نفسه: 215/11 .
(2) لا نستطيع ان نقول صيغة أمر تأدباً مع الله تعالى .
(3) أي نبي الله يونس بن متى عليه السلام .
(4) فتح الباري: 557/6 .
(5) ينظر: فتح الباري: 558/6-559 ؛ عمدة القاري: 30/16 .

فتمني الموت غالباً ينشأ من وقوع أمر يختار الذي يقع به الموت على الحياة، فإذا نهي عن تمني الموت، كأنه أمر بالصبر على ما نزل به، أي الرضا بالقضاء والتسليم لأمر الله تعالى، لأن طلب الموت قبل حلوله يعد اعتراضاً ومراغمة للقدر[2]. فالنهي النبوي جاء لغرض التسليم او التفويض لأمر الله تعالى والحث عليهما.

وهكذا رأينا ان صيغة النهي بحد ذاتها في هذه الأحاديث الشريفة لا تكشف عن المعنى المقصود إلا من خلال ربط الصيغة بدلالات السياق في النص كله.

(1) فتح الباري: 273/13 .
(2) نفسه: 274/13 .

الفصل الثالث

خطاب الاستفهام في الحديث الشريف

الفصل الثالث

خطاب الاستفهام في الحديث الشريف

الاستفهام لون من ألوان التعبير، ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس، ويبث أخفى الخواطر والهواجس، باعثاً في نفس المتلقي شتى الإيحاءات المتوهجة المتداخلة، فيحس نبض الكلمات وحرارة الانفعالات في التعبيرات التي تنتفض حياة متدفقة.

وهو أسلوب لا يعتمد المنهج العقلي المجرد حسب، بل يغلب عليه إثارة العواطف وشحن الوجدان، وإدامة التواصل بين المتكلم والمخاطب. ولاشك إن الاستفهام النبوي وسيلة ناجعة تعالج عالم الإنسان المسلم الداخلي والخارجي والمواقف التي يمر بها ويتعامل معها بما يحمل من معان ودلالات تلتف بغلالته الشفافة.

الاستفهام في اللغة والاصطلاح

جاء في لسان العرب: استفهمه سأله إن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً[1] .

وجاء في مفردات الراغب: " الاستفهام ان يطلب من غيره ان يفهمه " [2].

وقد ورد ان الاستفهام والاستخبار والاستعلام واحد. وان هذه السين تفيد الطلب[3]. وفرق بعضهم بين هذه الألفاظ، فقالوا ان الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[4].

(1) اللسان (فهم): 357/15 ؛ الصحاح: 2005/5 .
(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن: 400 .
(3) شرح المفصل: 150/8 ؛ الامالي الشجرية، ابن الشجري: 262/1 .
(4) الصاحبي: 181 ؛ البرهان: 326/2 ؛ معترك الأقران: 431/1 ؛ الإتقان: 79/2 .

ولكن الشائع في الدراسات البلاغية مصطلح الاستفهام[1].

والاستفهام: هو طلب المتكلم من مخاطبه ان يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلاً عنه مما سأله عنه[2].

وعرفه البلاغيون بأنه: طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام[3].

او بعبارة أخرى: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة[4] والتعريف الأخير يمزج بين بعض خصائص الاستفهام الدلالية وبعض سماته التركيبية[5].

وقد بين السكاكي الفرق بين الطلب في الاستفهام والطلب في غيره من الأساليب، بقوله: " والفرق بين الطلب في الاستفهام والطلب في الأمر والنهي والنداء، واضح، فأنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب ان يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأول تابع، وفي الثاني متبوع " [6] . وبما ان الاستفهام طلب ما في الخارج ليحصل في الذهن، لزم ألا يكون حقيقياً إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، وان غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام[7] .

(1) معجم المصطلحات البلاغية: 181/1 .
(2) الأشباه والنظائر: 2/4 ؛ التعريفات: 12 ؛ البرهان: 326/2-327 .
(3) الطراز: 286/3 ؛ المصباح في علم المعاني: 42 .
(4) أساليب بلاغية: 118 ؛ علم المعاني، درويش الجندي: 42 ؛ البلاغة الاصطلاحية: 163 .
(5) الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية، د. سمير شريف ستيتية، مجلة المورد، المجلد 18، العدد الأول، 1989، ص 32 .
(6) مفتاح العلوم: 146 .
(7) البرهان: 326/2-327 .

أدوات الاستفهام في الحديث الشريف ودلالاتها

وهي نوعان: الأول، حرفان وهما الهمزة وهل.

والثاني، أسماء، وهي كثيرة سنأتي على ذكرها لاحقاً.

وقد يراد بالاستفهام التصديق وهو إدراك النسبة أي تعيينها مثل: أقام محمد؟ والجواب يكون بـ (نعم) او (لا). وتستعمل الهمزة وهل لطلب التصديق.

وقد يراد بالاستفهام التصور، وهو إدراك المفرد، مثل: أقام محمد أم قعد؟ ومثل، من جاء؟ والجواب يكون بتحديد المفرد وهو (قام) في المثال الأول و (محمد) في المثال الثاني. وتستعمل لغرض التصور الهمزة وأسماء الاستفهام كلها[1].

وأدوات الاستفهام المستعملة في الحديث الشريف هي:

الهمزة و هل و أين و من و ما و أي و كم و متى و لعل و مهيم.

الهمزة: وهي من أكثر أدوات الاستفهام استعمالاً في الحديث النبوي كقوله ﷺ طالباً التصديق[2]:

" أَكُلُّ تمرِ خَيبرَ هكذا؟ " [3].

وقوله ﷺ لرجلٍ:

" أَصَلَّيْتَ يا فُلانُ؟ " [4].

وقد تأتي الهمزة للتصور في عدد قليل من الأحاديث كقوله ﷺ عندما يؤتى اليه بطعام:

" أَهَدِيةٌ أم صَدَقَةٌ؟ " [5].

---

(1) ينظر موضوع الاستفهام في مفتاح العلوم: 148 ؛ الأيضاًح 131/1 ؛ التلخيص: 153 .

(2) والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها، ينظر على سبيل المثال: فتح الباري 620/1، 727؛ 13/2، 517، 592؛ 124/3، 231؛ 21/4، 240، 246؛ 442/4، 501؛ 134/5، 145، 254، 313؛ 172/6، 338، 365؛ 382/7؛ 79/8، 133؛ 173/9، 494 000 الخ .

(3) فتح الباري: 503/4 .

(4) نفسه: 517/2 .

(5) نفسه: 254/5، 448/6 .

هل: ورد الاستفهام بـ (هل) كثيراً في الحديث الشريف كقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها):

" هل عندَكم شيء؟ " أي من الطعام. فقالت عائشة: لا ... " [1].

وقوله ﷺ لاعرابي سأله عن الهجرة.

" وَيْحَكَ، انَّ شأنَها شديدٌ، فهل لكَ من ابلٍ تُؤدِّي صدَقَتها؟ قال: نعم ... " [2].

والمراد في هذا الاستفهام التصديق.

أما أسماء الاستفهام التي يراد بها التصور فهي:

ما: يستفهم به عن غير العاقل كقوله ﷺ:

" ما هذا الحبلُ؟ قالوا: هذا حبلٌ لزبيبَ " [3].

وقال ﷺ عندما رأى نيراناً توقَدُ يومَ خَيْبرَ:

" عَلامَ تُوقَدُ هذه النيران؟ " [4].

وقال ﷺ لرجل سأله عن الساعة:

" وماذا أعْدَدْتَ لها؟ " قال: لا شيء الاّ أني أحبُّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ " [5]

من: للاستفهام عن العاقل، كقوله ﷺ:

" مَنِ المتكلِّمُ؟ قال: أنا " [6].

---

(1) نفسه: 454/3 .

(2) نفسه: 402/3-403، ولمزيد من الأحاديث ينظر، فتح الباري: 588/4 ؛ 23/6، 66، 457، 757 ؛ 21/7، 410، 453؛ 316/8، 504؛ 96/9، 280، 486؛ 569/11؛ 158/12، 542 ؛ 419/13 .

(3) نفسه: 45/3 .

(4) نفسه: 153/5 .

(5) نفسه: 51/7، وللمزيد ينظر، فتح الباري: 152/3، 263، 780 ؛ 96/4، 190، 229، 408 ؛ 27/5، 95، 161 ؛ 303/6، 510؛ 661/7 ؛ 392/8 ؛ 191/10، 396؛ 566/11 .

(6) نفسه: 362/2 .

و " مَن هذهِ؟ فقالوا: ابنةُ عمرٍو ... " [1].

أي: للسؤال عما يميز احد المتشاركين في أمر يعمهما، كقوله ﷺ: للغلامين الذين قتلا أبا جهل: " أيُّكما قتله؟ قال كلٌّ واحدٍ منهما: أنا قتلته " [2].

وقوله: " أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: يومٌ حرام " [3].

أين: للسؤال عن المكان كقوله ﷺ:

" أين كنتَ يا أَبا هُريرةَ؟ " [4].

وقوله لفاطمة (رضي الله عنها):

" أينَ ابنُ عَمِّكِ؟ " [5].

كيف: للسؤال عن الحال كقوله ﷺ لجابر بن عبد الله رضي الله عنه:

" كيفَ تَرى بَعيرَك؟ " [6].

وقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو:

" كيف تصوم؟ ... وكيف تَخْتم؟ " [7].

كم: للسؤال عن العدد كقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه:

" في كم تقرأ القرآنَ؟ " [8].

متى: للسؤال عن الزمان كقوله ﷺ:

" يا عائشة متى عهِدْتِني فاحشاً؟ " [9].

أنى: تستعمل تارة بمعنى (متى)، وتارة بمعنى (من أين)، وتارة بمعنى (كيف).

وقد استعملت مرة واحدة في صحيح البخاري بمعنى (من اين)، إذ أتى النبي أعرابي فقال: " ان امرأتي ولدت غلاماً اسودَ وإني أنكرته، فقال له رسول الله: هل

---

(1) نفسه: 209/3، وللمزيد ينظر، فتح الباري: 605/1 ؛ 36/3 ؛ 446/4 ؛ 178/5، 311 ؛ 66/6، 463 ؛ 50/7، 589 ؛ 210/10 .

(2) نفسه: 303/6 .

(3) نفسه: 731/3، للمزيد ينظر: 418/3 ؛ 258/4 ؛ 446/6 ؛ 476/7، 589 ؛ 313/11، 378، 405 ؛ 270/12 ؛ 521/13، 571 .

(4) نفسه: 513/1 .

(5) نفسه: 704/1، للمزيد ينظر: 219/2، 234/3، 326 ؛ 385/5 ؛ 38/6، 61 ؛ 518/7 ؛ 708/8 ؛ 805/9 ؛ 339/10، 407، 704 ؛ 339/11 .

(6) نفسه: 68/5 .

(7) نفسه: 116/9، وللمزيد ينظر: 245/1: 245/1 ؛ 42/2 ؛ 339/5 ؛ 607/6 ؛ 553/7 .

(8) نفسه: 116/9، وللمزيد ينظر: 108/2 ؛ 503/7 .

(9) نفسه: 555/10 .

لكَ من أبلٍ؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حُمْرٌ. قال: هل فيها من أوْرَق؟ [1] قال: ان فيها لورقاً. قال: " فأنّى ترى ذلك جاءَها؟ ... " [2].

أما (أيّان) فلم ترد في الصحيح

هذا هو المشهور من أدوات الاستفهام عند البلاغيين.

وهناك أداتا استفهام لم يشر إليهما البلاغيون ووردتا في الحديث الشريف وهما: مهيم ولعل.

مَهْيَمْ: وهي كلمة يمانية[3] معناها ما الخبر؟ او ما الأمر؟ [4].

وقال صاحب اللسان: معناها ما هذا الذي أرى بك[5]. وقال الجوهري: معناها ما حالك؟ وما شانك؟ [6].

وقد وردت هذه الكلمة في الصحيح مرة واحدة في قوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف ﷺ عندما رآه وعليه اثر من صفرة:

(1) الاورق من الإبل: إذا كان لونه اسود يخالطه بياض . اللسان (ورق): 256/12 .
(2) فتح الباري: 366/13-367 .
(3) النهاية: 378/4 .
(4) الكامل، المبرد: 356/3 ؛ النهاية: 378/4 .
(5) اللسان: 42/16 .
(6) الصحاح: 2038/5 .

" مَهْيَمْ؟ قال: يا رسول الله تزوجتُ امرأةً من الأنصار " [1].

أما (لعلّ) فقد وردت في الحديث الشريف مرات عديدة تدل على الاستفهام وقد ذكر السيوطي نقلاً عن التنوخي[2] ان (لعل) تكون للاستفهام[3] .

من ذلك قوله ﷺ لرجل من الأنصار، وقد خرج اليه ورأسه يَقطرُ:

" لعلَّنا أَعْجَلْناكَ؟ " [4].

وقال أيضاً لعائشة (رضي الله عنها) في الحج:

" لَعَلّكِ نُفِسْتِ؟ " [5] .

وقال لكعب بن عجرة ﷺ:

" لَعَلّكَ آذاك هَوَامُّك؟ قال: نعم يا رسول الله " [6][7].

ان استخدام (لعل) لغرض الاستفهام يشكل ظاهرة ملموسة في الحديث الشريف. ويلحظ ان استعمال (لعل) في الحديث يكون في المواقف التي يرجح فيها رسول الله كون الجواب فيها بالإثبات أي بـ (نعم).

ويلحظ أيضاً ان الاستفهام بـ (لعل) يشي بنوع من الإشفاق على المخاطب من المكروه، وذلك لبقاء تحمل (لعل) لهذه الدلالة، فقد نقل صاحب الارتشاف: " لعل للترجي في المحبوب وللإشفاق في المحذور " [1] .

---

(1) فتح الباري: 362/4 .
(2) وهو داود بن الهيثم بن إسحاق الانباري (ت316هـ)، لغوي نحوي، له كتاب في النحو على مذهب الكوفيين . الاعلام، الزركلي: 11/3 .
(3) الإتقان: 81/2 ؛ وينظر: الصاحبي: 170 ؛ حروف المعاني، الزجاجي: 30 ؛ مغني اللبيب 288/1 .
(4) فتح الباري: 376/1، وذكر الكرماني ان (لعل) هنا تفيد التحقيق أي قد اعجلناك . شرح الكرماني: 19/3 . أما البصريون فإن (لعل) في الحديث عندهم للإشفاق . ينظر: الصاحبي 170 ؛ الجنى الداني: 528 .
(5) فتح الباري: 536/1-537 .
(6) نفسه: 15/4 .
(7) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 553/7 ؛ 616/10 ؛ 163/12 .

الاستفهام المحذوف الأداة:

من الظواهر التي نلحظها في أسلوب الاستفهام ظاهرة الحذف، وذلك لأن الاستفهام أسلوب خطاب يقوم على الاختصار بتوفر قرينة تدل على المحذوف، وهي قرينة النغمة في الكلام التي تؤدي معنى الاستفهام، فالنغمة هي الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق والعربية كغيرها من اللغات تعتمد على التنغيم في نقل المعنى، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية او جملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة، فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة، تعين على الكشف عن معناها اللغوي[2]. ويؤكد أحد الباحثين هذا في معرض تمييز الجمل الخبرية من الإنشائية، قائلاً: " ويعزى هذا النوع من الفرق التنغيمي الى عملية النطق وليس الى بنية الجملة في حد ذاتها " [3].

ويزيد باحث آخر على ذلك فيجعل النغمة الصوتية أصلاً في اللغة المنطوقة، واللغة المنطوقة أصل اللغة، شانها في أداء المعنى شأن الأداة وفعل النداء، فالكل عناصر تقع في موقعها أصالةً وليس نيابة عن غيرها[4] .

ويقدر النحاة الهمزة عند الحذف لأنها أم باب الاستفهام، ولا يقدر عند الحذف سواها[5]. أما (هل) فلا تحذف خشية اللبس وعدم وضوح المراد بالسؤال عند حذفها، لأن لها معنى خاصاً في الجملة الاستفهامية، وهو الاستفهام عن النسبة وكذلك الحال في بقية أدوات الاستفهام، لأن المسؤول عنه بها إنما هو منها، ومدلول لها، فإذا حذفت ضاعت الدلالة وذهب الاستفهام[6].

واختلف النحاة في ظروف حذف همزة الاستفهام، فقد حصر سيبويه جواز حذفها بضرورة الشعر[7]، واشترط أكثر البصريين لجواز حذفها ان يكون في الكلام

---

(1) ابو حيان الأندلسي: 130/2 ؛ وينظر: مغني اللبيب: 287/1 ؛ شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري: 203/1 .
(2) اللغة العربية معناها ومبناها: 226 .
(3) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادق: 151 ؛ علم اللغة العام – الأصوات – د. كمال محمد بشر: 163 .
(4) في التحليل اللغوي: د. خليل عمايرة: 148 .
(5) الكتاب: 174/3-175 ؛ الكامل: 177/3-178 ؛ مغني اللبيب 14/1 ؛ همه الهوامع: 69/2 .
(6) في التحليل اللغوي: 147 ؛ في النحو العربي، نقد وتوجيه: 276 ؛ البلاغة العربية في ثوبها الجديد 920 .
(7) الكتاب: 174/3 ؛ الكامل: 178/3 .

ما يدل عليها، ولا سيما وجود (أم) المعادلة لها[1]، واستشهدوا بقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة:

لعـــــمرك ما ادري وان كنتُ داريا بســـــبعٍ رَمَين الجمر أم بثمان؟ [2].

أراد أبسبعٍ؟

وأجاز بعضهم حذف همزة الاستفهام سواء وجد في الكلام ما يدل عليها أم لم يوجد[3].

والشواهد في الحديث الشريف تؤيد صحة ما ذهب اليه هؤلاء النحاة، فالحذف الذي ورد في الأحاديث التي سنعرض لها جاء غير مشروط بوقوع (أم) بعد الهمزة، وربما كان التنغيم قرينة وعنصر كشف عن المعنى، فالاستفهام يكون بنغمة صوتية صاعدة في حين تكون الجملة الخبرية بنغمة صوتية مستوية[4].

وعلى أية حال فإن حذف أداة الاستفهام واقع في لغة العرب، ومن جهة أخرى يعذر من حافظ على ذكر الأدوات باطراد لأن التراث مكتوب تتضح فيه العلاقات بالأدوات، وليس منطوقاً تتضح فيه العلاقات بالنغمات.

ومن هذا النوع في الحديث الشريف قوله ﷺ لكعب بن عجرة إذ قال: وقف علي رسول الله ﷺ بالحديبية، ورأسي يتهافت قملاً، فقال:

" يُؤذِيكَ هَوامُّكَ؟ [5] قلت: نعم. قال: فاحلِقْ رأسَكَ " [6] .

وقال جابر بن عبد الله ﷺ سألني رسول الله ﷺ:

" تزوَّجتَ؟ قلت: نعم. قال: بِكراً ام ثَيِّباً؟ قلت: بل ثَيِّباً " [7].

وقوله ﷺ عندما بلغه قول سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصفح، فبلغ ذلك رسول الله فقال:

" تعجبونَ من غَيرةِ سعدٍ؟ والله لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مني 000 " [8].

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو ﷺ:

" أنتَ الذي تقول: واللهِ لأصومَنَّ النهارَ ولأقومنَّ الليلَ ما عِشتُ 000 " [9].

---

(1) المحتسب، ابن جني: 50/1 ؛ شرح المفصل: 154/8-155 ؛ إعراب القران، النحاس: 259/1 .
(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة: 399 .
(3) الخصائص: 281/2 ؛ مغني اللبيب: 14/1 .
(4) في التحليل اللغوي: 149 .
(5) الهامة: الدواب يريد القمل . اللسان (هوم): 108/16 .
(6) فتح الباري: 19/4 .
(7) نفسه: 402/4 .
(8) نفسه: 492/13 .
(9) نفسه: 560/6 .

فالأحاديث المذكورة جاء الاستفهام فيها محذوف الأداة اختصاراً وسهولة بدلالة النغمة الصوتية والسياق عليه. فمن المؤكد ان النغمة الصوتية الصاعدة للرسول الكريم ﷺ في هذه الأحاديث هي التي حولت معنى الجملة الى الاستفهام.

والشواهد في الحديث الشريف على ذلك كثيرة[1]، حتى انها لتشكل ظاهرة أسلوبية ملحوظة في الاستفهام النبوي. كما ان أكثر الأحاديث التي وردت بحذف أداة الاستفهام كان يراد بالاستفهام دلالته الحقيقية.

معاني الاستفهام في الحديث الشريف

الأصل في الاستفهام- كما بينا – ان يقع من السائل طلب الفهم، إذا كان جاهلاً لما يسأل عنه، وقد يكون السائل عالماً بما يسأل عنه، فيكون السؤال منه من قبيل المجاز، ويسمى تعدي الاستفهام عن حدود الحقيقة (اعناتاً) [2]، وسماه ابن المعتز (تجاهل العارف) [3].

وبذلك يكون الاستفهام في الكلام حقيقياً يتوخى صاحبه معرفة ما يجهله، او بلاغياً يقصد به معنى من المعاني التي يخرج اليها، ويفهم هذا المعنى من السياق وقرائن الأحوال، إذ " لا يمكن فهم أية كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها " [4].

وقبل ان نتطرق الى معاني الاستفهام في الحديث الشريف لابد ان نشير الى ان خروج الاستفهام عن حقيقته واستعماله في معان أخر أثار جدلاً ونقاشاً عند المفسرين والنحاة والبلاغيين، حول ما إذا بقي معنى الاستفهام موجوداً فيه، ام انه تجرد عنه بالكلية في حال خروجه الى معنى آخر؟ [5].

فمن المفسرين والنحاة من يذهب الى ان من أدوات الاستفهام ما تتجرد من معنى الاستفهام بالكلية إذا استعملت في معنى التحقيق او التقرير او التسوية او النفي[6] . وقسم آخر يرى ان بعض المعاني التي يخرج فيها الاستفهام عن حقيقته

(1) ينظر، فتح الباري: 559/2 ؛ 280/3، 297، 394، 723، 748؛ 19/4، 291؛ 250/5؛ 466/7، 632؛ 283/8، 461؛ 77/9، 129، 682؛ 191/10، 346؛ 283/12، 246؛ 492/13.
(2) المصباح في علم المعاني: 44 ؛ عروس الأفراح – شروح التلخيص: 306/2 .
(3) البديع: 62 .
(4) اللغة والمعنى والسياق: 83 .
(5) ينظر تفصيل ذلك في: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 414-418 .
(6) ينظر: مجاز القرآن، ابو عبيدة: 287/1، 149/2، 279 ؛ الكشاف: 252/1-253 ؛ المقتضب: 289/3، 43/1-44 .

تتجرد من الاستفهام بالكلية، وبعضها يبقى معنى الاستفهام قائماً فيها، ومنها ما يحتمل هذا او ذاك، ويعرف ذلك بالتأمل[1].

اما البلاغيون ومنهم السبكي فيرون ان معنى الاستفهام موجود باقٍ في أكثر المعاني والأغراض التي يخرج اليها الاستفهام[2].

وهذا اقرب الى الصواب، فليس هناك استفهام يفيد التقرير او التحقيق مثلاً، ويكون خبراً محضاً متجرداً من الاستفهام بالكلية، فلابد ان هناك فرقاً واضحاً بين قوله تعالى (هل اتى على الإنسان حين من الدهر) [3] وبين (قد اتى على الإنسان حين من الدهر). ان سبب هذا الفرق يعود الى ان معنى الاستفهام موجود في الآية، وانضم اليه معنى التحقيق[4].

المعاني الأولى (الحقيقية)

على الرغم من عناية البلاغيين ببيان وجوه المعاني الثواني التي تخرج اليها الأساليب الطلبية، وتحديد تلك الدلالات المستقاة من مناسبة النص وسياقاته، إلا ان البحث لم يجد مناصاً من الوقوف عند المعاني الحقيقية للتراكيب الطلبية، وهي ما تعرف بالمعاني الأول، وذلك لأن أداء التراكيب على اختلاف أنماطها للدلالة الحقيقية وفق مقتضيات الأحوال يعد من مهمات البلاغة.

وما ذكر سابقاً من أحاديث شريفة في موضوع أدوات الاستفهام تصلح ان تكون شواهداً لهذه المعاني الأول.

فالاستفهام في الأحاديث المذكورة يراد به دلالته الحقيقية ولا يحمل دلالة سواها والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، يمكن لمن يشاء الرجوع اليها في مواضعها[5].

المعاني الثانية (البلاغية)

يخرج الاستفهام عن غرضه الحقيقي عندما يكون المتكلم عالماً بالأمر الذي يسأل عنه، لا ينتظر إجابة، ولكنه يستفهم عنه لمعان وأغراض بلاغية يكشف عنها السياق وتدل عليها قرائن الأحوال. وهذا ما أطلق عليه بالاستفهام البلاغي[1].

---

(1) الخصائص: 462/2-464 ؛ البرهان: 347/2 .
(2) عروس الأفراح – شروح التلخيص: 307/2 ؛ وينظر الإتقان: 79/2-80 ؛ معترك الأقران: 439/1 .
(3) الإنسان / 1 .
(4) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 418 .
(5) للاستزادة، ينظر على سبيل المثال في فتح الباري: 605/1، 668، 704 ؛ 362/2، 517، 559 ؛ 45/3، 268، 280، 394، 402، 531، 535، 713، 723، 748، 190/4، 202، 229، 291، 361، 445، 503 ؛ 27/5، 55، 68، 93، 250، 254، 263، 264، 278، 304، 318، 339، وغيرها كثير .

ولعل السر في جمال أسلوب الاستفهام والعدول اليه عن الأسلوب الخبري الذي يفيد النفي او الإثبات او التوبيخ وما الى ذلك، هو ان الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج الى تفكير، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالمعاني المذكورة، كان في توجيه السؤال اليه حملاً له على الإقرار بها وهو أفضل من ذكرها. فالاستفهام كما يقول احد الباحثين: " تعبير مرهف، لأنه كغيره من التعبيرات يخرج المعنى من أسار التحدد ووحدة الجهة، ويثير فيه حاسة الأشكال، وبعد ان تكون العبارة الإخبارية ذات صفة واحدة نسبياً يصبح الاستفهام ذا صفتين او أكثر من ذلك[2].

وفيما يأتي تلك المعاني التي خرج اليها الاستفهام النبوي:

1- الإنكار

وهو من أهم الأغراض وأكثرها شيوعاً في كلام رسول الله، فقد احتل مساحة واسعة في بنية الاستفهام في الحديث الشريف وذلك لنكت بلاغية توخاها الرسول الكريم، منها إن الاستفهام الإنكاري ابلغ من النفي الصريح[3]، وذلك لأن المستفهم ينتظر من المخاطب جواباً، وذلك يجعله يفكر ويراجع نفسه، وربما يجد نفسه بعد هذه المراجعة وبعد هذا التفكير في ضيق وحرج، لا يحير معهما جواباً، فإذا أصر على موقفه او سولت له نفسه ان يجادل في الباطل، فإن السؤال سيزيده إحراجاً على إحراج، لأن السائل يترقب منه جواباً، وليس كذلك الأسلوب الخبري (النفي الصريح) إذ باستطاعته ان يفر من الجواب ويصمت، لذلك كثر في كتاب الله تعالى[4]، وفي حديث رسوله الكريم.

إن معظم الأحاديث التي تحمل دلالة الاستفهام الإنكاري كان الإنكار فيها لواقع حال رآه النبي الكريم ﷺ، او بلغه او سمعه، فثارت له نفسه الكريمة على وجه يناسب ذلك الحال مبتغياً تعديل المفاهيم القديمة، وتأسيس قيم جديدة تتلاءم والعقيدة الجديدة. كما إن في هذا الاستفهام جملة من الانفعالات تتنازع النفس، فقد يحمل الإنكار معاني التعجب والعتاب والتوبيخ والتهكم والاستغراب كما سنرى في الأحاديث الآتية:

روي إن امرأة من الأنصار قالت بعدما توفي عثمان بن مظعون ﷺ: رحمةُ اللهِ عليكَ أبا السائبِ، فشهادتي عليكَ لقد أكرَمَكَ اللهُ. فقال النبي ﷺ لها متسائلاً: " وما يُدريكِ أَنَّ اللهَ قد أكرَمَهُ؟ " [5].

---

(1) أساليب النفي في القرآن، د. احمد ماهر البقري: 283 ؛ البلاغة الاصطلاحية: 171 .
(2) نظرية المعنى في النقد العربي، د. مصطفى ناصف: 50 .
(3) الذي هو بمعنى ما كان ينبغي ان يكون ذلك الأمر او لا ينبغي ان يقع مثله .
(4) البلاغة فنونها وأفنانها: 199 ؛ أساليب الاستفهام في القرآن، عبد العليم فودة: 203 .
(5) فتح الباري: 147/3 .

وسمع رسول الله ﷺ صوتَ خصوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا احدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا افعل. فخرج عليهما رسول الله فقال:

" أين المتألّي[1] على اللهِ لا يَفعلُ المعروفَ؟ فقال: أنا يا رسول اللهِ، فلهُ أيُّ ذلكَ أحبَّ " [2].

وروى أسامة بن زيد (رض الله عنهما) انه قتل رجلاً من الأنصار بعدما نطق بالشهادة، فأنكر عليه رسول الله ذلك بقوله:

" يا أُسامة، أقتلتَهُ بعد ما قال لا إله إلا الله؟ فقال له أسامة: يا رسول الله إنه إنما كان مُتَعَوِّذاً، فأجابه: قَتَلتَهُ بعدما قال لا إله إلا الله؟ " يقول أسامة: فما زال يكرّرها عليَّ حتى تمنّيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم[3].

وقال ﷺ لأسامة بن زيد أيضاً، عندما شفع للمرأة المخزومية التي سرقت:

" أتشفعُ في حدٍّ من حدودِ اللهِ؟ " [4].

فالاستفهام النبوي (وما يدريك؟) في الحديث الأول، لم يقصد به معرفة الشيء الذي أوحى لها بالكلام المذكور على الحقيقة وانما كان إنكاراً للشهادة على غيب أستأثره الله بعلمه، وهو معاملته سبحانه وتعالى للمتوفى بما اقتصت حكمته، ولو ذكرت المرأة الأنصارية لفظاً يدل على الرجاء او الظن كـ(عسى او لعل) لما حصل الإنكار، وانما كان الإنكار لأن ظاهر العبارة المؤكدة بـ(قد) يشعر بالاعتقاد الجازم إن الميت ذو ثواب وإكرام عند الله.

والإنكار هنا مصحوب بالترفق يشوبه التوجيه والتنبيه على إصدار أحكام قد تكون خاطئة، ولا سيما فيما يتعلق منها بالأمور الغيبية[5].

أما الحديث الثاني فالرسول ﷺ لم يسأل عن مكان هذا الرجل الحالف حقيقة لأنه خرج اليه ورآه، ولكنه أنكر ما سمعه منه، فالإنكار وقع على الإنسان الذي قابل استعطاف أخيه المؤمن بالمبالغة في الحلف على عدم المعونة وفعل الخير، فكره رسول الله له قطع نفسه عن فعل الخير، وعاتبه على ذلك بصيغة الاستفهام (أين المتألي على الله؟).

ولما أدرك الصحابي إنكار رسول الله له ذلك كف عن خطيئته بتحكيم صاحبه يختار ما أحب.

---

(1) المتألي: الحالف المجتهد في اليمين . اللسان (الا): 42/18 .
(2) فتح الباري: 385/5 .
(3) نفسه: 235/12 .
(4) نفسه: 103/12 .
(5) لمزيد من الأمثلة في المعنى نفسه، ينظر، فتح الباري: 212/2 ؛ 571/4 ؛ 176/6-177 .

قد أدى الاستفهام النبوي غرضه، فهو ادعى الى الإثارة والإقناع في هذا المقام من الأساليب الأخرى، لأنه جعل المخاطب يتواصل مع السائل في النظر بأمر ذلك الكلام وعواقبه، فعاد الى رشده في الحال. وهنا نحس ان درجة الإنكار أقوى قليلاً من الحديث السابق ولكنها تبقى دون درجة الانفعال الشديد.

ونحس بنبرة الإنكار تلك، في الحديث الثالث، في النداء (يا أسامة) الذي يجعل للإنكار وقعاً خاصاً يهز نفس أسامة هزاً وينفضها نفضاً، يغسل اكدارها ويعيد صفاءها، وفي هذا تمهيد للأسلوب الاستفهامي الذي تتصاعد فيه حدة الانفعال ويشتد الإنكار للخطأ الذي اقترفه أسامة ﷺ بقتله الأنصاري بعدما اسلم وهو في الوقت نفسه تنبيه للآخرين وتوجيه لئلا يتكرر الخطأ الفادح مرة أخرى لديهم.

ان حدة الانفعال في هذا المقام تظهر من تكرير الاستفهام، ومن الأعراض عن قبول العذر، كما ذكر راوي الحديث، وهذا يكون أوقع في النفس، بما ينطوي عليه من دعوة المخطئ الى تدبر حاله ومراجعة نفسه. ولا يخلو الإنكار في هذا الحديث من اللوم والتأنيب، ليس على فعل القتل حسب، وانما على قتل من تلفظ بالتوحيد، وفي هذا أثم كبير وتجاوز على حدود الشريعة الإسلامية، ولو ان لذلك الظرف ملابساته.

أما في، الحديث الرابع، فالأمر المنكر خطير لأنه يتعلق بمبدأ من مبادئ العقيدة الإسلامية ألا وهو إقامة الحد على السارق، لذلك كان الإنكار على أشده، فلم يسبق بالنداء الدال على قرب المنادى من النفس، كما جاء في الحديث السابق، لأن الانفعال قد بلغ مداه، فلا وقت للمحاباة والتقرب، " ليتنبه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع، ويعيا بالجواب لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله " [1].

ومما يدل على تشدد الرسول الكريم في إنكاره سياق كلامه بعد الاستفهام، فقد خطب الناس وتوعدهم بالهلاك الذي وقع لإسلافهم لأنهم تسامحوا في إقامة حدود الله، فقال: " يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد " [2] ثم أعقب كلامه بالقسم وبالأسلوب الشرطي محذراً من التسامح في إقامة الحدود ومن الشفاعة والمحاباة لمن وجب عليه الحد حتى وان كان (فاطمة بنت محمد) صلوات الله عليهما فقال: " وأيم الله لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " [3].

هكذا هي عدالة الشريعة الإسلامية لا تتهاون في عقاب الآثم حتى وان كان الولد الغالي، وضرب النبي ﷺ المثل بفاطمة لمنزلتها عنده مبالغة في الزجر والردع، وبهذا يخرس كل شفيع ينال من العدالة ولا يدع مجالاً للشك في ان تلك

(1) دلائل الإعجاز: 94 .
(2) فتح الباري: 12/103-104 .
(3) نفسه .

العدالة أسمى صفة بين الحاكم والمحكوم. ولم يكتف رسول الله بما ذكر عنه، بل نسب في كلامه فعل (القطع) الى الاسم الظاهر (محمد) وليس الى ضمير المتكلم، ليقينه ان ذلك ابلغ في الدلالة على مباشرة الفعل وأسرع في حسم الموقف[1].

يلاحظ من الأحاديث المتضمنة الاستفهام الإنكاري انه غالباً ما يأتي بصيغة المضارع على الرغم من ان الفعل المنكر قد وقع قبل زمن التكلم، وذلك لدلالة صيغة المضارع على الاستمرار والاستقبال، بمعنى ان الإنكار او النفي يسري على الفعل في أي زمن يقع فيه ماضياً كان او حالاً او مستقبلاً، وهذا ما يريد الرسول الكريم ان يوثقه في نفوس المسلمين ويشرعه في أمته.

كما يلاحظ ان جميع الأحاديث التي وردت فيه كانت بهمزة الاستفهام دون (هل)، والهمزة هي أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً في الدلالة على النفي لإفادتها الإنكار الذي يلزم النفي كما قرر القدماء والمحدثون[2].

ومما يلفت النظر أيضاً ان الإنكار في الحديث الشريف غالباً ما تصاحبه معان أخر كالتوبيخ او التأنيب او اللوم او العتاب الرقيق او الاستبعاد[3]، من ذلك قوله ﷺ: " ما بالُ أقوام يقولون او يفعلون كذا وكذا؟ " [4] إذ تدل صيغة الاستفهام على الإنكار والتعجب. وقد تكررت صيغة العموم هذه في الحديث الشريف، فلم يوجه رسول الله الإنكار الى الفاعل[5] لأن الذي يهمه التنبيه على الفعل المنكر، إشارة الى انه ما كان ينبغي ان يصدر من احدهم مثل هذا الفعل.

وهذا التعدد دليل على أن المعنى الذي يفيده الاستفهام خفي ومتفلت، وان ما لدينا من أوصاف نتوهم انها تحيط به هي في حقيقة الأمر لا تستخرج منه إلا بعض إشاراته، او لا تصف منه إلا ما يظهر، وليس لدينا في محاولة السيطرة عليه وإظهاره سوى السياقات الحية ودلالات التراكيب، اذ " ليس لأدوات الاستفهام شأن في تحديد غلبة الانفعال على التعقل ومدى حدته في الاستفهام الإنكاري، وانما مناط ذلك لهجة الحديث او النغم " [6] المتواتر مثلاً في السياق.

---

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 100 .

(2) دلائل الإعجاز: 87، 88 ؛ حاشية الدسوقي – شروح التلخيص: 297/2 ؛ التراكيب اللغوية في العربية، د. هادي نهر: 14 ؛ أساليب النفي في القرآن: 302 ؛ أساليب الاستفهام في القرآن: 203 ؛ المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: 188 .

(3) ينظر، فتح الباري: 29/1، 245، 683، 723، 727، 622، 676، 189/2، 324، 258/4، 559، 346، 501، 96، 145/5، 217، 272، 318، 415؛ 308/6، 309، 463، 560، 677،720، 113، 383، 477، 557؛ 61/7؛ 82/8، 219، 392، 682، 849، 913.

(4) تنظر هذه الصيغة في فتح الباري: 723/1 ؛ 296/2 ؛ 408/4 ؛ 677/6 ؛ 628/10؛ 204/13 .

(5) وكانت هذه عادته حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب لمن يستحقه حتى لا يحصل له الخجل ونحوه على رؤوس الاشهاد . شرح الكرماني: 79/2 .

(6) أساليب النفي في القرآن: 299 .

2- التقرير

وهو الجاء المخاطب الى الإقرار بأمر يعرفه[1]. لذلك فهو لا يكون في الواقع معنى نهائياً كغيره من المعاني، وانما يكون لغرض من الأغراض. فقد تصاحب التقرير معان أخر يستدل عليها من السياق، كالتذكير والتوبيخ والتعجب والتحقير والتلطف والتهكم والوعيد وغيرها، ولهذا ذكر بعض النحاة ان التقرير هو المعنى الملازم للهمزة، وان غيره من المعاني كالتوبيخ والتحقيق والتذكير ينجر مع التقرير[2]، لأن ما في هذا الاستفهام شيء يثير سلسلة من الأفكار والرؤى حول حقيقة ما، وهذا يختلف عن محض التقرير والتحقيق وان أفاده[3].

والتقرير يلي الإنكار كثرة في الحديث الشريف، من ذلك ان رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، كيف يُحشَرُ الكافرُ على وجهِهِ؟ قال: " أليسَ الذي أمشاهُ على الرجلين في الدنيا قادراً على ان يُمشيهِ على وَجهِهِ يومَ القيامةِ؟ " [4].

ويقول المغيرة ﷺ ان النبي ﷺ كان لَيُصليّ حتى ترِمَ قدماه، فيقال له، فيقول: " أفَلا أكونُ عبداً شكوراً؟ " [5].

وقال ﷺ محذراً من النار ومتوعداً بها الكفار:

" ... وليلقيَنّ اللهَ أحدُكم يومَ يلقاه وليس بينَه وبينه تَرجمانٌ يُترجمُ له، فيقولَنّ: ألم أَبْعَث اليك رسولاً فَيبلِّغُكَ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفْضِلْ عليك؟ فيقول: بلى. فينظرُ عن يَمينهِ فلا يرى إلا جهنّمَ، وينظر عن يسارهِ فلا يرى إلا جهنّمَ " [6].

وروي ان امرأة من جهينة جاءت الى النبي ﷺ فقالت:

" إنَّ أُمّي نَذَرَتْ ان تَحُجَّ فلم تَحجّ حتى ماتت، أفأحُجُّ عنها؟ قال: نعم حُجّي عنها، أرأيتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْنٌ أكنتِ قاضِيتَهُ؟ اقْضوا اللهَ، فاللهُ أحقُّ بالوفاءِ " [7].

لقد كان الرد النبوي، في الحديث الأول، تقريراً وتذكيراً للسائل بما نسي من فطرته، فقد دعيت العقول الى التفكر في إبداع خلقه، فقدم رسول الله البرهان العقلي المتمازج مع أسلوب التأثير النفسي فقال: ليس المشي على الوجه بأعسر من المشي

---

(1) شروح التلخيص: 294/2 .
(2) الجنى الداني: 99 .
(3) دلالات التراكيب: 229 .
(4) فتح الباري: 11/ 459 .
(5) نفسه: 18/3 .
(6) نفسه: 758/3، والحديث طويل اقتصرت على ذكر ما يخص الموضوع .
(7) نفسه: 79/4 .

على الرجلين، والذي استطاع إن يمشيه على الرجلين يستطيع إن يمشيه على الوجه في عالم آخر له سننه وقوانينه، وكل المقدورات أمام القدرة الإلهية سواء.

وقد جاء اسم ليس موصولاً له صلة خاصة لتقوية التقرير بل هو دليل عليه، فضلاً عن انه يعطي العقل فرصة التدبر تحقيقاً لمضمون الخبر.

أما الحديث الثاني فلعل في اقتران الاستفهام بالنفي (افلا...) ما يدل دلالة أعمق وأقوى على الرغبة في إثبات مفهومه في العقول والنفوس، وذلك من اجل إن يزيل من الأذهان معاني الاستغراب من قيام الرسول ﷺ وقد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر، ليصلي حتى ترم قدماه، فهو الرسول القدوة الذي يرسم للناس معالم العبادة ويختط لهم سبل الخير، ومنها الشكر على النعمة والمغفرة، ليقبل المؤمنون على الاقتداء برسولهم ويحذوا حذوه في أعمال الطاعات وفعل الخيرات – إن استطاعوا – على سبيل التحبيذ لا الإلزام. فالتقرير أفاد التحفيز والحث على الاقتداء بالرسول الكريم في العبادة.

إن إيقاظ المخاطب بهذا الاستفهام التقريري، في الحديث الثالث، وجواب المخاطب بـ(بلى) اشد تأثيراً وإبلاغاً للمراد من أي أسلوب آخر، وادعى الى الارتداع والتفكر في قصة ذلك الغيب المرتقب الذي سيكون فيه حوار بين الخالق وعبده. وإقرار الخالق لعبده بهذا الاستفهام دليل ملزم وتبكيت ملجم، من اجل إلزامه الحرج، وإيقاعه في أضيق أموره، أصغاراً لشأنه وتوبيخاً على جرمه. فصيغة الاستفهام لم تحقق الإقرار ببعث الرسل ومنح النعم حسب، وإنما أفادت معاني أخرى صحبت المعنى الأول (التقرير) تلك هي الترهيب والوعيد والتقريع لهؤلاء المعاندين.

ومما ورد في معنى التقرير والاخبار في الحديث الشريف، صيغة (أرأيتِ) [1] المذكورة في الحديث الرابع، فهذه الصيغة تكررت مراراً في الحديث الشريف حتى ليمكن ان تعد ظاهرة ملحوظة فيه[2] .

(1) كلمة تقولها العرب عند الاستخبار، بمعنى اخبرني . اللسان (رأى): 6/19 .

(2) ينظر، فتح الباري: 13/2، 93 ؛ 501/4 ؛ 672/6، 446 ؛ 642/8، 956؛ 488/11؛ 126/13، 484 .

ان اقتران الهمزة بالفعل المذكور تخرج عن كونها استفهاماً محضاً الى التقرير والاخبار[1]، بل قيل انها لا تكون إلا للاستخبار عن حالة يتعجب بها[2].

وقال الشهاب في حواشي البيضاوي: " وفي استعمال (أرأيت) بمعنى اخبرني مجاز، ووجه المجاز انه لما كان العلم بالشيء وابصاره سبباً للاخبار عنه استعمل رأى بمعنى علم وأبصر في الاخبار، والهمزة التي للاستفهام عن الرؤية في طلب الاخبار لاشتراكهما في مطلق الطلب ففيه مجازان " [3].

ان الدلالة الاستفهامية في صيغة (أرأيت) في سياقها التركيبي، تمنح الجملة الاستفهامية بعداً أدائياً متميزاً من خلال القيمة التنبيهية والتقريرية لوظيفة هذه الصيغة، وهي القيمة التي تسبغ على المعنى الاستفهامي قوة تنغيمية يتم بها استيضاح أبعاد هذا المعنى.

لقد أراد رسول الله في الحديث ان يقر ما سألت عنه المرأة بأسلوب المحاججة العقلية، فضرب لها المثل ليكون أوضح وأوقع في نفسها ونفس السامع واقرب الى سرعة فهمه وادعى الى إذعانه. فعمل أسلوب الاستفهام هنا على تحفيز عقل المخاطبة وإشراكها بالتأمل على وفق ما يقتضيه الحجاج العقلي الهادئ. ثم بعد ان اقرها رسول الله على ذلك خاطب المجموع بصيغة الأمر على سبيل الإلزام والوجوب من اجل تعميم الحكم.

وقد منحت صيغة (أرأيت) الجملة الاستفهامية معنى متميزاً من الدلالة على التقرير والاخبار والتنبيه، من اجل إقناع المخاطبة والوصول بنفسها الى حقيقة الجواب[4].

3- النفي

---

(1) إعراب ثلاثين سورة من القرآن، ابن خالويه: 201 .
(2) أساليب الاستفهام في القرآن: 33 ؛ لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم: 281 .
(3) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون: 68 ؛ وينظر دلالات التراكيب: 249 .
(4) لمزيد من الأمثلة في معنى التقرير ينظر، فتح الباري: 534/1، 98 ؛ 13/2 ؛ 48/3، 231، 297، 560، 731 ؛ 33/5، 313 ؛ 407/6، 446، 477، 518، 672 ؛ 145/7 ؛ 59/8، 84، 198 ؛ 129/9، 172 ؛ 204/10، 295، 617 ؛ 144/12، 160، 160، 376 ؛ 32/13، 390، 571، 596 .

قد يخرج الاستفهام في الحديث الشريف الى النفي، وسبق ان رأينا في الإنكار انه نفي أيضاً، ولكن النفي هنا يكون لمجرد النفي وليس مصحوباً بمعنى آخر كالتوبيخ او التكذيب كما في الإنكار.

وفيما يأتي نماذج من الأحاديث الشريفة تحمل هذا المعنى:

قال ﷺ: " ما مِن مَولودٍ إلاّ يولَدُ على الفِطرةِ، فأَبواهُ يُهوِّدانِهِ او يُنَصِّرانِهِ او يُمَجِّسانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعاءَ (1)، هل تُحِسُّونَ (2) فيها مِن جَدْعاءَ(3)؟ " (4).

وروي ان سعداً ﷺ رأى ان له فضلاً من دونه، فقال النبي ﷺ:

" هل تُنصَرونَ إلا بضُعفائِكم؟ " (5).

وروي ان سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في ثوب واحد، فقال:

" أَوَلِكُلِّكم ثَوبان؟ " (6).

لقد سلك رسول الله ﷺ سبيل التصوير، في الحديث الأول، لتقريب الفكرة الى أذهان الناس أي إن الأبوين يهودان طفلهما او ينصرانه او يمجسانه بعد إن خلقه الله على الفطرة، كما تجدع البهيمة بعد إن خلقها الله تعالى سليمة.

إن جملة الاستفهام نيطت بعمل حسي مشاهد فضلاً عن الجانب المعنوي المقدس(7)، فكانت وسيلة أيضاً حذبت النظر، وأيقظت المخاطب للتفكير والتجاوب مع السائل، فلا يملك السامع إلا ان يقول (لا) جواباً.

كما ان دخول (من) المؤكدة في خبر الجملة المنفية المستفهم عنها بـ (هل) يعني ان المتحدث يرجح جانب النفي على الإيجاب فيما يستفهم عنه، أي ان السائل يتوقع ان يكون الجواب بـ(لا) (8)، وليست الهمزة كذلك، لأن المتكلم غالباً ما يستفهم

---

(1) جمعاء: أي سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها، فلا جدع بها ولا كي . النهاية: 296/1 ؛ اللسان (جمع): 411/9 .

(2) ذكر (تحسون) بدلاً من (ترون) مثلاً، لأن التحسس يكون بالحواس الخمس، اما الرؤية فهي لا تتحق إلا بحاسة واحدة .

(3) جدعاء: مقطوعة الأذن . اللسان (جدع): 390/9 .

(4) فتح الباري: 281/3 .

(5) نفسه: 110/6 .

(6) نفسه: 620/1 .

(7) كان العرب قبل الإسلام يجدعون أذن الناقة فتسمى البحيرة، فتأخذ طابعاً قدسياً فلا يجوز ذبحها .
ينظر سورة المائدة، الآية 103 .

(8) التطور النحوي: 109 ؛ التراكيب اللغوية في العربية: 356 .

بها في الحالات التي يكون في نفسه هاجس يوحي بإثبات ما يستفهم عنه[1] وهذا هو سر الاستفهام بـ(هل) بدلاً من (الهمزة) في مثل هذا الموقف.

وفي الحديث الثاني أفادت صيغة الاستفهام النفي بمعنى (لا تنصرون)، وقد شكل النفي مع الاستفهام أسلوباً يؤكد الحض على التواضع ونفي الزهو على الضعفاء، وترك احتقار المسلم في كل أحواله. ولم يجد الرسول ﷺ غير الاستفهام سبيلاً لإبلاغ سعد ﷺ وغيره بكل تلك المعاني التي لا تليق بالمسلم، مع خلق الإثارة والتجاوب مع فكر المتكلم ومشاعره، " فوظيفة اللغة ليست مجرد نقل أفكار او التعامل مع حقائق ثابتة، وانما تنقل الجانب المنطقي والجانب الانفعالي للمتكلم " [2] لا لا شراك المخاطب بهما وعندئذ تحصل الاستجابة المنتظرة.

وأراد النبي الكريم ان يخبر السائل، في الحديث الثالث، بأنه لا ثوبين لكل المخاطبين، لما كان يعلمه عليه الصلاة والسلام من ضعف حال المسلمين إبان الدعوة وقلة ثيابهم، فإذا كانوا كذلك فالصلاة في الثوب الواحد جائزة. وقد جاء ذلك النفي في التعبير النبوي مضمناً في أسلوب الاستفهام البليغ، فكان وقعه ابلغ في النفوس وتأثيره اشد في القلوب لأنه عمل على إثارة المخاطب بإشراكه في النظر، وانتزاع الجواب ب(لا) [3].

4- التشويق

يعد التشويق من الأغراض الشائعة في الحديث الشريف، " وهو أسلوب بلاغي نفسي راقٍ، يتأدى في البلاغة بوسائل عدة، والاستفهام أبرزها " [4].

فقد يورد ﷺ السؤال لخلق التشويق في معرفة الجواب من اجل الترغيب فيه او الترهيب منه، كأن يذكر لهم أمراً عظيماً، ومقصداً هاماً، وهدفاً مرجواً، يسعى اليه كل مسلم، ثم بعد ذلك يورد الاستفهام مقروناً بفعل يدعم التشويق بصيغته، ويصعده بمتعلقه، مثل: ألا أدلكم عليه؟ او يبتدى كلامه بصيغة التشويق هذه " ألا أدلكم؟ او ألا أنبئكم؟ او بالفعل (تدري) مسبوقاً بـ(هل) [5].

وأكثر ما جاء في هذا المعنى قد دخلت فيه همزة الاستفهام على (لا) النافية فاكتسب معنىً ثانوياً آخر وهو العرض[6].

وفيما يأتي نماذج من الأحاديث الشريفة في هذا الغرض:

قال أبو بكر ﷺ: " خطبنا النبي ﷺ يوم النحر " قال:

---

(1) البرهان: 433/4 ؛ الإتقان: 146/1 ؛ معترك الاقران: 573/1 ؛ الجنى الدائي: 340 .
(2) البلاغة والأسلوبية: 119-120 .
(3) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 574/3 ؛ 117/4، 561، 562 ؛ 112/5، 161، 285 ؛ 4/6، 541-542، 23، 766 ؛ 743/8 ؛ 66/9 ؛ 210/10، 523 ؛ 543/11؛ 270/12؛ 371/13، 547 .
(4) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح عبيد دراز: 269 .
(5) ينظر فتح الباري: 664/2 ؛ 410/11 .
(6) ينظر على سبيل المثال، فتح الباري: 855/8 ؛ 548/9 ؛ 224/11 .

أَتَدرونَ أيُّ يومٍ هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولهُ اعلمُ. فسكت حتى ظَننّا انه سيُسميّه بغيرِ اسمهِ، قال: أَليسَ يومَ النّحر؟ قلنا: بلى. قال: أيُّ شهرٍ هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولهُ اعلمُ، فسكت حتى ظَننّا انه سيُسميّه بغيرِ اسمهِ، قال: أَليسَ ذو الحجّةَ؟ قلنا: بلى. قال: أيُّ بلدٍ هذا؟ قلنا: اللهُ ورسولهُ اعلمُ، فسكت حتى ظَننّا انه سيُسميّه بغيرِ اسمهِ، قال: أَليسَتْ بالبلدةِ الحرام؟ قلنا: بلى. قال: فإن دِماءَكم وأموالَكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا الى يومَ تَلقَونَ رَبّكم ... " [1].

وعنه أيضاً ان النبي ﷺ قال:

" ألا أُنبِّئُكم بأكبَرِ الكبائِر؟ (ثلاثاً). قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراكُ باللهِ وعقوقُ الوالِدَينِ – وجَلَس وكان متكئاً فقال – ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكرّرُها حتى قلنا لَيتَهُ سَكَتَ " [2].

وقال ﷺ: " أرأَيتُم لو أنَّ نهراً بابابِ أحدِكم يَغتَسِلُ فيه كلَّ يومٍ خَمساً ما تقولُ ذلك يُبقي من دَرَنه؟ قالوا: لا يُبقي من دَرَنِه شيئاً. قال: فذلكَ مَثَلُ الصلواتِ الخمسِ يَمْحو اللهُ بهِ[3]. الخَطايا " [4].

صدر الرسول الكريم حديثه الأول بالاستفهام (أتدرون أي يوم ...؟) وكان ما سأل عنه معروفاً، ولكن لم يستطع الصحابة ان يردوا على سؤاله لما دخل على نفوسهم من الشك في معلوماتهم، لأنهم يعلمون انه لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب، وانه ليس مراده مطلق الاخبار بما يعرفونه، ولهذا قال الراوي (حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه)، في مقام بلغت فيه انفعالات الرسول ﷺ مسارب عاقت لسانه الكريم عن ملاحقة القول، ففصل بسكتات طوال بين أجزائه من اجل استحضار فهمهم وشوقهم ليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولاشك ان المخاطبين في هذه الأثناء قد بلغوا الذروة من الانفعال والانتظار والتوجس، فالمخاطب في مثل هذا الموقف يرتبط بكل قواه بالمتكلم الذي قد سيطر على حسه.

لقد قسر رسول الله انتباه المخاطبين وخلق كامن الشوق لمعرفة سر العدول بالاستفهام عن المعلوم، ويتكرر هذا الاستفهام مع الشهر والبلد واليوم صعوداً باليقظة الى قمتها. ثم جاء الخبر الذي استوجب إحضار كل هذه القوى النفسية المدركة في تحريم الدماء والأموال تحريماً مؤكداً وتشبيهه بما اقروا على أنفسهم بألسنتهم بأنه أعظم حرمة من كل جنسه[5]، غير ان هنالك ضرباً من العمق في التأكيد لهذه

---

(1) فتح الباري: 731/3 .
(2) نفسه: 328/5 .
(3) هكذا وردت في الصحيح .
(4) فتح الباري: 13/2 .
(5) مناط التشبيه (كحرمة يومكم) ظهوره عند السامعين لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتاً في نفوسهم مقرراً عندهم بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية

الحرمة، يلاحظ في العبارة البالغة كل الدقة، وهو دخول اليوم في الشهر في البلد، حرمات ثلاث بعضها فوق بعض هي المشبه به ليس واحداً منها على الانفصال[1].

ويحدثنا رسول الله في الحديث الثاني عن اكبر الكبائر، وهو أمر مكروه تأباه النفوس المؤمنة والقلوب التي تخشى الله سبحانه، لذا فهو يستوجب التكرار ثلاث مرات بصيغة الاستفهام (ألا) مقترنة بالفعل (أنبئ)، فهو إذن عرض يستقطب الأذهان، ويستولي على القلوب.

وقد نجح رسول الله في ذلك فقد تهيأت الأذهان للسماع وتشوقت لمعرفة تلك المعلومة التي تعد من اكبر الكبائر، فقد أتاه الجواب بتوجس وخيفة: بلى يا رسول الله.

ولما كانت هذه الكبائر مقررة بالكتاب العزيز ومقررة بالسنة المطهرة في وصاياه اكتفى بذكر العطف بينها – الإشراك بالله وعقوق الوالدين – ولكن هذه ليست كل المقصود ولا أهم المقصود لظهورها، وانما جعلت كالتمهيد لما يأتي، ألا وهو قول الزور.

ويصور التعبير (جلس وكان متكئاً) مدى ما صعد اليه اهتمام النبي ﷺ يصور هذا الانتقال المفاجئ من حال الاتكاء الى حال الجلوس، لا ليكون ترويحاً من وضعه الأول، ولكن ليكون نذيراً بأن شيئاً خطيراً سيحدث. عبارة قصيرة تتبع هذه الانتفاضة: ألا وقول الزور[2].

لقد فارقت الكبائر الأولى مع ما فيها من الشرك بالله، فارقتها بانها سبقت بعمل يقسر الانتباه، وبأداة تساوق العمل في مغزاه وهي (ألا) ثم كررت مرات لم يقدر الصحابي على حصرها، وفي هذا التكرار دليل على عظم شأن مدلولها، حتى ان الصحابة قد اخذوا وكادت قلوبهم تسقط فزعاً وتنخلع إشفاقاً على أنفسهم وعلى حبيبهم عليه الصلاة والسلام، فلم ينتبهوا لعدها. أليس يقول الراوي: حتى قلنا ليته سكت. فقد كان سكوته ﷺ متمنىً محبوباً يشغل نفوسهم إشفاقاً عليه من انفعاله وكراهة لما يزعجه[3].

يستبيحونها، فأخبرهم ان تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم، فلا يرد كون المشبه به اخفض رتبة من المشبه، لأن الخطاب انما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون قبل تقرير الشرع. ينظر فتح الباري: 209/1 .

(1) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 349 .

(2) ان اهتمام الرسول ﷺ بشهادة الزور يحتمل ان يكون لأنها أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أيسر وقوعاً، لأن الشرك ينبو عنه المسلم، والعقوق ينبو عنه الطبع، أما قول الزور فإن الحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فحسن الاهتمام بها . ينظر، فتح الباري: 504/10 .

(3) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 76 .

وفي حديثه الثالث فإن ابلغ البلغاء عليه الصلاة والسلام لا يقف عند المعاني المجردة لضعف تأثيرها وسرعة زوالها من النفوس، وإنما يعمد الى تجسيد المعاني في قوالب او صور محسوسة لإثارة اهتمام السامع بصورة اشد، ولترسيخ المعنى وتثبيته في نفسه، فقد يطلب من المرء أمر فلا يستجيب له، ثم يطلب منه هذا الأمر نفسه فإذا هو يستجيب، لأن الأسلوب الآخر يحمل إثارة لمشاعره، يأتي بصورة تلائم هذه المشاعر، وقد تكون هذه الصورة من قبيل الترغيب والإغراء[1].

فالمؤمن الذي يعد نفسه للصلاة في أوقاتها الخمسة مثله كمثل الإنسان الذي يمر ببابه نهر فهو يغتسل فيه خمس مرات كل يوم، والمماثلة بين الحالين قصد بها تقريب المعنى وترسيخه في أذهان السامعين عن طريق تجسيده بصورة حسية مرئية مصرحاً بها على وجه التقابل، فتكرار الصلوات يمحو الخطايا كما ان تكرار الاغتسال يزيل الدرن، وهنا ينتقل المؤمن كلما توضأ ليصلي، او كلما سمع النداء الى تصور نهر لا يجهده بعده، اذ هو قريب ببابه، وتصور درنه يؤذيه بقاؤه، اذ هو مشين فوق جسمه، وتصور اغتسال يورث النشاط ويزيل الدرن، فيرى نفسه مندفعاً الى الصلاة سعيداً بها لينقى مما يشينه ويبرأ مما يثقله[2].

لقد استطاعت هذه الصورة بما فيها من إيحاءات ان تخلق في المتلقي هزة ونشاطاً وتشويقاً، بل ان " كل إيحاء فيها يعمل على بث إعطاء يتفاعل في النفس " [3] فيحصل الإقناع والتأثير.

لقد اقترن الاستفهام بصورة المشبه به الذي سبق المشبه في التعبير النبوي لقسر انتباه السامعين، وتحريك شوقهم ولا سيما وهو يطلب منهم جواباً ليطيل الشوق ويزيد الانتباه، خاصة وان المشبه به صورة بديعة يتمناها كل فرد يشعر بالحياة ويحس بالجمال. وبعد ان اخذ اقرارهم على ذلك جاءت صورة المشبه المتأخر التي هي الصلوات الخمس، ذلك العمل الذي لا يزيل درناً شاخصاً عن البدن فحسب، وانما يمحو آثاماً وخطايا.

يلاحظ من الأحاديث المذكورة انه ﷺ يستعين بكل الوسائل في سبيل خلق التشويق والتأثير في المخاطبين، فقد يلجأ الى تكرير الاستفهام، او يغير من جلسته، او يأتي بصورة فنية بديعة من اجل تأكيد المعنى ولفت النظر وتنبيه الغافل[4] .

5- العرض والتحضيض

(1) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حنفي: 44 .
(2) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 120 .
(3) دراسة في لغة الشعر، رجاء عيد: 44 .
(4) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 172/1، 207 ؛ 664/2 ؛ 44/5 ؛ 457/6 ؛ 504/8 ؛ 65/9، 72، 77، 632 ؛ 313/11، 410 ؛ 498/13 .

إن الاستفهام الذي دل على العرض والتحضيض في الحديث النبوي، كان من اللطف وجلب الامتثال وتحريك كوامن الشوق لدى المخاطب، ما ليس في صيغة الأمر، لأنه يشعر المخاطب بشخصيته وانه طرف حر السلوك والاختيار، خلافاً لظاهر صورة الأمر الذي يوحي بالعلو والإلزام.

وصيغة العرض والتحضيض تكون بأداة الاستفهام (الهمزة) متلوة بحرف النفي (لا). ومما جاء في معنى العرض قول رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام:

" ألا تزورُنا أكثر مما تزورُنا؟ " [1].

ومن الاستفهام الذي جاء بدلالة العرض أيضاً قول رسول الله في شأن رجل أتاه يشكو الإجهاد والجوع:

" ألا رجلٌ يُضيفُهُ الليلةَ يرحمُهُ اللهُ؟ فقام رجل من الأنصار[2] فقال: أنا يا رسول الله ... " [3].

ومما جاء في معنى التحضيض قوله ﷺ لعلي وفاطمة (رضي الله عنهما) عندما طرقهما ليلة:

" ألا تُصلِّيان؟ ... " [4].

وحض النبي ﷺ جرير بن عبد الله على هدم نصب كان يعبد في الجاهلية، فقال:

" ألا تُريحُني من ذي الخَلَصة؟ [5] " [6].

ففي الحديث الأول نرى رسول الله يكلم ملكاً من ملائكة الله، لذا لابد إن يكون الأسلوب من الأدب واللطافة في التعبير ما يناسب ذلك المقام. والنبي الكريم أفصح العرب، خبير بافانين الكلام ومقتضيات الأحوال ومقام المخاطبين، لذلك كان طلب الإكثار من الزيارة بأسلوب الاستفهام (ألا تزورنا؟) الذي تظهر فيه رقة العرض وتلطف الطلب.

وبعد إن عجز رسول الله عن إن يضيف الرجل الجائع المجهد لافتقاره الى ما يقدمه له[7]، وجد ان لا سبيل أمامه إلا ان يعرض الأمر على أصحابه البررة بطريق

---

(1) فتح الباري: 375/6 .
(2) هو ابو طلحة (رض) .
(3) فتح الباري: 814/8 .
(4) نفسه: 12/3 .
(5) الخَلَصة: صنم كانوا يعبدونه في الجاهلية ويسمونه بالكعبة اليمانية، يضاهون به الكعبة، وخص جريراً بذلك لأنه كان في بلاد قومهم، وكان هو من أشرافهم . عمدة القاري: 269/14 .
(6) فتح الباري: 88/8 .
(7) ينظر تفاصيل الحديث، فتح الباري: 814/8 .

الاستفهام (ألا رجل ...؟)لما فيه من التلطف وتحقيق الامتثال وتحريك مشاعر المخاطبين، فقد كان ﷺ يدخل في اعتباره " دلالات كثيرة فوق الدلالة المباشرة، يأنس اليها السامعون ويفتقدونها اذا سيق لهم القول مغسولاً منها مقتصراً على أداء المعنى المجرد " [1]، كتخير الكلمات والأساليب المطابقة للموقف، وقد عزز ﷺ العرض بدعائه للمضيف بالرحمة ثواباً له.

وفي الحديث الثالث أراد رسول الله لابنته وابن عمه إحراز فضيلة صلاة الليل وأراد ان يأمرهما بالصلاة امتثالاً لقوله تعالى (وَأمر أَهلَكَ بِالصَّلاةِ) [2]، ولكنه عدل عن أسلوب الأمر الصريح، لأن صلاة الليل ليست من الفرائض، فتفرض على سبيل الإلزام، واختار أسلوب الحض والحث (ألا تصليان؟) لأنه أكثر مراعاة لنفسية المخاطبين، وعدم إشعارهم بشعور المأمور الذي يملى عليه الأمر بلا جدال، بل بالتودد والتحبب الداعي الى الامتثال والاستجابة.

وطلب رسول الله من جرير، في الحديث الرابع، بأسلوب الاستفهام الدال على معنى الحض والحث، هدم البيت الذي كان يعبد فيه غير الله تعالى، راحة لقلبه الشريف، وعبر بالراحة عن الرغبة في هدمه.

واختار ﷺ التحضيض بأسلوب الاستفهام لحمل المخاطب على أمر هو غير ملزم به لما في هذا الأمر من كلفة وعناء قد ينوء بهما، وقد امتثل الصحابي جرير لطلب الرسول ﷺ فنفر اليه في خمسين ومائة فارس فكسروا الصنم وقتلوا من وجدوا عنده، ثم اخبروا الرسول بما فعلوا فدعا لهم[3].

وتكرر ورود غرض العرض والتحضيض في الاستفهام النبوي، لكني اكتفي بما ذكرت منه[4].

6- التعجب

وهو معنى يخرج اليه الاستفهام معبراً عن شعور المتكلم إزاء أفعال المخاطب او أقواله المتناقضة، او ما جرى على غير قانون العقل والمنطق والمألوف في العرف الاجتماعي، وهو في بعض حالاته لون من ألوان الإنكار، وقد تصحبه معانٍ أخرى تمازجه فيدق ويخفى وحينئذٍ يستدل عليه بالقرينة والسياق.

---

(1) مدخل الى علم الأسلوب: 30 .
(2) طه / 132 .
(3) ينظر تفاصيل الحديث: فتح الباري 88/8 .
(4) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 225/3 ؛ 145/6، 200، 457 ؛ 658/8، 855 ؛ 548/9 ؛ 86/10 ؛ 143/11، 224، 452 ؛ 246/13، 387 .

وقد لحظ الرسول الكريم في أفعال المسلمين وأقوالهم ما لا ينبغي ان يكون، لذلك أبدى تعجبه من ذلك بصيغة الاستفهام، بهدف التقويم والتربية المثلى وصولاً الى الكمال المنشود في مجتمع إسلامي متماسك.

ومن هذه الأحاديث التي انطوى الاستفهام فيها على التعجب قوله ﷺ، عندما استيقظ ذات ليلة فقال:

" سُبحانَ اللهِ، ماذا أُنزِلَ من الخزائن، وماذا أُنزِلَ من الفتن[1]، من يُوقِظ صَواحِبَ الحُجر – يريد به أزواجَه – حتى يُصلِّين 000 " [2].

وقالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ له:

" يا رسولَ الله، انكِحْ أختي بنت أبي سفيان. فقال: أَوَتُحِّبينَ ذلكَ؟ " [3].

وقال ﷺ لعقبة بن الحارث عندما اخبره ان امرأة سوداء جاءت فزعمت انها قد أرضعت عقبة وزوجه، فأعرض عنه ﷺ وتبسم قائلاً:

" كيفَ وقد قِيلَ؟ " [4].

الاستفهام النبوي في الحديث الأول، لا يراد به جواب، وانما كان تعبيراً عن تعجب قائله ﷺ مما رأى في تلك الليلة من الخزائن التي ستفتح لأمته، ومما سيقع بعده من الفتن.

والتعبير بالأداة (ماذا) يضيف الى الاستفهام قوة وبلاغة لا تكون في (ما) لوحدها ولعل ذلك يعود الى زيادة حروفها[5]، وقد استثمر الرسول ﷺ هذا العنصر لتأكيد التعجب مما انزل من الخزائن ومما انزل من الفتن بسببها، ولم يسعه وهو في خضم انفعاله من خوفه على أمته مما نزل في تلك الليلة، إلا أن يتساءل عمن يوقظ نساءه ليصلين عسى أن تشملهن رحمة ربهن.

وقد سبق الاستفهام التعجبي هذا لفظ (سبحان الله) الذي يذكر أيضاً في مقام التعجب[6]. ولفظ (سبحان الله) إذا تقدم الخبر استلزم معنى استعظام ما يذكر بعده استلزاماً بلاغياً[7].

والاستفهام النبوي في الحديث الثاني (أوتحبين ذلك؟) يشي بالتعجب والإنكار معاً، فان ام حبيبة (رض) وهي الزوجة تطلب من زوجها ان يتزوج غيرها، مع ما

---

(1) هذا الحديث من جملة معجزات النبي ﷺ اذ اخبر بذلك قبل وقوعه، فقد فتحت خزائن فارس والروم، وغنم المسلمون الأموال من البلاد المفتوحة، ووقعت الفتن بعد ذلك كما هو مشهور . ينظر، فتح الباري: 731/10 .

(2) فتح الباري: 730/10 .

(3) نفسه: 174/9 .

(4) نفسه: 366/4 .

(5) درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الاسكافي: 331 ؛ التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي: 97 .

(6) الكشاف: 138/3 .

(7) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 370 .

طبعت عليه المرأة من الغيرة، في ان تشاركها في زوجها امرأة أخرى حتى لو كانت أختها، ان هذا الشيء خارج عن المألوف يستبعد تصديقه، ويدعو حقاً الى العجب.

والاستفهام في الحديث الثالث، يراد به التعجب والإنكار[1] أيضاً، أي كيف تستطيع الاستمرار في علاقتك الزوجية وقد قيل انك أخوها؟ ان ذلك بعيد عن ذوي التقوى والورع. وإذا كان الإنكار بالهمزة يؤذن باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه، فان الإنكار بـ(كيف) أقوى وابلغ في ذات الأسلوب لهذه الأداة الدالة على الحال[2] التي صعدت التعجيب، بل أخرجت الاستمرار في العلاقة الزوجية في صورة المستحيل، ومع ذلك لم يصل الانفعال الى حد الغضب بدلالة قول الراوي (اعرض عنه وتبسم ...) [3].

(1) ذكر البدر العيني ان الاستفهام هنا يراد به الاستبعاد . عمدة القاري: 99/20 .
(2) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 259 .
(3) للاستزادة، فتح الباري: 212/2 ؛ 333/3 ؛ 529/4، 559 ؛ 113/6، 477 ؛ 151/9، 219 ؛ 555/10، 734 ؛ 314/11 .

7- الاستدراج

ومن الأغراض التي يهدف اليها الاستفهام النبوي الاستدراج[1]، وهو أن يسأل النبي أصحابه سؤالاً، فيجيبوه عليه، لينطلق بعد ذلك الى الموضوع الذي يريد التحدث عنه، بعد ان تكون الأذهان قد تهيأت، والنفوس قد تحفزت للاستماع والإصغاء، فيكون التأثير أوقع واشد في النفس مما لو ذكر الإبلاغ بصورة مباشرة دون إثارة، " فالمبدع عن طريق الاستفهام يتخلص من ركود العبارة المألوفة والصفة الآلية التي تلابس الوضوح " [2] والمباشرة. كما سنرى ذلك في الأحاديث الآتية:

روي انه لما أنزلت الآية الكريمة (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) [3] خرج رسول الله حتى صَعد الصفا فَهتَفَ:

" يا صباحاه. فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا اليه، فقال: أَرأيتُم ان أخبرتُكم انَّ خيلاً تخرُجُ من سَفح هذا الجبلِ اكنتم مُصدِّقِي؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كِذباً. قال: فانّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد ... " [4].

وعن سهل بن سعد قال:

" مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَريٌّ إن خَطب أن يُنكحَ، وإن شَفَعَ ان يُشفِّع، وإن قال أن يُستَمع. قال: ثم سكت. فمر رجلٌ من فُقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إن خَطَبَ ان لا يُنكحَ، وإن شَفَعَ ان لا يُشَفَّعَ، وإن قال ان لا يُستَمَعَ. فقال رسول الله ﷺ: هذا خيرٌ من مِلءِ الأرض مثلَ هذا " [5].

---

(1) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: 364-365 .
(2) نظرية المعنى في النقد العربي: 51 .
(3) الشعراء / 214 .
(4) فتح الباري: 956/8 .
(5) نفسه: 164/9 .

وقال النبي ﷺ:
" أيُّكم مالُ وارثِه أَحَبُّ اليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا احدٌ إلاّ مالُه أحبُّ اليه، قال: فإن مالَه ما قدّمَ، ومالَ وارثِهِ ما أَخر " (1).

إن مهمة الإبلاغ وتحقيق ما تهدف اليه من اليقين والاقتناع من المهمات الصعبة التي تؤدى على حذر وتؤدة، فاذا ما نهض الداعي بهذه المهمة رأى إن الدخول اليها مباشرة لا يحقق من النتائج ما هو حريص على تحقيقه، فالقضية اكبر من أن تلقى على المسامع مباشرة من غير تمهيد او تهيئة، لذلك فقد سلك رسول الله ﷺ، في الحديث الأول، الى إبلاغ الناس انه نذير لهم بين يدي عذاب شديد سبيل الاستدراج وتهيئة الأذهان عن طريق النداء أولاً، تنبيهاً الى أن ثمة أمراً ذا بال، وحين ضمن اجتماع القوم أراد إن يضمن إقرارهم على ما سيقول، فألقى سؤالاً (أرأيتم...؟) ينهيه بقوله: (أكنتم مصدقيّ؟) فليس السؤال اختباراً للقوم على صدقه او بخلاف ذلك – حاشاه – فالأمر محسوم قبل إن يأتي بالرسالة، ولكنه الاستدراج الى الموضوع الرئيس ألا وهو إخبارهم بأنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد، آخذاً بذلك الإقرار على صدقه سبيلاً الى إقرارهم بصدقه في موضوع الإنذار والرسالة.

وفي الحديث الثاني كان الاستفهام النبوي أيضاً استدراجاً للمخاطبين لقسر انتباههم وجذب إصغائهم الى ما سيقوله لهم في مفاهيم خاطئة كانت قد غرست في أذهانهم، فلو سلك أسلوباً خبرياً في تغيير هذه المفاهيم الراسخة لما كان لها هذا الوقع في نفوس المخاطبين، لذلك سلك سبيل الاستفهام من اجل استدراج المخاطبين الى انه حري بهم إن يراجعوا أنفسهم في هذه المفاهيم، ويعلموا على تغييرها في ضوء الإيمان الذي هدم كثيراً من المألوف البعيد عن الصواب، فالمفاضلة تكون في التقوى ولا تكون في الغنى والفقر.

وسؤال النبي الكريم في الحديث الثالث، يخاطب العقل في المتلقي، ليصل عن طريق النظر في العاقبة الى اختيار سبيلها. إن السؤال يبدو غريباً لأول وهلة، لأنه معارض لما خلقت عليه النفس البشرية فما احد إلا وماله أحب اليه.

لقد أثار هذا الاستفهام في نفوس المخاطبين علامات الاستغراب والاستيضاح، فانطلق صوتهم مخبراً بأدب، ما منا احد إلا ماله أحب اليه، وهنا يأتي التوضيح والبيان فيستقر الجواب في النفس أتم استقرار.

لقد أراد الرسول الكريم بهذا السؤال استدراج المخاطبين الى الموضوع الرئيس وهو الحض والترغيب على إنفاق المال في حياة الإنسان في وجوه البر

(1) نفسه: 313/11 .

لينتفع به في الآخرة، اما إن لم يفعل ذلك فهو يجمعه لوارثه[1]. ولا يخفى ما في الاستفهام من الإثارة، والتلطف في النصح المرتب على المقارنة، وهو خير من الأمر المحض ببذل المال في سبيل الخير، لأن السائل يحصل بالاستفهام على حكم من المخاطب يخجل لو تعداه لأنه حكم منه على نفسه[2].

8- التأنيس والتسلية

وأسلوب الاستفهام في البيان النبوي قد يكون إيناساً للمخاطب، وتلطفاً معه، وتسكيناً لنفسه، في مقام هو أحوج ما يكون فيه الى المواساة.

من ذلك قوله ﷺ رداً على قول صاحبه أبي بكر الصديق ﷺ وهما في الغار: لو أن أحدَهم نظرَ تحت قَدَميهِ لأَبصَرَنا. فقال ﷺ:

" ما ظَنُّكَ يا أبا بكر باثنينِ اللهُ ثالثُهما " [3].

وجاءت أم حارثة الى النبي ﷺ، وقد أصيب ولدها حارثة[4] يوم بدر، فقالت: يا رسول الله قد عرفتَ منزلةَ حارثةَ مني، فأن يَكن في الجنةِ أَصبرْ واحتسبْ، وإن تَكُنِ الأخرى تَرَ ما اصنعُ. فقال:

" وَيْحَكِ – أَوَهَبِلْتِ - [5] أَوَجَنَّةٌ واحدةٌ هي؟ انها جِنانٌ كثيرةٌ، وإنّهُ في جنّةِ الفِردَوس " [6] .

وقال ﷺ لفاطمة (رضي الله عنها) في مرضه الذي مات فيه:

" يا فاطمة ألا ترضَينَ أن تكوني سيدةَ نساءِ المؤمنين؟ " [7].

فالحديث الأول يهدف الاستفهام النبوي فيه الى إقرار أمر يبعث في نفس أبي بكر ﷺ الطمأنينة ويسبغ عليها السكينة، ذلك انه أبدى مخاوفه مما سيقع للرسول الكريم وهو الحريص على ألاّ يصاب بأذى، لو أن أحداً من المشركين أبصر بهما وهما في الغار، ولو قال له النبي الكريم بأسلوب الخبر المباشر: لا شيء علينا يا ابا

---

(1) أي ان الذي يخلفه الإنسان من المال وان كان هو في الحال منسوباً اليه فغنه باعتبار انتقاله الى وارثه يكون منسوباً للوارث، فنسبته للمالك في حياته حقيقية، ونسبته للوارث في حياة الموروث مجازية ومن بعد موته حقيقية . وينظر فتح الباري: 11/ 313 .

(2) للاستزادة: فتح الباري 13/2 ؛ 347/3 ؛ 72/9 ؛ 523/10 .

(3) فتح الباري: 10/7 .

(4) هو ابن سراقة بن الحارث بن عدي الأنصاري، وأمه الربيع –بالتشديد – بنت النضر، عمة انس بن مالك، فتح الباري: 387/7 .

(5) الهبل: الثكل، ويستعمل في معنى المدح والإعجاب . النهاية: 240/5 ؛ اللسان (هبل): 210/14 .

(6) فتح الباري: 387/7 .

(7) نفسه: 94/11 .

بكر او لن يرانا احد أبداً ونحن في رعاية الله، لما حقق ذلك ما يتطلبه الموقف القلق الذي كان أبو بكر بحاجة اليه، من التذكير – عن طريق السؤال – بوجود الله معهما، وهذا الأمر بحد ذاته مبعث هدوء للنفس وسكون للروع.

والرسول ﷺ، هو افصح الناطقين بالضاد، يدرك ما " للأحوال من مقتضيات ينبغي إن تراعى في صيغ أسلوبية محددة تناسب الخطاب والمتلقي والسياق " [1]، فتحقق قدراً أوفر من الإثارة والتأثير إيجاباً، لذلك سلك سبيل الاستفهام المثير للذهن والانفعال.

وفي الحديث الثاني أتت أم الشهيد حارثة الى رسول الله لتسأل عن منزلة ابنها، وقد رأى ما بها من حزن وأسى على فراق ولدها، فلم يكن ابلغ من أن يواسيها ويخفف حزنها على ولدها بالأسلوب الاستفهامي (أوجنة واحدة...؟) الذي أنكر عليها قولها: (فإن يكن في الجنة) لأنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة وأن ابنها قد أصاب أعلاها، وهي الفردوس، هذه بشرى لها لتصبر ولتفرح ولا تحزن، وقد بشر الله تعالى من قبل شهداء معركة بدر بالجنة.

وقد سبق التعبير الاستفهامي المذكور استفهام آخر (أوهبلت؟) مبدوءاً بكلمة (ويحك) [2] للتعجب مما يخالجها من شك في عاقبة ابنها الشهيد، فكأنه قال أفقدت عقلك بفقد ابنك حتى جعلت الجنان جنة واحدة، كل ذلك دلالة على تأكيد معاني التأنيس للأم، والإعجاب بمنزلة الولد، والحث على الجهاد وغير ذلك مما يدل عليه السياق.

وعندما جاءت فاطمة (رض) لزيارة والدها المريض ﷺ في الحديث الثالث، رحب بها واخبرها باقتراب اجله، فلم يسعها إلا أن تجهش بالبكاء حزناً على فراق أبيها، فأراد رسول الله أن يواسيها ويسليها فسارها بهذا النداء الأبوي (يا فاطمة) ثم بالأسلوب الاستفهامي الذي ادخل السرور الى قلبها المحزون (ألا ترضين...؟) فإذا كلمات رسول اله قد نالت شغاف قلبها ونزلت عليه كالبلسم فنست حزنها، فإذا هي تضحك[3].

(1) نقد الأسلوب، من علم البلاغة الى علم الأسلوبيات، د. مازن الوعر، بحث مقدم الى مؤتمر النقد الأدبي الرابع، جامعة اليرموك، الأردن، 1992، ص 4 .

(2) ويح: كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد تقال بمعنى المدح والتعجب . النهاية: 235/5 ؛ اللسان (ويح): 478/3 .

(3) ينظر تفاصيل الحديث: فتح الباري: 94/11 .

وهكذا حمل أسلوب الاستفهام الى فاطمة (رض) في جملة ما حمل التأنيس والتسلية بالبشرى التي بشرها رسول الله بها، بأنها ستكون سيدة نساء المؤمنين في الجنة[1].

(1) للوقوف على مزيد من الأحاديث في هذا المعنى ينظر فتح الباري 413/2 ؛ 39/6 ؛ 849/8 ؛ 644/10 .

9- الندب

وقد يخرج الاستفهام النبوي الى معنى الندب، وهو الدعوة، يقال: ندبه لأمر فأنتدب له أي دعاه له فأجاب[1]. كما في هذه النماذج من الأحاديث الشريفة:

قال رسول الله ﷺ يوم بدر:

" من ينظرُ ما صَنَعَ أبو جهل؟ " [2].

وقال:

" من يأتيني بخبرِ القومِ يومَ الأحزاب؟ فقال الزُّبيرُ: أنا. ثم قال: من يأتيني بخبرِ القومِ؟ قال الزّبيرُ: أنا. قال النبي ﷺ: إنَّ لكلِّ نبيٍّ حَواريّاً وحواريّ الزُّبيرُ " [3].

وقال أيضاً:

" من لِكَعْبِ بنِ الأشرفِ؟ فإنّه آذى اللهَ ورسولَهُ ... " [4].

فالحديث الأول خرج الاستفهام الى معنى الندب، وإيقاظ الهمم بتلطف وتودد للوقوف على صنيع أبي جهل، وفي هذا الفعل خدمة للمسلمين، ولأسلوب الاستفهام في هذه المواقف فضل إثارة الهمم وتحريض العزائم.

وندب الرسول ﷺ بأسلوب الاستفهام (من يأتيني؟) احد السامعين من الصحابة ليأتيه بخبر العدو في واقعة الأحزاب، فقدم الزبير نفسه، فأعاد رسول الله الندب، فأعاد الزبير تقديم نفسه، حتى إذا ما ستوثق الرسول من رغبة الزبير للقيام بهذه المهمة أوكلها اليه، وجعله حواريه تكريماً له وتقديراً.

وأراد رسول الله بصيغة الاستفهام (من لكعب؟) إن يجيب احد الصحابة دعوته ويتصدى لقتال الرجل الذي آذى الله ورسوله. وقد اثر رسول الله هذه الصيغة لما فيها من تلطف في السؤال، لأنها تجرد المتكلم من أن يفرض على احدهم القتال وهو غير قادر عليه، او راغب فيه فيظلمه، كما إن الذي يقدم نفسه طواعية يكون عطاؤه أكثر والتزامه بالتنفيذ أقوى[5].

10- التنبيه

وهو من المعاني التي عبر عنها الاستفهام النبوي، من ذلك ان رسول الله ﷺ خرج الى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أَتخلِّفُني في الصبيان والنساء؟ قال:

---

(1) الصحاح (ندب): 223/1 .
(2) فتح الباري: 408/7 .
(3) نفسه: 66/6 .
(4) فتح الباري: 178/5 .
(5) للاستزادة، فتح الباري: 36/3 ؛ 311/5 ؛ 100/7 .

" ألا ترضى ان تكون مني بمنزلةِ هارونَ من موسى؟ إلا أَنّهُ ليس نبيٌ بعدي " [1].

واخذ الحسن بن علي ﷺ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي: " كِخْ، كِخْ [2]، أما تَعرفُ أنّا لا نأكلُ الصدَقة؟ " [3].

وقال ﷺ للأنصار بعدما أفاء الله على رسوله من أموال هوزان في غزوة حنين، فقسمها في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً[4]، فكأنهم وجدوا[5]، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال:

" يا معشرَ الأنصار، ما حديثٌ بلغني عنكم؟ فسكتوا. فقال: يا معشرَ الأنصار، ألا تَرضَونَ أن يذهبَ الناسُ بالدنيا، وتذهبونَ برسولِ الله تحوزونَهُ الى بيوتِكم؟ قالوا: بلى " [6].

ففي الحديث الأول أراد رسول الله ان ينبه علياً ﷺ على ان ما ينهض به انما هو تكليف خاص لا ينهض به غيره، وليس الأمر على ما تصور حين أبدى رأيه مسوقاً في شيء من الحذر والتوجس الظاهرين في سؤاله (أتخلفني في الصبيان والنساء؟) وهو استفهام لا نستطيع حمله على الإنكار، فمثل علي ﷺ وقد تربى في أحضان النبوة وتأدب بأدب الإسلام لا ينكر على نبيه شيئاً، وهو العارف بان أمره مطاع ولا ريب، ولكنه محمول على عدم تبينه وانتباهه لجلية الأمر الذي يدعوه الى ان ينصرف عن المهمة الكبرى وهي اللحاق بركب المجاهدين، إذاً ذلك هو إحساس المؤمن الحريص على ألا يتخلف عن جسيمات الأمور، فجاء الاستفهام منبهاً على غير ما ذهب اليه ظنه ومرغباً له في ذلك (ألا ترضى ...؟). عندئذٍ يحس علي ﷺ بالطمأنينة لينصرف الى أداء المهام الموكلة اليه بثبات ويقين، فيقول: رضيت رضيت، كما ورد في رواية أخرى[7].

وخاطب النبي الكريم، في الحديث الثاني، أحب الناس اليه الحسن بن علي ﷺ وكان صبياً، بما يفهمه فزجره عن الفعل بعبارة الزجر المكررة، ثم أعقبها عبارة التنبيه الاستفهامية، تعليلاً لصيغة الزجر المذكورة، حتى يرتبط ما بينهما فيتقرر في ذهن المخاطب ﷺ فيتنبه ولا يغفل عن ذلك مستقبلاً.

---

(1) فتح الباري: 141/8 .
(2) كخ: كلمة زجر للصبي وردع، وتقال عند التقذر أيضاً . النهاية: 154/4 .
(3) فتح الباري: 226/6 .
(4) قسم رسول الله الغنائم في ناس من قريش اسلموا بعد الفتح إسلاماً ضعيفاً، من اجل ان يتمكن الإسلام في قلوبهم . فتح الباري: 60/8 .
(5) وجدوا: من الموجدة وهي الغضب، او من الوجد وهو الحزن . اللسان (وجد): 459/4 .
(6) فتح الباري: 67/8 .
(7) نفسه: 93/7 .

لقد أثار الصبي النبي الكريم لتقريبه من فمه تمرة من تمر الصدقة، والصدقات أوساخ الناس تخرج من أموالهم فتطهرها، لذا جاء التنبيه قوياً بـ(اما) للفت انتباه المخاطب الى هذه الخاصية التي ينفرد بها أهل البيت.

وفي الحديث الثالث بدأ النبي خطبته بنداء المخاطبين تنبيهاً لهم، وإيقاظ الغفلة فيهم ثم أعقب النداء الاستفهام الذي يحمل في دلالته العامة المعاتبة واللوم، ثم بعد ان قربهم نفسياً اليه بتكراره صيغة (يا معشر الأنصار) التي تحمل معاني الود والاستمالة، جاء التنبيه قوياً مباغتاً للنفس بالأداة (ألا) التي تمثل قمة الإحساس بالموقف، والحاجة الملحة الى لفت انتباه من يسمع، واستحضار ما غفل عنه من أمر ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية، وما سيحصلون عليه من رضا رسول الله ﷺ وثواب الآخرة[1]. ثم ان التعبير بالفعل (تحوزونه) دال على الظفر بالشيء الثمين مما يضفي لمسات واضحة الى معاني التنبيه والترغيب.

11- الأمر

قد يرد الاستفهام في الحديث الشريف، ويكون الغرض منه توجيه الأمر الى المخاطب، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من الأدب في الخطاب، ومن الإثارة والتشويق، وسياسة النفوس والتأثير فيها، وإشراكها في عملية الإقناع، فهو يزيد على الأمر الصريح بهذه المعاني الإضافية، كما انه يمثل قمة الطلب[2]، كما سنرى في تحليلنا للأحاديث الشريفة المنطوية عليه.

قال النبي ﷺ في نصرة ابي بكر على عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وقد تغاضبا مرة، موجهاً كلامه الى عمر ﷺ ومن معه:

" إنّ اللهَ بعثني إليكم، فقلتم كذبتَ، وقال ابو بكرٍ: صَدَقَ، وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، فهل انتم تاركو لي صاحبي؟ (مرتين). فما أوذِيَ بعدَها " [3].

وفي حديث للرسول ﷺ مع وحشي، قاتل حمزة ﷺ عندما قدم عليه، فقال له:

" فهل تستطيعُ أن تُغيّبَ وجهَكَ عني؟ " [4].

وقال ﷺ لجماعة كانوا عنده:

" أتبايعوني على أن لا تُشركوا باللهِ شيئاً، ولا تزنوا، ولا تَسْرقوا؟ " [5].

لقد بين الرسول الكريم منزلة أبي بكر، في الحديث الأول، وفضله في الإسلام أولاً، ثم أعقب ذلك بالاستفهام الدال على الأمر (فهل انتم تاركوا...؟) بمعنى اتركوا

(1) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 177/2 ؛ 745/8 .
(2) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 264 .
(3) فتح الباري: 21/7 .
(4) نفسه: 466/7 .
(5) نفسه: 822/8 .

لي صاحبي، وكرره مرتين دلالة على شدة انفعاله، وتأكيداً للمضمون، وهو عدم إيذاء صاحبه في المستقبل.

توخى الرسول ﷺ صيغة الاستفهام في توصيل طلبه الى المخاطبين لما في هذه الصيغة من تودد وامتنان[1]، وتلطف في الخطاب لئلا يشعر المخاطب بأنه مأمور، وفي هذا مراعاة نفسية المخاطبين، ومن هنا كان الأمر بصيغة الاستفهام ابلغ أثراً، وأقوى دلالة، وشاهد ذلك ان الصحابة قد امتثلوا لهذا الأمر (فما أوذي بعدها).

ومما يلفت النظر ان الاستفهام جاء بـ(هل) داخلة على جملة اسمية بخلاف طبيعتها، فهي الى الفعل أميل، وفي هذه المخالفة دليل على رغبة المتكلم في معنى الاسمية أي الثبوت والدوام[2]، وهي أقوى من استعمال الهمزة. يقول السيوطي في ذلك: " ان هل والهمزة وان اشتركتا في الدخول على الفعل لكن (هل) للفعل ادعى منها فتركه معها أدل منها على كمال العناية بحصول ما سيتجدد لتحويله عن أصله، وتحويل الشيء عن أصله إنما يكون لغرض أقوى منه بخلاف الهمزة " [3]. كما ان الاستفهام بـ(هل) يزيد المعنى تأكيداً، لأنها تكون لما هو أقوى وآكد في الاستفهام[4][5].

وأراد رسول الله، في الحديث الثاني، أن يأمر وحشياً بتغييب وجهه عنه، أي بالابتعاد، لكنه عدل عن صيغة الأمر المباشر الى صيغة الاستفهام لما في هذه الصيغة من إغراء بالعمل والحث عليه، لأنها مخاطبة النفس والعقل معاً، وفي ذلك مبالغة في الطلب، وهي في الوقت نفسه تعبر عن وجدان المتكلم وانفعاله بالمعاني التي يريد إن يسقطها على المخاطب فيبلغ هدفه. وهدف الرسول ﷺ في حديثه هذا توبيخ وحشي هذا، وإلزامه الحرج على جرمه الكبير. كما إن الاستفهام بـ(هل) في هذا الموقف يكون " أدل على الطلب والمبالغة فيه والحض عليه " [6].

وخاطب رسول الله، في الحديث الثالث، أصحابه بألطف أنواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن معنى الأمر، وهو ابلغ من صيغة الأمر، فهو فضلاً عما فيه من تعبير مؤدب، لأنه يترك المخاطب بالخيار بين ان يفعل وان لا يفعل، فيه مبالغة في الطلب وإغراء بالعمل به[7].

---

(1) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 265 .
(2) ينظر، دلائل الإعجاز: 134 ؛ دلالات التراكيب: 226 .
(3) عقود الجمان: 180 .
(4) التعبير القرآني: 135 .
(5) لمزيد من الأحاديث بالصيغة نفسها ينظر فتح الباري: 334/6 ؛ 177/7 .
(6) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد حسنين أبو موسى: 296 .
(7) المعاني في ضوء أساليب القرآن: 184 .

وكل هذه اللطائف البلاغية كانت مقصد رسول الله في استفهامه الذي تضمن طلب المبايعة على عدم الإتيان بالكبائر وهي الإشراك بالله، والزنا، والسرقة، فإذا بايعوا على ذلك طواعية من دون ان يؤمروا بذلك كان التزامهم اشد، وإقامة الحجة عليهم ابلغ، لأنهم قد بايعوا من دون ضغط او أكراه. كما ان الأمر بصيغة الاستفهام يخلو من معنى الاستعلاء الذي قد يشعر به المأمور تجاه الآمر، وهذا عامل نفسي له أثره في اتخاذ القرار والثبات عليه[1].

12- النهي

ان النهي عن الفعل بأسلوب الاستفهام ابلغ من صيغة النهي المعروفة لما فيه من لطف، ومنع حق الاختيار للمخاطب، وعدم إشعاره بالاستعلاء والإلزام مما يدعوه الى الامتثال للطلب عن رضا وقناعة.

من ذلك قوله ﷺ لأعرابي سأله عن ضالة الإبل فأجاب منفعلاً: " ما لَكَ ولها؟ معها حِذاؤها وسِقاؤها، تَرِدُ الماءَ وتأكُلُ الشّجَرَ " [2].

وقال ﷺ:

" بِمَ [3] يَضرِبُ أحدُكم امرأتَهُ ضَرْبَ الفَحلِ ثم لعله يُعانِقُها " [4].

جاء نهي رسول الله للأعرابي عن اخذ الإبل، في الحديث الأول، بصيغة الاستفهام، بمعنى لا تأخذها لاستغنائها عن الحفظ والملتقط، بما ركب في طباعها من الجلادة على العطش وتناول المأكول بغير تعب.

والتعبير بـ(مال) يصور إثارة التعجيب الى مداه في الأسلوب[5]، وهذا ما يبدو من حديث رسول الله، فإنه يعجب من سؤال السائل عجباً مشوباً بالنهي والزجر، لكن هذه المعاني خف وقعها على السائل عندما حملتها اليه صيغة الاستفهام.

ونهى ﷺ، في الحديث الثاني، عن ضرب المرأة بأسلوب الاستفهام وأداته (ما) سبقها حرف الجر، أي لا يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل، ومما يعزز هذه الدلالة ورود الحديث بصيغة النهي في رواية أخرى[6].

ولكل صيغة دلالتها، فالأوجه التعبيرية المتعددة انما هي صور لأوجه معنوية متعددة[7]، فإذا ورد الحديث بأسلوب النهي الصريح فلأن الموقف كان يتطلب ذلك.

---

(1) للاستزادة في هذا المعنى ينظر، فتح الباري: 106/10 ؛ 284/12 .
(2) نفسه: 101/5 .
(3) ان حرف الجر وجه الإبهام الذي في (ما) الاستفهامية والعموم في موضوع السؤال الى شيء شيء من التحديد والتخصيص، فالاستفهام موجه الى الوسيلة أي وسيلة تحديد الموضوع .
(4) فتح الباري: 568/10 .
(5) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: 260 .
(6) ينظر فتح الباري: 378/9 .
(7) معاني النحو: 9/1 .

والموقف هنا تطلب استفهاماً متضمناً معنى النهي، ليكون الوصول الى حقيقة الإجابة من السامع نفسه، ولعل ذلك ابلغ في التأثير والاستجابة، هذا فضلاً عن ان صيغة الاستفهام يمكن ان يترشح منها معان أخرى تعضد معنى النهي، كالتعجب من حال هذا الزوج الذي يفعل ذلك فيحس بأن عمله مشين فيرعوي ويكف عنه، وقد يلمح من صيغة الاستفهام أيضاً الزجر والتأنيب. ولاشك ان التعبير النبوي يسعى دائماً الى ان يوظف الصور التي من شانها ان تبعث في الكلمات إيحاءات جديدة تثير أحاسيس وجدانية مختلفة، كما فعل في الاتيان بـ(ضرب الفحل) مشبهاً به للمشبه (الرجل الذي يضرب امرأته) ليبعث على الاشمئزاز والتنفير من عمل يلحق الاهانة بأسمى العلاقات الإنسانية[1].

13- التسوية

ورد معنى التسوية بأسلوب الاستفهام في عدد قليل من الأحاديث الشريفة، مقترناً فيها بـ(لا أبالي او لا يبالي) [2]، او بـ(لا ادري) [3]، ولم أجده مقترناً بسواء. من ذلك قوله ﷺ:

" لَيَأتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا يبالي المرءُ بما أَخَذَ المالَ، أمِن الحَلالِ أم من الحرام؟ " [4].

وقال:

" الناسُ يصعَقونَ يومَ القيامةِ فأكونُ أولَ مَن يُفيقُ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فلا ادري أفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّورِ؟ " [5].

لقد بدأ الرسول الكريم حديثه الأول بالجملة الفعلية المؤكدة إشارة الى وقوع ذلك المحذور لا محالة، ثم أعقبها بهمزة الاستفهام مع (أم) المعادلة، وهذه الصيغة تفيد التسوية لدى المرء بين مصدر المال من جهة الحلال او الحرام، فكلاهما سواء عنده، وفي هذا خروج المسلم عن أحكام الشريعة الإسلامية، لذلك أراد رسول الله بصيغة التسوية معاني ابعد، منها ان يوصل تحذيره للمسلمين من الوقوع في هذا الخطأ، وذمه لمن تسول له نفسه كسب المال الحرام لئلا يفتتن غيره بذلك.

والاستفهام بالهمزة و(أم) المعادلة أفاد التسوية أيضاً، في الحديث الثاني، فقد أراد النبي الكريم من خلاله ان يخير بفضل نبي الله موسى عليه السلام، وذلك انه عندما يفيق من صعقته يوم القيامة يرى موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم العرش، فسواء أكان قد

(1) ينظر المعنى نفسه: فتح الباري: 10/204-205 .
(2) ينظر: فتح الباري: 4/392 ؛ 11/405 .
(3) ينظر نفسه: 6/531 ؛ 13/210 .
(4) نفسه: 4/392 .
(5) نفسه: 6/531 .

أفاق قبل نبينا ﷺ فهي فضيلة ظاهرة له، وان كان قد حوسب بصعقته يوم الطور في حياته الدنيا فلن يصعق، فهي فضيلة ظاهرة له أيضاً. فالحالتان سواء في أنهما فضيلتان كبيرتان لنبي الله موسى عليه السلام [1]. وهذا ما أراد النبي الإخبار به عن طريق أسلوب الاستفهام المثير لانتباه المخاطب وإشراكه في فكر المتكلم ووجدانه.

14- **الوعيد**

ويخاف رسول الله على أمته من العذاب ان لم يستمسكوا بالعروة الوثقى، لذا حملت بعض أحاديثه الشريفة معنى الوعيد والتخويف بصيغة الاستفهام، ليرتدع من تسول له نفسه فعل ذلك. من ذلك قوله ﷺ:

" يُجاءُ بالكافر يومَ القيامةِ فيُقال له: أرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرض ذهباً أكنتَ تَفتَدي به؟ فيقول: نعم. فيُقال له: قد كنتَ سُئِلتَ ما هو أيسَر من ذلك " [2].

وقوله أيضاً:

" أما يَخشى أحدُكم إذا رَفَعَ رأسَهُ قَبلَ الإمامِ أن يجعلَ اللهُ رأسَهُ رأسَ حِمارٍ..." [3].

ان بناء الحديث على الحوار بين الكافر وربه يوم القيامة، في الحديث الأول، وعلى الاستفهام المراد به الاعتراف والإقرار، لدليل حي على الوعيد وبيان العاقبة، فقد أراد الرسول الكريم ان يخاطب عن طريق السؤال والجواب عامل الخوف الذي يؤثر في الإنسان أكثر مما يؤثر فيه عامل آخر[4]، فهو يخاطب المشاعر والعواطف والانفعالات، لخلق التأثير من اجل توجيه الإنسان نحو توحيد الله وعبادته والعمل بأوامره، فينال ثواب ذلك في آخرته.

وتوعد رسول الله، في الحديث الثاني، الذي يرفع رأسه في الصلاة قبل الإمام بأن يجعل الله رأسه رأس حمار. ولقد خص ﷺ الرأس بالوعيد لأن الجناية وقعت به[5]. ان التعبير النبوي لا يحمل على الحقيقة[6]، ولكنه أسلوب قصد به التوبيخ مقروناً بالتخويف من أمر يعد خروجاً عن السنة المتبعة. وهكذا ينتقي الرسول الأسلوب المؤثر الملائم للمضمون زيادة في التنفير من الأمر المرفوض.

---

(1) نفسه .
(2) نفسه: 488/11 .
(3) نفسه: 232/2 .
(4) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم: 46 .
(5) فتح الباري: 233/2 .
(6) اختلف في معنى الوعيد في الحديث فقيل: يحتمل ان يرجع ذلك الى أمر معنوي، فأن الحمار موصوف بالبلادة فأستعير هذا المعنى الجاهل بما يجب عليه من متابعة الإمام . ويحتمل ان يراد بالتحويل المسخ او تحويل الهيئة الحسية او المعنوية او هما معاً . ينظر شرح الكرماني: 74/5 ؛ فتح الباري 233/2-234 .

15- التقريع والتبكيت

وفي هذا المعنى وردت الأحاديث الآتية:

وقف النبي ﷺ على قَليبِ بدر[1] فقال:

" هل وَجدتم ما وَعَدَ ربُّكم حقاً؟ 000 "[2].

وقال ﷺ حاكياً عن يوم القيامة:

" يَقبِضُ اللهُ الأرض، ويَطوي السماوات بيمينِهِ، ثم يقول: أنا المِلِكُ، أين مُلوكُ الأرض؟ "[3].

ان مبلغ الرسالة، في الحديث الأول، ليعلم حقاً ان الكفار قد وجدوا العذاب الذي وعدهم ربهم به، وهو يعلم أنهم موتى لا يجيبون، ولكنه أراد بسؤاله ﷺ التذكير والتنبيه على ضلال الطريق، وبيان عاقبة المعاندين الكفار وتقريع من يسلك سبيلهم، وهذه الشدة في التبكيت والتقريع تستلزم قوة في التعبير، لذا استعملت (هل) دون (الهمزة) لما في استعمالها من دلالة أقوى وآكد في الاستفهام[4].

أما الاستفهام، في الحديث الثاني، الذي يحكي ما يقوله رب العزة يوم يقبض الأرض وما عليها، فلا يراد به المعنى الحقيقي، فالله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكنه أراد به التقريع والتبكيت بهؤلاء الملوك الذين ادعوا الملكية في الأرض، وانشغلوا بالسلطان ولم يعملوا لآخرتهم، فها هو ملك الملوك – سبحانه وتعالى – يسألهم تقريعاً وتبكيتاً، وفي هذا وعيد وتخويف لهم ليتعظوا[5].

16- التفجع والتحسر

ورد هذا المعنى في الحديث الشريف، وغرضه توجيه المسلمين نحو العمل الصالح في حياتهم الدنيا لينالوا ثواب الآخرة. من ذلك قوله ﷺ:

" إذا وضِعَتِ الجَنازةُ واحتَملَها الرِجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وان كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا وَيلَها، أينَ يَذهبونَ بها؟ يَسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسان، ولو سَمِعَهُ صَعِقَ "[6].

إن الصرخة التي تطلقها النفس الشريرة في هيئة سؤال لا يراد به دلالته الحقيقية، وهي الاستفهام عن المكان، ولكنه يدل على معنى ثان ألا وهو التفجع

---

(1) القليب: بئر قرب بدر، وكان قد طرح فيه قتلى بدر من الكفار من رؤوساء قريش .
(2) فتح الباري: 383/7 .
(3) نفسه: 708/8 .
(4) التعبير القرآني: 135 .
(5) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 48/2 .
(6) اللسان: 266/14 .

والتحسر، او الاياس، كما أطلق عليه الزركشي[1]. ومما يعزز هذه الدلالة في سياق الحديث تعبير (يا ويلها) وهو نداء غير العاقل، وهذا يوحي بالتحسر واليأس، كما ان لفظ (ويل) بمعنى العذاب او الهلاك[2] هو الآخر يعمق معنى التفجع والتحسر.

(1) البرهان: 343/2 .
(2) اللسان: 266/14 .

17- **التبشير**

وقد يسلك رسول الله سبيل الاستفهام ليبشر المسلمين بما يسرهم عاجلاً أم آجلاً، يقيناً منه إن هذا السبيل هو أجدى في الإثارة، وأوقع في تقبل البشارة. من ذلك قوله ﷺ لأصحابه:

" أترضون أن تكونوا رُبْعَ أهلِ الجنة؟ قالوا: بلى. قال: أفلا ترضونَ أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنة؟ قالوا: بلى. قال: فو الذي نفسُ محمّدٍ بِيدِهِ، إنّي لأرجو إن تكونوا نصفَ أهلِ الجنةِ " [1].

فقد ذكر النبي ﷺ البشرى بالتدريج فبدأ بالربع ثم الثلث ثم النصف ليكون أعظم لسرورهم. وأعقب الاستفهام بالجملة الخبرية المبدوءة بالقسم، من اجل تحقيق الخبر وتوكيده، يقول السيوطي: " ومن عادة العرب القسم إذا أرادت ان تؤكد أمراً " [2].

18- **الاستبطاء**

وهو عد الشيء بطيئاً في زمن انتظاره، وقد يكون محبوباً منتظراً [3].

وقد استبطأ رسول الله يوم عائشة، في مرضه الذي مات فيه، فقد كان ﷺ يسأل:

" أين أنا اليومَ؟ أين أنا غداً؟ " [4].

فسؤاله ﷺ عن قدر ما بقي الى يوم السيدة عائشة (رض) ليكون في بيتها يعد استبطاءً لذلك اليوم، وإحساساً بالزمان، الذي يتباطأ في فترات الضجر والانتظار [5].

19- **التمني**

وقد يخرج الاستفهام في الحديث الشريف الى معنى التمني. ومثاله ان النبي ﷺ اشرف على أُطُمٍ من آطامِ المدينة ثم قال:

" هل تَرَونَ ما أرى؟ إني لأرى مواقعَ الفِتَنِ خِلالَ بُيوتِكم كمَواقِعِ القَطْرِ " [6].

20- **وقد يجي الاستفهام في الحديث الشريف عطى طريق تجاهل العارف، تلطفاً في قسر الانتباه وإسداء البشرى بمقبل سيكون، او النصيحة من خطر قد يدهم.**

فمن الأول قوله ﷺ لجابر بن عبد الله رضي الله عنه:

" هل لكم من أنماط؟ [7] قال جابر: وانى يكون لنا الأنماط؟ قال:

---

(1) فتح الباري: 644/11 .
(2) الإتقان: 133/2 .
(3) مواهب الفتاح – شروح التلخيص: 306/2 .
(4) فتح الباري: 326/3 .
(5) لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، سمير الحاج شاهين: 5 .
(6) فتح الباري: 117/4، وينظر ص 183 من البحث .
(7) النمط: بساط له حمل رقيق . اللسان (نمط): 295/9 .

" أما وانها ستكون لكم الأنماط ". فكانت كما قال [1] .

ومن الثاني قوله ﷺ:

" يا عبدَ اللهِ بنَ عمرٍو، كيفَ بكَ إذا بقيتَ في حُثالةٍ مِنَ الناسِ 000 " [2].

فتساؤل الرسول، في الحديث الأول، (هل لكم؟) كان تمهيداً الى التبشير بما سيكون، وهذا من بلاغة التعبير النبوي.

والاستفهام في الحديث الثاني (كيف بك؟) نصح وتحذير من خطر داهم يتحسسه ﷺ بإحساس النبوة فيسوقه تعبيراً منطقياً مقنعاً، وأسلوباً يخاطب المشاعر الإنسانية، لينقذ به عبد الله بن عمرو مما سيحل به لو طالت به الحياة.

وهكذا رأينا ان الاستفهام النبوي كان أداة توصيل لمختلف المعاني والأغراض، وان هذه المعاني التي نجد في التقاطها ليست مما يجهر به التعبير النبوي، وإنما كان السياق يشير ويلفت اليها، وهذه في ذاتها قيمة بلاغية كبيرة، " فالبليغ هو الذي قرأ ما قبل الاستفهام وما بعده، ونظر في نفسه فحكم الحكم الحق العادل " [3] .

ان قولنا ان الاستفهام للإنكار او التقرير او التعجب او غيره، ليس في حقيقته تحديداً دقيقاً للدلالة، وإنما هو إشارة عامة الى المرمى العام من السياق، لأن الدلالة ذات مذاق خاص يختلف عن كونه مجرد الإنكار او التقرير او التعجب. ولابد أن المخاطبين قد أدركوا المعنى المقصود وقتئذٍ، لأنهم سمعوه من في الرسول الكريم مقترناً بالنغمة الصوتية المصاحبة للمعنى، ولا يخفى ما للحن التنغيمي المصاحب للكلام من دور في إخراج الاستفهام الى المعنى الذي يدل عليه[4] .

---

(1) فتح الباري: 780/6 .
(2) نفسه: 744/1 .
(3) البلاغة العربية في ثوبها الجديد: 95 .
(4) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر: 24 .

الفصل الرابع

خطاب النداء في الحديث الشريف

الفصل الرابع

خطاب النداء في الحديث الشريف

وهو لون من الخطاب لا يكون الا في أمر هام، يقتضي استدعاء المخاطب، بوساطة أدوات تفيد بمؤازرة السياق التركيبي دلالات تعبيرية خاصة، فهي بمثابة منبه يوقظ الذهن والشعور.

وهو من أكثر أساليب الكلام تصرفاً في الإغراض والمواقف، فكما يُنادى الحي العاقل الذي لا يجاوز امتداد صوت المنادى، يُنادى الحي العاقل الذي يبعد ويخرج عن هذا الإطار، وكما يُنادى العاقل يُنادى غير العاقل، وفي هذه الحالة ينتقل هذا الأسلوب بدلالته من وسيلة إبلاغ وإقناع الى وسيلة ترويح عن النفس وأداة تأثير فني.

وأكثر المواقع التي تجري فيها أداة النداء هي السياقات الانفعالية، ذات الحس الطاغي والموقف المفعم، فتكون الأداة فيها كأنها صيحة او صرخة يطلقها البليغ من اجل لفت نظر المخاطب لأمر يريده المتكلم.

وكثيراً ما يتقدم النداء أسلوب طلب، كالأمر او النهي او الاستفهام، فيقوم بمهمة تنبيه المخاطب وإيقاظ مداركه وحواسه لتلقي هذا الطلب وتنفيذه، فيصبح له دور مميز في سياق الطلب، إذ انه يتفاعل معه تأثراً وتأثيراً، ويعمق بعده الأدائي وصولاً الى الهدف. لذلك فهو يغطي مساحة واسعة من فنون القول، ويكثر في الأحاديث النبوية الشريفة التي سنأتي على ذكر شواهد منها.

النداء في اللغة والاصطلاح

النِّدى في اللغة: بُعدُ الصوت والنداء ممدود الدعاء بأرفع الصوت، وقد ناداه ونادى به، وناداه مناداة ونِداءً أي صاح به، وتنادوا أي نادى بعضهم بعضاً[1]. وهو أندى صوتاً منه أي ابعد[2].

والنداء في أصل الاستعمال مدّ الصوت لنداء البعيد. يدل على ذلك قوله تعالى " ونادَيْناهُ مِن جانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرّبْناهُ نَجِيّاً " [3].

فقد بين الله تعالى – انه كما ناداه ناجاه أيضاً، فالنداء مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب[4].

والنداء إنشاء لأنه ينشأ بفعل المتكلم حين يعبر به عن أمر في نفسه[5]. وهو أسلوب القصد منه التنبيه وحمل المنادى على الالتفات[6].

والنداء في اصطلاح البلاغيين: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة[7].

والنداء كثير الاستعمال في كلام العرب إذ يستعمل في أول كل كلام، وقد جعلوه بمنزلة الأصوات، يقول سيبويه: " وإنما فعلوا هذا بالنداء لكثرته في كلامهم، ولأن أول الكلام أبداً النداء، إلا ان تدعه استغناءً بإقبال المخاطب عليك، فهو أول كل كلام لك به تعطف المكلّم عليك، فلما كثر وكان الأول في كل موضع، حذفوا منه تخفيفاً لأنهم مما يغيّرون الأكثر في كلامهم حتى جعلوه بمنزلة الأصوات " [8].

والنداء ليس مقصوداً بالذات على الرغم من كثرته في الكلام بل الغرض منه تنبيه المخاطب للإصغاء والاستماع الى ما يجيء بعده من الكلام. فالمتكلم يلجأ الى النداء لتنبيه مخاطبه وعطفه عليه، حتى يختصه بين سائر المخاطبين بأمره او نهيه او استفهامه او خبره. يقول سيبويه: " ان المنادى مختص من بين أمته، لأمرك ونهيك او خبرك " [9].

---

(1) لسان العرب (ندى): 187/20 ؛ الصحاح: 553/2 .
(2) معجم مقاييس اللغة: 412/5
(3) مريم / 52 .
(4) أساس البلاغة: 946 ؛ البرهان: 324/2 .
(5) نحو المعاني: 112، 145 .
(6) في النحو العربي، نقد وتوجيه: 301 .
(7) المفتاح: 154 ؛ الإيضاح: 146/1 ؛ التلخيص: 172 ؛ شروح التلخيص: 333/2 .
(8) الكتاب: 208/2 ؛ وينظر البرهان: 325/2 .
(9) الكتاب: 231/2-232 .

وقد جرد بعض الباحثين أدوات النداء من أية وظيفة أخرى عدا كونها أدوات تنبيه، وهي مثل (ألا) التي للتنبيه ومثل (ها) التي تدخل على أسماء الإشارة إلا انها أقوى تنبيهاً منهما، وادعى لالتفات المخاطب وإسماعه الصوت[1].

أدوات النداء في الحديث الشريف ودلالاتها

جاء النداء في حديث رسول الله ﷺ معبراً عن معانٍ مختلفة، وملبياً حاجة الدعوة الإسلامية الى الإبلاغ والتنبيه والتوجيه.

وقد مال ﷺ في حديثه الشريف الى طائفة من أدوات النداء[2] امتلكت خاصية تحقيق الغرض من هذا الأسلوب، وهي:

يا، اللهم، أي، وا، فضلاً عن إجراء النداء بحذف الأداة.

(1) ينظر، النحو العربي، نقد وتوجيه: 302 ؛ أسلوب النداء ونظرية العامل، د. عبد الحسين الفتلي الفتلي ؛ مجلة الجامعة المستنصرية، العدد الرابع، السنة الرابعة، 1974، ص 31 .

(2) أدوات النداء عند النحاة هي: الهمزة، أي، يا، أيا، هيا، آ، أي، وا، ينظر: الكتاب: 182/2، 220 220 ؛ المقتضب: 233/4 ؛ شرح الكافية: 381/2 ؛ شرح المفصل: 118/8 ؛ همع الهوامع: 172/1 ؛ رصف المباني ؛ المالقي: 52 .

يا:

وقد أطلق العلماء عليها أم حروف النداء[1]، وانه لا يقدّر عند الحذف سواها، ولا ينادى اسم الله – عز وجل – إلا بها[2] .

وذهب أكثر النحاة الى أن حرف النداء (يا) يختص من بين سائر حروف النداء باستعماله في نداء البعيد مسافة او حكماً، وذلك من اجل امتداد الصوت ورفعه به حين يريدون مدّ صوتهم في النداء[3] . لأنها تنتهي بالألف الملازمة لمدّ الصوت[4]. فالمنادى لا يقبل إلا بالاجتهاد في رفع الصوت ومدّه[5].

وهي أكثر حروف النداء استعمالاً في الحديث الشريف، فقد استعملت في نداء البعيد بجسمه، او بروحه وفكره.

فمن استعمالها في البعيد جسماً على وفق ما وضعت له أصلاً، قوله ﷺ وقد صَعد على الصّفا منادياً بطون قومه عند نزول الآية (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[6] .

" يا بني فِهر، يا بني عَدِيّ " – لبطونِ قريش – حتى اجتمعا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطع أن يَخرُجَ أرسل رسولاً لِينظرَ ما هو ... [7] .

---

(1) رصف المباني: 451 ؛ الجنى الداني: 349 ؛ معاني الحروف للرماني: 92 .
(2) الجنى الداني: 349 ؛ مغني اللبيب: 373/2 .
(3) نفسه .
(4) أساليب الطلب: 224 .
(5) الكتاب: 230/2 ؛ الكشاف: 224/1 .
(6) الشعراء / 214 .
(7) فتح الباري: 642/8 .

وكذلك قوله منادياً أصحابه عندما دعاه جابر بن عبد الله ﷺ الى طعام:
" يا أهل الخندقِ، إنّ جابراً قد صنع سُوراً[1]، فحيّ هلا بكم " [2].
فالنداء بـ(يا) أريد به طلب الإقبال حقيقة ليلقي على أسماع الكفار في الحديث الأول دعوة الإسلام، وينذر بسوء العاقبة ان لم يستجيبوا، ويدعو أهل الخندق ويطلب إقبالهم عليه في الحديث الثاني.

اللهم:

ومما ورد من أدوات النداء في معرض الدعاء في الحديث الشريف لفظ الجلالة الأفخم (اللهم).
ولفظ (اللهم) من الأسماء الخاصة بالنداء وأصله عند أكثر النحاة (يا الله) فحذفت أداة النداء وعوض عنها (الميم) المشددة في آخره[3].
ولم يقتنع ابن القيم بما قاله النحاة، بل بحث عن سر اختيار الحرف (ميم) في (اللهم) دون غيره فيقول:
الميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علماً على الجمع ... يقال للمخاطب (أنت، انتم) وللغائب (هو، هم) .... (ضربت، ضربتم)، (إياك، إياكم)، (إياه، إياهم) وهكذا.
وإذا علم هذا من شأن الميم، فهم قد ألحقوها في آخر هذا الاسم (اللهم) الذي يسأل العبد به ربه – سبحانه – في كل جهة، وكل حال، ايذاناً بجمع أسمائه تعالى وصفاته[4].
وتوصل احد الباحثين المعاصرين[5] الى أن (اللهم) هي لفظ (الله) نفسها ولكن الأولى احتفظت بلاصقة (التمييم) فتكون الميم المشددة في آخرها ليست صوتاً عوّض به عن (يا) النداء المحذوفة، وإنما هي جزء من الكلمة بقى ملتصقاً بها من أصل قديم. وهي تساوي في العبرية (الوهيم) لأن الياء والميم علامة جمع للتعظيم. فتكون (اللهم) اسم الله تعالى منادى بحرف النداء (يا) مقدراً، وهي صحيحة إذا وردت مع (يا) لأنه الأصل.

(1) سوراً: أي طعاماً يدعو اليه الناس، واللفظة فارسية . النهاية: 420/2 .
(2) فتح الباري: 503/7 .
(3) الكتاب: 196/2 ؛ المقتضب: 239/4 .
(4) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: 46-50 .
(5) الدكتور سلمان القصاة في بحثه، اللهم، رؤية جديدة في الصيغة والإعراب، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، العدد 11، 1991 م، ص 71-76 .

وسنذكر نماذج من دعاء رسول الله بهذه الأداة ضمن المعاني البلاغية لأسلوب النداء.

أي:

يرى عدد من النحاة انها لنداء القريب[1]. وتابعهم في هذا أكثر البلاغيين[2] وهي تصلح ان تكون أداة لتنبيه القريب لأن سكون الياء فيها لا يعين على مدّ الصوت ورفعه بها[3].

وقد وردت(أي) في الصحيح في عدد من الأحاديث الشريفة وجميعها خاطب رسول الله ﷺ بها المنادى القريب أي أنها استعملت لما وضعت له أصلاً – عند أكثر العلماء – ولكنها في هذه المواضع أفادت معاني أخرى غير طلب الإقبال.

من ذلك أن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: " استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: " أئذَنوا له، بئسَ اخو العشيرة، او ابن العشيرة " فلما دخل الانَ له الكلام. قلت: يا رسول الله قلتَ الذي قلتَ ثم أَلنتَ له الكلام. قال:

(1) المقتضب: 235/4 ؛ المفصل في علم العربية، الزمخشري: 309، شرح الكافية: 381/2 .
(2) من بلاغة النظم العربي: 135 ؛ علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 125 ؛ علم المعاني، درويش الجندي: 58، البلاغة الاصطلاحية: 186 .
(3) أساليب الطلب: 227 .

" أَي عائشة، ان شرَّ الناسِ مَن تَرَكَهُ النّاسُ اتّقاءَ فُحشِهِ " [1] .

وخاطب النبي ﷺ عمّه أبا طالب في احتضاره فقال:

" أي عَمِّ، قل لا إلهَ إلاّ الله كلمةً أحاجُّ لكَ بها عندَ الله " [2].

وقال ﷺ مخاطباً السيدة خديجة (رضي الله عنها) عندما عاد الى بيته من خلوته، يصف روعه وانفعاله بسبب نزول الوحي عليه لأول مرة.

" أيْ خديجة، مالي لقد خَشِيتُ على نفسي؟ " [3] .

وقال ﷺ حاكياً عن أصحاب له يأتون يوم القيامة وهم يذادون عن الحوض:

" أي ربِّ، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدَثوا بعدَك " [4][5] .

فـ(أي) في الحديث الأول أفادت تنبيه السيدة عائشة وإفهامها مقصد رسول الله ﷺ، فهو لما جبل عليه من الكرم وحسن الخلق، اظهر لرجل السوء البشاشة ولم يجبه بالمكروه، اتقاء بذاءة لفظه وفحش عمله. وهذا هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع نوع كهذا من البشر، سلكه الرسول ﷺ لتقتدي به أمته، وتسلم من غائلة شره.

وأراد رسول الله بنداء عمه – في الحديث الثاني- وهو قريب منه، ترغيبه وحثه على النطق بكلمة التوحيد قبل موته، حتى يستطيع ان يشهد له بها أمام الله عز وجل يوم الحساب.

وخاطب السيدة خديجة، في الحديث الثالث، بأداة النداء (أي) مثيراً انتباهها لتستمع له وتنصت. وقد تواشج النداء مع صيغة الاستفهام التعجبي (مالي) لتعميق الإثارة وترسيخ صورة الانفعال الذي لم يألفه في نفس السيدة خديجة (رضي الله عنها)، علّها تشاركه الرأي والوجدان، وتخفف عنه المعاناة.

وفي، الحديث الأخير، الذي يصدره رسول الله ﷺ بالأداة (أي)، استشعاراً في نفسه بقربه في المنزلة من الله عز وجل، تبدو ضراعة التوسل والشفاعة والرجاء من الله سبحانه وتعالى بأن يرحم أصحابه في الدنيا ويأذن لهم بورود الحوض.

وا:

---

(1) فتح الباري: 10/577-578 .
(2) نفسه: 7/245 .
(3) نفسه: 8/927 .
(4) نفسه: 13/4 .
(5) وتنظر هذه الأداة أيضاً، فتح الباري: 3/434 6/60 ؛ 11/46، 378، 582، 600، 12/24 ؛ 13/61 .

وهي إحدى أدوات النداء، وتستعمل في الندبة، وهي نداء المتفجع عليه او المتوجع منه[1]، والندبة نداء خاص لأنها نداء الهالك، لذلك فهي موضع يقتضي رفع الصوت ومده اعلاماً للسامعين بالفجيعة او المصيبة[2].

ولما كانوا يرفعون أصواتهم عندها ويمدونها لإسماع جميع الحاضرين، فهم يستعملون في أدوات المد (وا) و (يا)، وقد لا يكتفون بما فيها من مد فيلحقون آخر الاسم المندوب بمد آخر هو الألف التي تلحقها الهاء في الوقف، مبالغة في مد الصوت والترنم به[3]، لأن المندوب في غاية البعد[4].

و (وا) أكثر اختصاصاً بالندبة من (يا) – التي تستعمل إذا أُمن الالتباس بالنداء الحقيقي – لأن المدّ الكائن في الواو والألف أكثر من المد الكائن في الياء والألف[5].

وقد وردت الأداتان بهذا المعنى في الحديث الشريف، سنأتي على ذكرها ضمن المعاني البلاغية لأسلوب النداء النبوي.

(1) الجني الداني: 346 ؛ شرح قطر الندى، ابن هشام: 38 .
(2) أساليب الطلب: 285 .
(3) الكتاب: 231/2 ؛ المقتضب: 268/4 ؛ أسرار العربية، الانباري: 243 .
(4) الأصول في النحو: 355/1 .
(5) شرح المفصل: 120/8 .

النداء محذوف الأداة

وقد أجاز النحاة حذف أداة النداء من الكلام تخفيفاً، إذا كان المنادى مقبلاً عليك منتبهاً لما تقوله له، ولذلك جعلوه خاصاً بالمنادى القريب[1]. وتقدر (يا) عند الحذف دائماً.

وقد حذفت أداة النداء في عدد من الأحاديث الشريفة تخفيفاً وإيجازاً، او ملاطفة ومؤانسة، عندما يقتضي الموقف ذلك.

فمن النوع الأول قوله ﷺ لأبي هريرة:

" أبا هرّ، الحق أهل الصُّفةِ [2]، فادعُهم إليَّ 000 " [3].

ان حذف أداة النداء وترخيم العلم[4] . حصلاً لتحقيق السرعة من اجل اللحاق بأهل الصفة ودعوتهم قبل ان يفوته الوقت ويتعذر اللحاق بهم، والبلاغة كما هو معروف مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ومن الثاني قوله ﷺ لعلي ﷺ عندما رآه مضطجعاً في المسجد، وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب:

" قُمْ أبا تُرابٍ، قُمْ أبا تُرابٍ " [5] وهو يمسح التراب عنه ملاطفاً ومؤانساً لعلمه بأنه خرج من بيته مغاضباً زوجته السيدة فاطمة (رضي الله عنها).

يقول ابن حجر: " إن حذف حرف النداء ونداءه (بأبي تراب) فيه ممازحة المغضب بما لا يغضب منه، بل به تأنيسه وتسكينه من غضبه 000 وناداه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته مداعبة له " [6].

ويرى الزمخشري المعنى نفسه في سبب حذف حرف النداء. يقول في قوله تعالى (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذا) [1]: حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله " [2].

---

(1) الكتاب: 230/2 ؛ شرح المفصل: 15/2 .

(2) أهل الصفة: هم اضياف الإسلام، وكان النبي ﷺ يخصهم بما يأتيه من الصدقة، ويشركهم فيما يأتيه من الهدية . ينظر فتح الباري 344/11 .

(3) فتح الباري 37/11 .

(4) الترخيم: وهو حذف آخر الاسم تخفيفاً . التعريفات: 30 .
وقد ورد المنادى مرخماً في حديث رسول الله ﷺ في خمسة مواضع: ثلاثة منها لحق الترخيم فيها العلم أبا هريرة، ومرّة رُخّم اسم عائشة (رضي الله عنها) يا عائش، وأخرى مع انجشة اذ ناداه الرسول ﷺ (يا انجشُ) والغرض من الترخيم في هذه المواضع قد يكون تخفيفاً بقصد سرعة الفراغ من النداء والإفضاء الى المقصود، او قد يكون للتحبب والملاطفة . (تنظر هذه الأحاديث في فتح الباري: 515/1 ؛ 133/7 ؛ 646/9 ؛ 711/10) .

(5) فتح الباري: 705/10 .

(6) نفسه: 704/1، 718/10 .

ولا ننسى دور التنغيم المصاحب للكلام وأثره الواضح في إظهار المعنى المقصود " ذلك ان الصوت والنطق يمكن ان يفصحا عن طبيعة انفعالية " [3].

فالتنغيم في نسيج الكلام يمكن ان يكشف عن معناه، لأن " المعنى الذي يقصد اليه المتكلم يرتبط ببناء الجملة (الكلمات وتركيبها) والتنغيم، حيث يندمج هذان العنصران معاً ليكوّنا المعنى الكامل لما يقال في وقت محدد وفي سياق معين" [4].

ولا شك ان الإيقاع في الحديث قد كشف عن مشاعر الرسول الكريم مع محدثه علي بن أبي طالب ﷺ وما يترشح عنها من حب وملاطفة وتأنيس، هذا فضلاً عما حققه من جمال وحسن وقع تطرب له النفس من جراء تكرار الجملة، الذي زاد في التأنيس والملاطفة.

ويلاحظ ان أداة النداء قد حذفت في عدد من الأحاديث التي يتوجه فيها رسول الله ﷺ:

" لك الحَمدُ ربَّنا غير مَكْفِيّ، ولا مُوَدَّع، ولا مُستَغنىً ربّنا " [5] .

" ربِّ اغفر لي خطيئتي وجَهلي، وإسرافي في أمري كلِّهِ وما أنت اعلم به مني " [6].

" أَذهِبِ البأس، ربَّ الناس، اشف وأنتَ الشافي " [7] .

ان حذف حرف النداء في خطاب الرب تعبير عن شعور الرسول ﷺ بقربه من ربه، وشدة تلهفه على الإجابة في مقام تتعجل فيه النفس الرحمة والغفران.

ويندر انه ﷺ خاطب ربه – سبحانه – بـ(يا)، وربما يرجع ذلك الى خشية أن يتشرب معنى النداء معنى الأمر كما يرى الزركشي إذ يقول:

" لأنك إذا قلت (يا زيد) معناه: ادعوك يا زيد، فحذفت (يا) من نداء (الرب)، ليزول معنى الأمر ويتمخض التعظيم والإجلال " [8] .

وإذا كانت اغلب خطب الرسول ﷺ مسبوقة بـ(يا ايها الناس) فإننا نجد بعضها الآخر محذوفاً منها أداة النداء (يا) وذلك لأسباب بلاغية يقتضيها الموقف. كما نرى في الأحاديث الشريفة الآتية:

" أيُّها الناسُ إليَّ ... " [1].

---

(1) يوسف / 29 .
(2) الكشاف: 315/2 .
(3) البلاغة والأسلوبية: 145 .
(4) O'Connor, J.D.and Amold , G.F.Intonation of Colloquial English , Longman, London, 1973, p. 46.
(5) فتح الباري: 724/9 .
(6) نفسه: 234/11 .
(7) نفسه: 161/10 ؛ وللمزيد ينظر: 570/13 ؛ 580/11 ؛ 136/11 .
(8) البرهان: 213/3 .

" أيُّها الناسُ تَصدَّقوا ... " [2].

" أيُّها الناسُ، لا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، وسَلوا اللهَ العافيةَ " [3] .

---

(1) فتح الباري: 513/2 .
(2) نفسه: 415/3 .
(3) نفسه: 149/6 .

" أيُّها الناسُ، إربَعوا على أنفُسِكم، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً، ولكن تَدعون سميعاً بصيراً .... " [1] .

ان هذا النداء الذي حذفت منه (يا)، إشارة الى قرب هؤلاء الناس منه، وشدة التصاقهم به، ومحاولة لاستمالتهم، وقبول ما يلقى عليهم من حسن التوجيه، وسديد الإرشاد، وأشعاراً بمودته لهم، والاستغناء عن (يا) قد حقق كل هذه المعاني، وحقق القرب والتلاحم مع أبناء الأمة الذين زالت الهوة بينهم وبين معلمهم وهاديهم[2] .

النداء البلاغي

الصورة الأولى: خروج أدوات النداء عن أصل استعمالها في الحديث الشريف

قد تخرج أدوات النداء عما وضعت له في أصل اللغة، فينادى القريب بإحدى الأدوات المستعملة لنداء البعيد، او بالعكس، وهذا التبادل يتم لإغراض بلاغية، ولطائف أسلوبية دقيقة.

وقد أطلق احد الباحثين مصطلح النداء البلاغي على هذا النوع من الاستعمالات، وأطلق مصطلح النداء الحقيقي على أدوات النداء المستعملة فيما وضعت له في الأصل[3].

فقد تستعمل (الهمزة) و (أي) الموضوعتان أصلاً لنداء القريب في نداء البعيد، تنزيلاً له منزلة القريب، إشارة الى قربه من القلب وحضوره في الذهن، لا يغيب عن البال، حتى صار كالمشهود الحاضر[4] .

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بإحدى أدوات النداء المستعملة في نداء البعيد لغرض التوكيد في تنبيه المخاطب، والإشارة الى أهمية وعظم الخطاب الموجه اليه، كما ذكر الزمخشري في قوله: " (يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً[5]. كقوله تعالى: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [6] .

---

(1) نفسه : 224/11 .
(2) خطبة الوداع، دراسة بلاغية تحليلية، د. جليل رشيد فالح، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد 13، 1981، ص 409 .
(3) البلاغة الإصلاحية: 186 .
(4) مواهب الفتاح وحاشية الدسوقي – شروح التلخيص 334/2 .
(5) الكشاف: 224/1 .
(6) البقرة / 21 .

فينزل القريب تنزيل من بعد لأنهم يرون انه لا يقبل عليهم الا بالاجتهاد في رفع الصوت ومدّه[1] .

وهناك أغراض بلاغية أخرى تخرج لأجلها أدوات النداء عن استعمالاتها الأصلية، ذكرها البلاغيون، منها[2].

1. الدلالة على ان المنادى رفيع القدر، عظيم الشأن، كقولنا يا الله، يا رب، مع انه اقرب الينا من حبل الوريد، فنجعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان.
2. الإشارة الى ان المنادى وضيع منحط الدرجة، فكأنه بعيد عن مجلس الحضور، كقوله تعالى على لسان فرعون ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [3] .
3. او للحرص على إقبال المنادى والرغبة والرضا بذلك، فصار إقباله كالبعيد كقوله ﷺ لبلال رضي الله عنه:

" يا بلالُ حدّثني بأَرجى عملٍ عملتَهُ في الإسلام، فإني سمعتُ دَفَّ نَعليكَ بينَ يَديَّ في الجَنَّةِ " [4] .

4. للأشعار بان السامع غافل او نائم او ساهٍ او بليد، فيعدّ كأنه غير حاضر في مجلسك فيكون كل من النوم والسهو والغفلة والبلادة بمنزلة البعد في إعلاء الصوت للتنبيه على عظم الأمر المدعو اليه. كقوله ﷺ.

" يا مَعشرَ قريش، اشتَروا أنفُسَكم، لا أُغني عنكم مِنَ الله شيئاً " [5].

وقد استعملت (يا) في حديث رسول الله ﷺ تبعاً للأسباب المذكورة او لواحدٍ منها[6]. من ذلك قوله ﷺ في حادثة كسر ثنية لجارية[7] من قبل الربيع بنت النضر – – عمة أنس بن مالك – وكان رسول الله ﷺ قد أمر بالقصاص، فقال أخوها انس بن النضر: يا رسول الله، أتكسر ثنية الربيع؟ فرد رسول الله:

" يا أنسُ كتابُ اللهِ القصاصُ " [8].

وقوله ﷺ لأبي موسى الاشعري عندما جاء اليه ومعه رجلان يطلبان الإمارة فقال له:

---

(1) الكتاب: 230/2 ؛ الكشاف 224/1 .
(2) الإتقان 83/2 ؛ وينظر: البلاغة الاصطلاحية: 186 ؛ علم المعاني، درويش الجندي: 59، علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 126، من بلاغة النظم العربي: 136 .
(3) الإسراء / 101 .
(4) فتح الباري: 42/3 .
(5) نفسه: 643/8 .
(6) معظم نداء الرسول ﷺ كان على خلاف مقتضى الظاهر لمعان ثانية سنقف عليها لاحقاً .
(7) التثنية أي السن لسان العرب (ثنى) 133/18 . الجارية المرأة الشابة لا الأمة ليتصور القصاص بينهما شرح الكرماني 14/12 .
(8) فتح الباري: 223/8-224 .

" يا أبا موسى – لن – أولا – نَستعملُ على عملنا من أرادَهُ " [1] .

لقد عمد رسول الله ﷺ الى (يا) النداء في مخاطبته أنساً ﷺ في الحديث الأول، خلافاً لأصل استعمالها، وذلك لتنزيل المخاطب القريب منزلة البعيد. والبعد هنا ليس بالجسد بل بالفكر، فقد غفل أنس عن حكم الله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ ﴾ [2].

وأراد رسول الله ﷺ إن ينبه أبا موسى على أمر قد غاب عنه وغفل، فاستعمل (يا) لهذا الغرض، وهو انه لا يتولى أمر المسلمين من يطلبه، لئلا تكون في النفس منه حاجات ومطامع ذاتية تنتقص من حقوق المسلمين.

وما يلاحظ أن أكثر خطب الرسول ﷺ تبتدئ بأداة النداء (يا) تليها (أيها) لما في (أيها) من عناصر لغوية ذات تأثير في اللفت والإيقاظ والتوكيد، وان هذا التوكيد مستفاد من معاضدة (ها) التنبيه أداء النداء، ومن التدرج من الإبهام في (أي) الى التوضيح في صفته، وفي هذا التدرج من الإبهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد[3] .

وأحاديث رسول الله وخطبه تتطلب تنبيهاً أشد، وتوكيداً أكثر " لأنها أمور عظام وخطوب جسام ومعان على المسلمين ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ " [4] .

من ذلك قوله ﷺ:

" يا أيُّها الناسُ، إنما الأعمالُ بالنيَة، وإنما لأمرئٍ نَوَى ... " [5] .

" يا أيُّها الناسُ، إنما ضلَّ مَن كان قَبْلكم أنهم كانوا إذا سَرَق الشريفُ تركوه، وإذا سرقَ الضّعيفُ فيهم أقاموا عليه الحدَّ ... " [6][7] .

ان نداء الناس بـ (يا أيها) وهم حضور يستمعون، استحضار آخر لأذهانهم، وتأكيد الخبر في إفهامهم، وتنبيه للسامع على العناية به. فكأن قول (يا أيها) " تكرار (يا) النداء مرتين، لما في الألف والهاء اللتين لحقتا (أي) من التوكيد " [8] وذلك لجسامة الموقف وخطورته وضرورة إبلاغه.

---

(1) نفسه: 12/331-332 .
(2) المائدة / 45 .
(3) الكشاف: 1/225 ؛ معترك الإقران: 1/448 .
(4) الكشاف: 1/226 .
(5) فتح الباري: 12/405 .
(6) نفسه: 12/103-104 .
(7) للاستزادة ينظر، فتح الباري: 2/254 ؛ 3/138 ؛ 10/385-386 .
(8) الكتاب: 2/197 .

ان هذا الاختيار لأداة النداء المناسبة بحد ذاته، عمل واع يتطلب من المتكلم المعرفة بأقدار الكلام وأقدار المعاني، فيختار ما يناسب الخطاب أولاً، والمتلقي ثانياً، والسياق ثالثاً.

الصورة الثانية: المعاني الثانية التي تدل عليها أدوات النداء في الحديث الشريف

قد يخرج أسلوب النداء عن معنى الإقبال كلية، وينسى القريب والبعيد جملة، ويختلف النداء هنا عن الصورة البلاغية الأولى، فالأولى فيها روح النداء وهويته، أما هذه الصورة فلها أغراض جديدة مخالفة لطلب الإقبال.

وقد تنوعت هذه المعاني بتنوع موضوعات الكلام، وبحسب مقتضيات أحوال المخاطبين. ولهذا فإن فهم أي تركيب ندائي لا يتم إلا بوضع هذا التركيب في سياقات متتابعة تستدعيها الإشارة الصوتية (الأداة) وتستلزم هذه الأداة في جميع الأحوال قرينة معنوية يشير اليها السياق لتخلق المعنى المقصود، والصورة التي يريدها المتكلم.

وكما قال احد الباحثين: " ليس لنا ان نقول كما قال البلاغيون بأن هذه الأدوات تختلف في معانيها، إنما نقول: ان ظلال معنى الجملة وإيحاءاتها تضفى على الأداة شفافية مستمدة من هذا المعنى، فتلون الأداة فتوحي بأنها للتحبب او للإغراء او للاستغاثة او للتحقير او للتعظيم " [1].

ومن هذه المعاني التي يمكن ان تستنبط من أحاديث رسول الله ﷺ:

1- الدعاء

وقد خرج النداء الى غرض الدعاء في الحديث الشريف. فقد نادى رسول الله ﷺ ربه – عز وجل – في مواضع كثيرة، كلها دعاء وتضرع الى الله بالاستغفار، وطلب الرحمة له او لأصحابه.

واغلب ما ورد على لسانه الشريف من أدوات النداء في هذا المقام (اللهم). والدعاء بـ (اللهم) فيه خصوصية ليست في غيره تشعر المؤمن انه قريب من الله عز وجل يستجيب الدعاء ويحقق الرجاء.

إن في لفظ الجلالة الأفخم (اللهم) رونقاً خاصاً وجرساً معيناً – قد يتأتى من أصوات حروفه – فيحس قائلها بالتذلل والخضوع والإيناس والتقرب ففي اللهم " فخامة وروعة لا تحس بهما في يا الله " [2] ويدرك هذا المعنى من السياق والنغمة الصوتية المصاحبة للجملة.

---

(1) البلاغة العربية في ثوبها الجديد: 117 .

(2) من بلاغة القرآن، احمد احمد بدوي: 169 .

وفيما يأتي نماذج من دعائه ﷺ بهذه الأداة:

" اللهمَّ إنّي ظَلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ فأغفِرْ لي مَغفِرةً من عندِكَ ... " [1].

" اللهمَّ إنّي أنشُدُكَ عهدَكَ ووَعدَكَ، اللهمّ ان شِئتَ لم تُعبَدْ بعدَ اليوم " [2].

" اللهمَّ أغفِرْ لقومي فانهم لا يعلمون " [3].

فهذه الأحاديث الشريفة وغيرها كثير[4]، تفيض روحانية بما تمتلكه من مشاعر التضرع الى الله – تعالى – والخوف منه، والخضوع لأمره، وطلب الرحمة لعباده، وكلها أحاسيس يحسها المرء عبر سياق اللفظ والموقف.

وقد ورد عنه انه ﷺ دعا على قريش في عدد قليل من أحاديثه عندما أبطأوا عليه في الإسلام فقال:

" اللهم أعنِّي عليهم بسَبع كسَبع يوسُف " [5].

وعندما وضع كفارهم الدم والفرث على كتفيه الشريفين وهو ساجد يصلي عند الكعبة فقال:

" اللهمَّ عليكَ بقُريشٍ (ثلاث مرات) ثم سَمّىَ: اللهمّ عليكَ بعَمرِو بنِ هشامٍ وعُتبةُ بنِ ربيعةَ وشبيبةَ بنِ ربيعةَ ... " [6].

وقد وردت (اللهم) في عدد من أحاديث رسول الله ﷺ ليس لغرض الدعاء وإنما لاشهاد الله عز وجل على ما يقول.

كقوله ﷺ عندما أبصر نساءً وصبياناً مقبلين من عرس:

" اللهم انتم من أحبِّ الناس الي " [7].

وقال ﷺ " اللهُمّ نعم " [1] عندما سأله رجل: الله أرسلك الى الناس كلّهم؟ 000 فكلما سأله مسألة أجابه رسول الله بـ " اللهم نعم ".

---

(1) فتح الباري : 404/2 .
(2) نفسه: 123/6 .
(3) نفسه: 637/6 .
(4) ينظر: فتح الباري: 403/2، 404، 413، 525؛ 3/3، 308، 388، 521، 715؛ 121/4، 124، 436؛ 44/6، 57، 131، 198، 503؛ 110/7،125،144،167، 317؛ 70/8، 127، 172، 509، 839؛ 284/9، 691؛ 148/10-149، 157، 339،441، 532، 709؛ 117/11، 131، 156، 163، 218، 231، 340؛ 220/12، 397 ؛ 57/13، 373، 386.
(5) فتح الباري: 703/8 .
(6) نفسه: 781/1 .
(7) نفسه: 308/9 .

فالجواب حصل بـ (نعم) وإنما ذكر (اللهم) لأشهاد الله عز وجل على ذلك تأكيداً على صدقه[2] .

2- التنبيه

وهو من أكثر المعاني وروداً في خطاب رسول الله ﷺ لما في (يا) النداء من قوة في التنبيه، تحمل المخاطب على الإصغاء الى الأمر. من ذلك ان عبد الرحمن بن عوف سأل رسول الله ﷺ متعجباً، حينما رآه يذرف الدمع على ولده إبراهيم، وهو يحتضر فقال: وانت يا رسول الله؟ فأجابه الرسول بقوله:

" يا ابنَ عوفٍ إنها رحمةٌ ... أن العينَ تَدمعُ والقلبَ يحزَنُ ولا نقولُ إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنّا بِفراقِك يا إبراهيم لمحزونون " [3].

وخاطب رسول الله بني سلمة[4] لما بلغه انهم أرادوا أن يبتاعوا بيوتاً قريبة من مسجده لبُعد ديارهم عنه فقال:

" يا بني سَلَمةَ، ألا تَحْتَسِبونَ آثاركم؟ " [5] .

وقال ﷺ للأنصار، بعدما أفاء الله على رسوله من أموال هوازن في غزوة حنين فقسمها في المؤلفة قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً [6]، فكأنهم وَجَدوا، إذ لم يُصِبهم ما أصابَ الناس فخطبهم قائلاً.

" يا معشَرَ الأنصار، ألم أجِدْكم ضُلاّلاً فَهَداكم اللهُ بي، وكنتم متفرقين فالفكم اللهُ بي، وعالةً فأغناكم اللهُ بي. كلما قال شيئاً قالوا: اللهُ ورسولهُ امنُّ ... " [7] .

وقال ﷺ لأزواجه:

" ... يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة " [8][9] .

---

(1) نفسه: 197/1 .
(2) وتكرر المعنى نفسه في حديث آخر، ينظر فتح الباري: 134/8 .
(3) فتح الباري: 222/3 .
(4) بنو سلمة: هم بطن من الخزرج أنصار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة .
(5) فتح الباري: 177/2 .
(6) ينظر ص 132 من البحث .
(7) فتح الباري: 59/8 .
(8) نفسه: 12/3 .
(9) لقد اختلف النحاة في الأداة (يا) إذا وليها ما ليس بمنادى كالحرف (رب) و (ليت) وغيرهما، فذهب بعضهم الى ان (يا) في هذه المواضع أداة نداء والمنادى محذوف (ينظر معاني القرآن للفراء 290/2، الكامل: 271/3، المفصل: 48 . وذهب آخرون الى ان (يا) ان وليها (ليت) او (رب) او(حبذا) فهي للتنبيه لا للنداء ينظر: الكتاب 224/4، الانصاف للانباري: 99/1-103، مغني اللبيب: 374/2 ؛ الخصائص: 279/2 .

فصيغة النداء (يا ابن عوف) في الحديث الأول تنبيه له على تلقي الخبر الذي أعقب النداء ومفاده ان الحالة التي شاهدها منه هي رقة المشاعر وحنان الوالد على الولد لا ما توهم من الجزع وقلة الصبر المنهي عنهما. وان الحزن في مثل هذه المواقف والتعبير عنه بالدموع مظهر أنساني لا يفترق فيه رسول عن غيره من البشر، لا كما ظن عبد الرحمن ﷺ.

ثم توجه بالنداء الى ولده إبراهيم متحبباً متلذذاً بذكر اسمه مع انه في ذلك الحين لم يكن ممن يفهم الخطاب لصغره أولاً، ولاحتضاره ثانياً. ولكنه ربما أراد ﷺ ان ينبه الحاضرين ومنهم عبد الرحمن ان الحزن لفراق الأحبة واقع لا مفر منه وهو لا يغضب الله تعالى ولم ينه عنه.

وأراد رسول الله ﷺ بصيغة النداء، في الحديث الثاني، متواشجة مع صيغة الاستفهام تنبيه بني سلمة وحثهم على احتساب آثارهم ليرجعوا عما نووا فعله، ويبقوا في ديارهم، وتبقى جهات المدينة عامرة بساكنيها. وفي هذا تنبيه لكل مسلم يبغي الثواب من الله تعالى، لأن الأجر على قدر المشقة.

وبدأ النبي الكريم خطبته، في الحديث الثالث، بنداء البعيد على الرغم من قرب الأنصار منه، إشارة الى تنبيههم وإيقاظ الغفلة فيهم، ثم بعد ان أثار انتباههم، ذكرهم بما كان حالهم قبل مجيئه إليهم بأسلوب الاستفهام التقريري من اجل نزع الاعتراف منهم وتثبيته، ليكون ذلك ابلغ في إقامة الحجة عليهم، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال. وقد اقرّوا على أنفسهم بذلك. وترشح المعنى الذي أراد الرسول الكريم ان يوصله الى المستمعين بتعاضد أسلوبي النداء مع الاستفهام الذي أعقبه في سياق متماسك متفاعل.

وأفاد النداء، في الحديث الأخير، تنبيه أزواجه – رضوان الله عليهن – على ان لا يتغافلن عن العبادة، ويعتمدن على كونهن أزواج النبي ﷺ. فلا يكنّ كاسيات بخلعة التزوج من الرجل الصالح في الدنيا، عاريات من العمل الطيب في الآخرة، فلا ينفع المرأة صلاح زوجها، كما قال تعالى: (فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) [1][2] .

والحديث وان ورد في أزواج النبي ﷺ، لكنه يفيد استحضار أذهان عموم النساء وتذكيرهن بهذه الحقيقة.

وغرض التنبيه يترشح من أسلوب النداء في كثير من الأحاديث الشريفة[3] لا يتسع المجال لذكرها، ولعلّ ما ذكر منها يكفي لإضاءة هذا الجانب.

3- التكريم والتنويه بالفضل

---

(1) المؤمنون / 101 .
(2) فتح الباري: 280/1 ؛ شرح الكرماني: 130/2 .
(3) ينظر: فتح الباري 108/1 ؛ 255/2 ؛ 112/3، 427، 665، 315/4؛ 436/8، 743 ؛ 272/10 .

جاء عن أم هانئ بنت أبي طالب انها قالت: " قلتُ يا رسول الله زعمَ ابنُ أميّ[1] انه قاتلٌ رجلاً قد أجرْتُهُ فُلانَ ابنَ هُبيرةَ[2] . فقال رسول الله ﷺ:
" قد أَجَرْنا مَن أجرتِ يا أُمَّ هانئٍ " [3] .

جاء أبو طلحة الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى في كتابه: (لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ) [4] وأنّ أحبَّ أموالي اليَّ بِيرحاءُ[5]، فهي الى الله عزّ وجلَّ والى رسولِهِ، فقال رسول الله:
" بَخْ[6] يا أبا طلحةَ، ذلك مال رابحٌ قبلناه منكَ وَرَدَدْناهُ عليك فاجعله في الأقربين " [7].

وقال ﷺ لأبي موسى ﷺ:
" يا أبا موسى، لقد أوتيتَ مِزماراً من مزامير آل داؤد [8] " [9] .

ففي الحديث الأول لم تستعمل صيغة النداء لطلب الإقبال، لأن أم هانئ كانت تحاوره، وتنتظر الجواب منه، فكانت في حالة قرب وانتباه لما يقول، وإنما استعملت (يا) للتكريم.

وفي الحديث الثاني أفاد النداء التكريم والتنويه بفضل أبي طلحة في الإنفاق يمازجهما المدح والرضا.

وتصدرت صيغة النداء مخاطبة الرسول ﷺ أبا موسى، في الحديث الثالث، واوحت بدلالة السياق التنويه بحسن صوت المخاطب المؤكد بالتعبير (لقد أوتيت)، وقد عبر عنه بآلة الصوت (المزمار) مبالغة في إظهار عذوبته التي تقرب من عذوبة مزمار داود عليه السلام.

---

(1) هو علي بن ابي طالب ﷺ .
(2) قيل اسمه الحارث بن هشام المخزومي . عمدة القاري 191/22 .
(3) فتح الباري: 619/1 .
(4) آل عمران /92 .
(5) بيرحاء: حديقة كان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل بها ويشرب من مائها . فتح الباري: 486/5 .
(6) بخْ: بوزن بلْ، كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ . اللسان / بخخ: 483/3 .
(7) فتح الباري: 486/5 .
(8) المراد بالمزمار الصوت الحسن، سمي باسم آلته مجازاً، والمراد بآل داود داود نفسه لأنه لم ينقل ان أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه اعطي من حسن الصوت ما اعطي . ينظر، فتح الباري: 115/9 ؛ النهاية: 312/2 .
(9) فتح الباري: 113/9 .

فضلاً عن أن مناداة المخاطب بالكنية في الأحاديث الثلاثة دلالة على التكريم والتقدير. وقد تمثل غرض التكريم في عدد آخر [1] من الأحاديث النبوية التي انطوت على أسلوب النداء اعتذر عن ذكرها خشية الإطالة.

4- التحذير

قال رسول الله ﷺ مخاطباً النساء:

" يا مَعشرَ النساءِ تَصَدّقْنَ، فإني أُريتُكنّ أكثر أهل النارِ ... " [2].

وقال ﷺ لحكيم بن حزام بعد أن سأل الرسول فأعطاه ثم سأله فأعطاه ثم سأله فأعطاه.

" يا حكيمُ، إنّ هذا المالَ خَضِرٌ حُلوٌ، فمن أخذهُ بسَخاوةِ نفسٍ بُورِك لهُ فيه، ومَن أخذَهُ بإشرافِ نفسٍ[3] لم يُبارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ " [4].

وقال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن سَمُرة:

" يا عبدَ الرحمنِ بن سَمُرة، لا تسألِ الامارةَ، فانك إن أُوتيتَها عن مسألة وكِلتَ اليها، وان أُوتيتَها من غير مسألة أُعِنْتَ عليها .... " [5].

لقد أوحى النداء في هذه الأحاديث بالتحذير والتخويف.

ففي الحديث الأول نرى ان النبي ﷺ وجه نداءه الى عامة النساء فقال: يا معشر النساء ... ومعنى ذلك ان الأمر الذي سيتكلم عليه جد خطير وانه ينبغي ان يكون موضع عناية المخاطبات لأن " النداء في اللغة العربية إذا سبق طلباً كان دالاً على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب، وحرصه على تنفيذه من جهة، وعلى ان الأمر مقصور على المنادى من جهة أخرى " [6].

هذا الأمر هو الحث على الصدقة، علها تدفع العذاب عنهن، وتكفر ذنوبهن. لذلك فقد راعى الرسول الكريم مقتضى الحال الداعي الى التحذير والتخويف من تلك العاقبة، وعمد الى الابتداء بأسلوب النداء كمنبه تعبيري يوقظ الأذهان والمشاعر من غفلتها، ويهيئها لتلقي الأمر والخبر المؤكد الذي سيعقبه، وينتظم الكل في إطار

---

(1) ينظر: فتح الباري 284/5 ؛ 23/7 ؛ 658/9 ؛ 545/10 .
(2) نفسه: 534/1 .
(3) سخاوة نفس: يقال سخّيت نفسي عنه أي تركته ولم تنازعني نفسي اليه . اللسان (سخى) 94/19 . والإشراف: الحرص والطمع . اللسان (شرف) 74/11 .
(4) فتح الباري: 474/5 .
(5) نفسه 633/11-634 .
(6) نداء المخاطبين في القرآن، د. علي عبد الواحد وافي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن، 1978 م، ص 85 .

التحذير. وهكذا فقد حقق أسلوب النداء متضافراً مع الأساليب الأخرى في نسيج الحديث قدراً من التأثير والاستجابة النفسية الذهنية عند المخاطبات وبلغ الكلام معهن غايته.

أما النداء في الحديث الثاني فقد أفاد تحذير (حكيم) من الإعجاب بالمال والافتنان به والالحاف في طلبه، ومن اجل تعميق هذا المعنى وترسيخه في ذهن المخاطب شبه المال بالرغبة فيه والميل اليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء اللذيذة الطعم، فالأخضر والحلو منها مرغوب فيه بالنسبة للبابس والمر، وإذا اجتمعا يكون الإعجاب والرغبة فيهما اكبر واشد. ولا شك ان عدم قناعة المخاطب بالقليل من المال وإلحاحه في الطلب أمر خطير يجب ان ينبه عليه ويحذر منه.

وكذلك دل النداء في الحديث الثالث على تحذير عبد الرحمن بن سمرة ﷺ من طلب الإمارة لأن من طلب الإمارة فأعطيها تركت اعانته عليها من اجل حرصه، ومن أعطيها من غير مسألة، فقد وعد بالإعانة لأنه لا يرى نفسه أهلاً لذلك، هيبة له وخوفاً من الوقوع في المحذور، فلهذا يعان عليه إذا دخل فيه[1].

وقد تخصص الخطاب بالمنادى (عبد الرحمن) وكأنه سأل الأمارة والحف في الطلب فجاء الحديث محذرّاً ومبيناً سبب المنع.

ويلاحظ في الحديثين الأخيرين ان النداء كان بذكر الاسم، وليس بالكنية او اللقب، وذلك – في اعتقادي – لأن المقام مقام تحذير وتخويف، وهذا يقتضي القصد الى الاسم المجرد من دون تفخيم او تحبب[2].

5- التأنيس والتسلية

قال ﷺ لأم حارثة[3] عندما سَأَلَتْه عن منزلة ابنها الذي استشهد يوم بدر:

" يا أُمَّ حارثةَ، انها جِنانٌ في الجنةِ، وإنّ ابنكِ أصابَ الفِردَوسَ الأعلى " [4].

وخطب النبي ﷺ فقال: " إنَّ اللهَ خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عندَه، فاختارَ ما عندَ الله ". فعلم أبو بكر ﷺ ان رسول الله اختار الرفيق الأعلى، وانه مفارقهم قريباً، فبكى ... فقال له رسول الله:

" يا أبا بكرٍ لا تبكِ، إنّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ ابو بكرٍ ولو كنتُ مُتَّخذاً خليلاً من أُمتي لاتّخذْتُ ابا بكر، ولكنْ أُخُوّةُ الإسلام ومَوَّدتُهُ ... " [5].

---

(1) ينظر: فتح الباري: 156/13 .

(2) لمزيد من الأحاديث الشريفة في معنى التحذير ينظر ؟ فتح الباري: 255/2 ؛ 318/5 ؛ 311/13 .

(3) ذكر الكرماني ان أم حارثة هي الربيع بنت النضر وهي عمة انس بن مالك . شرح الكرماني: 111/12 .

(4) فتح الباري: 32/6 .

(5) نفسه: 734/1 .

وقال ﷺ لمخرَمَةَ بنِ نَوفَل، وهو يهديه قَباء من دِيباج مُزرَّد بالذهب، وكان بصحبة ابنه المِسْوَر:

" يا أبا المِسْوَرِ خَبّأْت هذا لك، يا ابا المسورِ خَبّأتُ هذا لك " [1].

لقد تصدت صيغة النداء جواب رسول الله ﷺ في الحديث الأول لأم حارثة تطميناً لقلبها، وتأنيساً ومواساة لنفسها الحزينة على فراق ابنها، فقد أفاد النداء التمهيد والتعضيد للخبر الذي أراد الرسول ﷺ ان يسري به عن ام الشهيد وهو بيان منزلة ولدها.

وتواشجت صيغة النداء مع صيغة النهي، في الحديث الثاني، في أسلوب موحد ينهض بمعنى التأنيس والترفيه عن نفس أثقلها الهم حتى فاضت دمعاً، فأراد الرسول الكريم ان يبدد حزن صاحبه ورفيق دربه ويشيع المسرة في نفسه بذكر مآثره، وما يكنه له من ود، جسّده ﷺ بأسلوب خبري مؤكد أعقب الطلب ووشى بمعناه.

ونادى رسول الله مخرمة بـ(أبا المسور) على سبيل التأنيس وتطييب خاطره بذكر ولده الذي جاء بصحبته، وإلا فكنيته في الأصل (أبو صفوان) وهو اكبر أولاده[2].

وقد مال رسول الله الى ملاطفة مخرمة ومؤانسته لما كان في خلق مخرمة من الشدة وبذاءة اللسان كما يقول شارح الحديث[3]. وكرر النداء إمعاناً في تطييب نفس المخاطب والتلطف معه. وهو ابلغ البلغاء يراعي المقام ونفسية المخاطب في كلامه فيخاطب كل إنسان بما يناسبه، فيستميله ويبلغ منه القصد.

(1) نفسه: 278/6 .
(2) نفسه: 332/10 .
(3) ابن حجر في كتابه المذكور .

6- الزجر والتأنيب

وقد يحمل النداء معنى الزجر كقوله ﷺ مخاطباً اليهود:

" يا معشَرَ اليهود، وَيْلَكم اتقوا الله، فواللهِ الذي لا الهَ الا هُوَ إنّكم لَتَعلمون أني رسولُ الله حقاً، واني جئتكم بحق، فأسلِموا " [1] .

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل، وقد علم انه يطيل في صلاته، وكان إماماً للجماعة:

" يا مُعاذُ، أفتّان أنت؟ " ثلاث مرات [2] .

يفيد سياق الحديث الأول زجر اليهود وتوبيخهم على ما أبدوه من إنكار الدعوة الإسلامية وتكذيب الرسول الكريم قصداً، ويشدد الحديث معنى الزجر باستعمال (ويلكم) بمعنى الهلاك، والإكثار من أدوات التوكيد وصيغه التي تفضح أكاذيبهم وتثبيت صدق الرسول ﷺ. وفوق هذا وذاك فإن الحديث يبتدئ بصيغة نداء، أداتها للمنادى البعيد، للحط من شأنهم، والتنبيه على غفلتهم وعنادهم. فأسلوب النداء في الحديث تكاتف مع الأساليب الأخرى لإبراز معنى الزجر والتوبيخ في السياق العام.

والياء في الحديث الثاني تفيد اللوم والتأنيب، لإطالة معاذ ﷺ، في الصلاة لأن ذلك منفّر للجماعة، وقد يكون سبباً لخروج البعض من الصلاة.

وقد استعملت أداة النداء (يا) لمخاطبة القريب خلافاً للأصل من اجل تنبيه المخاطب الى الفعل المنكر الذي جاء بصيغة (فتان) مبالغة في الإنكار، فضلاً عن أن النداء الدال على القرب، له وقع خاص على المخاطب إذ يهز النفس هزا، ويعيدها الى مسارها.

وقد تعاضد النداء مع الاستفهام مع التوكيد بأسلوب التكرار لترسيخ معنى الإنكار المتآزر مع اللوم والتأنيب على هذا الفعل الذي قد يضر من حيث أريد به النفع، وفي هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم احد من المسلمين على تكرار مثله مستقبلاً[3].

7- الندبة

وهو أسلوب تأثري انفعالي يعبر عن مشاعر العاطفة عبر كتلة لغوية تعد من النقوش الكلامية[4]، وهي نداء المتفجع عليه او المتوجع منه، وقد وردت قليلاً جداً في الحديث الشريف ويعد السياق عنصراً رئيساً للتمييز بين النداء الحقيقي والندبة، إذ إن كلا منهما يرتبط بسياق معين يوجه دلالته ويوضح معناه.

---

(1) فتح الباري: 318/7 .
(2) نفسه: 255/2 .
(3) ينظر المعنى نفسه، فتح الباري: 235/12 .
(4) اللغة والمعنى والسياق: 266 .

من ذلك قول النبي ﷺ عندما سمع السيدة عائشة (رضي الله عنها) تندب رأسها فردّ عليها:

" بل أنا وارأساه ... " [1].

وصعد رسول الله ﷺ الصَّفا ذاتَ يومٍ فقال:

" يا صباحاه " [2] فاجتمعت اليه قريش، قالوا: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العدوَّ يصّبحكم او يمسّيكم أما كنتم تصدِّقونني؟ قالوا: بلى. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يَدَي عذابٍ شديدٍ " [3] .

فاستعمال (وا) بصوتها الممدود المتصل بمدّ آخر في الألف اللاحقة بالمنادى تتلوها الهاء للتنبيه، لهو دليل على التوجع الذي تنفثه النفس آهات متواصلة لما لحق بالرأس من ألم.

واستعمال (يا)، في الحديث الثاني، واتصال المنادى بالألف وهاء الوقف، من اجل إطالة الصوت ومدّه، مبالغة في إظهار انفعاله وحزنه على قومه الذين يصدون عن الإصغاء لدعوة الحق. ولعل صيحة الندبة الصادرة من قمة الانفعال هذه، توقظ مشاعر المخاطبين وتحفزهم الى الاستجابة والامتثال للأمر المطلوب.

وعند التأمل في سياق الحديثين نرى ان الندبة تقال في لحظات معينة تحت تأثير الانفعال والضغط النفسي الآتي، للتخفيف عن النفس بما لحقها من شدة الألم – في الحديث الأول – او وطأة الحزن، في الحديث الثاني، فكأن (وا) و (يا) صرخة فلتت من عقال المعاناة والإحساس بالألم، وهي في الوقت نفسه توقف السامع على عظم هذه المصيبة عند النادب، مما جعلته منفعلاً الى أقصى درجات الانفعال يعبر عن شدة ألمه او حزنه بمصاحبة النغمة الصوتية التي " تحمل شحنة دلالية وشحنة انفعالية " [4][5].

8- الاختصاص

وقد استعملت صيغة النداء في معنى الاختصاص في قوله ﷺ " إنَّ لكلِّ امةٍ أميناً، وإن امينَنا – أيَّتُها الأمة – ابو عُبيدةَ بنُ الجّراح "[6] .

وقال ﷺ لأسماء بنت عُميس[7]:

---

(1) فتح الباري: 254/13 .
(2) كلمة تقال عند استنفار من كان غافلاً عن عدوه، ومعناها ان العدو هجم عليكم صباحاً، لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح . النهاية: 3/6-7 .
(3) فتح الباري: 692/8 .
(4) الألسنية العربية، ريمون طحان: 85 .
(5) للاستزادة ينظر: فتح الباري: 535/3 .
(6) فتح الباري: 116/7 .
(7) هي زوج جعفر بن أبي طالب (رض)، كانت قد هاجرت الى الحبشة فيمن هاجر .

" ... ولكم انتم – أهل السفينة – هجرتان " [1] .

لم يناد رسول الله في الحديث الأول الأمة نداءً حقيقياً، وإنما أراد ان يختص امة الإسلام من بين الأمم، كما يختص المدعو بأن أمينها هو أبو عبيدة بن الجراح.

وجاءت صيغة النداء (أيتها الأمة) لتفيد تأكيد الاختصاص المتحقق بضمير المتكلم المتصل بـ (أميننا). يقول سيبويه في مثله: " أراد ان يؤكد لأنه قد اختص " [2] .

وقد حقق أسلوب الاختصاص هذا تعميق دلالة الثناء على أبي عبيدة بن الجراح ﷺ.

أما الحديث الثاني فقد خص أهل السفينة بأن لهم هجرتين، هجرة من مكة الى الحبشة، وهجرة من الحبشة الى المدينة. وكان الاختصاص أسلوباً مؤكداً لما جاء في الحديث بما يمتلكه من صفة التخصيص والتعيين[3].

9- التحسر والتوجع

قال ﷺ:

" لا تقومُ الساعةُ حتى يَمُرَّ الرجلُ بقبرِ الرجل فيقولُ: يا ليتني مكانه " [4].

وقال ﷺ في الجنازة:

" إذا وُضِعَتِ الجنازةُ، فاحتملها الرِّجالُ على أعناقِهم فإنْ كانت صالحةً قالت: قدِّموني. وان كانت غيرَ صالحةٍ قالت لأهلها: يا وَيْلَها، أين يذهبون بها؟ يَسمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلاّ الإنسانُ، ولو سَمِعَ الإنسانُ لصَعِقَ " [5] .

ان هذا الصوت المنبه اللافت (يا) الذي سبق (ليتني) لا يراد به النداء الحقيقي وإنما نحس بمشاعر التوجع والتحسر، واللهفة المكروبة وراءه، لأن تمني ما لا سبيل الى تحقيقه يترجم هذه المشاعر الحبيسة، ويعبر عن هموم النفس وأحزانها.

ونداء الروح للويل وهي مما لا يجيب ولا يفهم، في الحديث الثاني، أشبه بالاستغاثة او الصرخة فكأنها دعت ويلتها بأن تحضر في ذلك الوقت لما عرض لها من الأمر الفظيع لتنقذها من الهلاك.

وكأن الذي ينادي الحسرة او الويل يقول: أقربي او احضري فهذا أوانك وزمانك[6] وفي ذلك إظهار لشدة الجزع والتوجع، وتعظيم الأمر على نفس المتكلم

---

(1) فتح الباري: 618/7 .
(2) الكتاب: 232/2 .
(3) وينظر المعنى نفسه: فتح الباري: 118/6 .
(4) فتح الباري: 93/13 .
(5) نفسه: 238/3 .
(6) الكتاب: 217/2-219 ؛ البرهان 325/3 ؛ النهاية: 236/5 .

وعلى سامعه. وقد أضاف الويل الى الغائب حملاً على المعنى كأنه لما أبصر نفسه غير صالحة نفر منها وجعلها كأنها غيره[1].

ولا يخفى ان الرسول ﷺ كان يبغي من وراء ذلك التنبيه والإيقاظ والتحذير.

10- وقد تستعمل (يا) النداء في سياق المداعبة والمزاح والملاطفة كما في حديثه ﷺ الى أبي عمير[2] .

" يا أبا عُمَير ما فَعلَ النّغَير؟ [3] " [4] .

فالنداء لم يقصد به الاستدعاء وإنما قصد به المزاح والدعابة وملاطفة الصبي عندما وجده حزيناً.

والتكرار النمطي في الكلام المسجوع على حرف الراء (عمير ونغير) يخلق إيقاعاً صوتياً يتناغم مع مضمون التعبير، ويتناسب مع صغر المخاطب، وكله يتساوق لفظاً ومعنى ليضحك الصبي ويبدد حزنه.

ان في هذا الاختيار الموفق للألفاظ ونظمها في أساليب متناسبة مع المواقف والأحوال والأعمار والمستويات المختلفة، لتتجلى روعة بلاغة الرسول الكريم.

11- وقد يأتي النداء ليفيد معنى التحبب والملاطفة كقوله ﷺ لابنته فاطمة (رضي الله عنها) عندما أقبلت عليه:

" مَرحباً يا ابنتي " [5] .

فالنداء هنا- كما أرى – أفاد معنى التحبب والتلذذ بذكر (الابنة).

كما ان في إضافة المنادى الى ياء المتكلم دليل المجاملة واللطف والرفق واللين كما يقول الزمخشري في مثله[6] .

12- وقد يستعمل أسلوب النداء في سياق جدّي لإثارة الهمة والعزيمة والشجاعة، كما جاء في نداء الرسول ﷺ يوم حنين إذ نادى يومئذ نِداءَين لم يَخلِط بينهما: التفتَ عن يَمينه فقال " يا معشرَ الأنصار، قالوا: لبّيكَ يا رسول الله، أبشِرْ نحنُ معكَ ". ثم التفتَ عن يسارِهِ فقال: " يا مَعشرَ الأنصار، قالوا: لبّيكَ يا رسولَ الله، أبشِرْ نحنُ معكَ " [7] .

---

(1) شرح الكرماني: 104/7 .
(2) عمير: الأخ الصغير لأنس بن مالك من أمه .
(3) النغير: تصغير النُغير: وهو طير كالعصافير حُمُر المناقير . اللسان (نغر) 81/7 .
(4) فتح الباري: 644/10 .
(5) نفسه: 778/6 .
(6) ينظر الكشاف: 510/2 ؛ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الأول، الجزء الثالث: 634 .
(7) فتح الباري: 67/8 .

فالنداء هنا وسيلة لإثارة الهمم والإغراء بالجهاد والحث على القتال.

13- **وقد لا يستعمل النداء لهذا الغرض او ذاك وإنما يكون القصد منه تخصيص المنادى كقوله ﷺ لبني أرْفِدة [1] عندما رآهم يلعبون بالدَّرَقِ والحراب[2] في يوم عيد في المسجد:**

" دونَكم يا بني أرْفِدةَ " [3].

فالنداء أفاد تخصيص بني ارفدة بأنه يغتفر لهم مالا يغتفر لغيرهم لأن الأصل في المساجد تنزيهها عن اللعب، فيقتصر على ما ورد فيه النص[4] .

تكرير النداء في الحديث الشريف وبلاغته

لاحظنا ان النداء قد يأتي مكرراً في عدد من الأحاديث الشريفة وذلك لأسباب بلاغية يقتضيها المقام من ذلك إضافة الى ما ذكر قوله ﷺ.

" يا أُمّةَ محمدٍ، والله ما مِن أحدٍ أغْيَرُ من اللهِ إن يزنـيَ عبدُهُ او تزنـيَ أَمَتـهُ. يـا أُمّةَ محمدٍ، لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلاً ولَبَكيتُم كثيراً " [5].

وقال ﷺ لكعب بن مالك في دَيْنٍ له:

" يـا كعبَ بـنَ مالـكٍ، يـا كعـب. قـال: لبّيك يـا رسول الله، فأشـار بيده أنْ ضَـعِ الشطرَ[6] من دَيْنِكَ، قال كعب: قد فَعلتُ يا رسول الله ... " [7] .

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل:

" يا مُعاذُ بن جَبَل. قال: لبّيك يا رسول الله وسَعَديكَ. قال: يا مُعاذُ. قال: لبيك يا رسول الله وسَعدَيك (ثلاثاً). قال: مـا مِنْ احدٍ يَشـهدُ ان لا إلـهَ إلا الله وان محمداً رسولُ اللهِ صِدْقا من قلبهِ إلاّ حرّمَهُ اللهُ على النارِ " [8].

إن في إعادة النداء بـ (يا امة محمد) في الحديث الأول – زيادة تنبيه للمسلمين وإيقاظاً لهم، بأن ما يخبرهم به أمر عظيم الشأن، فهذا النداء المكرر كما يقول الزمخشري في مثله: " استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد،

---

(1) بنو ارفدة: هو لقب للحبشة وقيل هو اسم جنس لهم وقيل اسم جدهم الأكبر . ينظر عمدة القاري: 14 /187 .

(2) الدّرَقُ: الترس الذي يتخذ من الجلود . اللسان (درق) 384/11 .

(3) فتح الباري: 559/2 . دونكم: كلمة الإغراء بالشيء والمغرى به محذوف أي ألزموا ما انتم فيه فيه وعليكم به . شرح الكرماني 60/6 .

(4) نفسه: 563/2 . وينظر المعنى نفسه في: 239/7 .

(5) فتح الباري: 672/2-673 .

(6) الشطر: النصف .

(7) فتح الباري: 738/1 .

(8) نفسه: 300/1-301 .

وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم " [1] .

كما يلاحظ انه عدل عن الخطاب بالمضمر (يا أمتي) الى الخطاب بالظاهر (يا امة محمد) كأنه أبعدهم عنه فخطابهم بهذا الخطاب، لأن المقام مقام تخويف وتحذير[2] .

.

أما الحديث الثاني ففيه نصح وإرشاد، ولذا كرر النداء في قوله (يا كعب) لزيادة تنبيه المخاطب تلطفاً به وحملاً له على قبول النصيحة، كما يقول الزمخشري في مثله[3]. وقد أجاب الصحابي بالجملة المؤكدة مبالغة في امتثال الأمر.

وكرر ﷺ النداء، في الحديث الثالث، ثلاث مرات ليهيء ذهن السامع الى ما يقول ويوقظ انتباهه لتلقي ما يخبره به، والتأكيد على تفهمه وضبطه لأهميته. يقول الزمخشري: " فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك التأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جداً " [4] فكيف إذا كان النداء مكرراً ثلاث مرات!.

أما التكرار في الدعاء فله معنى آخر مختلف ألا وهو الدلالة على شدة التضرع والتلهف على الاستجابة، والإلحاح في الطلب، والالتجاء إليه سبحانه.

كقوله ﷺ داعياً ربه عز وجل في ركوعه وسجوده:

" سبحانَكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِك، اللهمَّ أغفِرْ لي " [5] .

" ربِّ اغفر لي خَطيئتي وجَهلي، وإسرافي في أمري كلِّهِ وما انتَ اعلم به مني، اللهم أغفر لي خَطاياي وعَمدي، وجَهلي وجِدّي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخرَّرتُ، وما أسرَرْتُ وما أعلَنْتُ ... " [6] .

" اللهمّ انج المستضعفين من المؤمنين. اللهمّ اشدُدْ وَطْأتكَ على مُضَر، اللهمّ اجعَلها عليهم سنينَ كسِنِي يوسُف " [7] .

وهكذا يتبين لنا أن التكرار ذو فاعلية مؤثرة في الأداء على المستويين الصوتي والدلالي، تكثيفاً وتعميقاً، فهو " بمثابة منبه فني يندفع منه المعنى او يتوقف عنده " [8][9].

---

(1) الكشاف: 554/3 .
(2) عمدة القارئ: 71/7 .
(3) ينظر الكشاف: 429/3 .
(4) الكشاف: 224/1 .
(5) فتح الباري: 358/2 .
(6) نفسه: 234/11 .
(7) نفسه: 231/11 .
(8) التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، دراسة أسلوبية، د. محمد عبد المطلب ؛ مجلة فصول، المجلد الثالث، الجزء الثاني، العدد الثاني، 1983، ص 51 .
(9) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 278/6 ؛ 125/7 ؛ 51/8 ؛ 724/9 ؛ 487/10 ؛ 72/11 ؛ 57/13 .

الفصل الخامس

خطاب العرض والتحضيض

في الحديث الشريف

الفصل الخامس

خطاب العرض والتحضيض في الحديث الشريف

أسلوبا العرض والتحضيض من الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية، فالعرض طلب بلين ورفق، والتحضيض طلب بحث وشدة. وقد ورد هذان الأسلوبان في حديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري وهما يحملان - بالإضافة الى دلالتهما العامة التي ذكرها النحاة والبلاغيون، العرض او التحضيض – دلالات ومعاني أخرى متواشجة مع الدلالة الأصلية ومتساوقة معها.

العرض والتحضيض في اللغة والاصطلاح:

عرض الشيء للنظر فيه، جاء في لسان العرب عرض الشيء عليه يعرضه عرضا أراه إياه ... وعرضت الجارية والمتاع على البيع عرضاً[1].

والتحضيض بمعنى الحث والتحريض، جاء في اللسان، الحض: ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء. والحض ايضا ان تحثه على شيء لا سير فيه ولا سوق. ويقال حضضت القوم على القتال تحضيضاً: إذا حرضتهم[2] .

والعرض والتحضيض أسلوبان من الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية، وهما في اصطلاح النحاة: طلب الشيء، لكن العرض طلب بلين ورفق، والتحضيض طلب بحث وعنف وإزعاج[3]. وتابعهم في ذلك البلاغيون. يقول المغربي: " العرض هو طلب الشيء بلا حث ولا تأكيد، والتحضيض هو طلبه مع تأكيد وحث " [4].

ويفرق المرادي بينهما فيقول: " التحضيض اشد توكيداً " من العرض. والفرق بينهما: انك في العرض تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي التحضيض تقول: الأولى بك ان تفعل فلا يفوتنك. قيل: ولذلك يحسن قول العبد لسيده: ألا تعطيني، ويقبح: لولا تعطيني " [5].

---

(1) ابن منظور، (عرض): 26/9 .
(2) نفسه، (حضض): 405/8 .
(3) مغنى اللبيب لابن هشام: 69/1، 274، همع الهوامع للسيوطي: 67/2، شرح الاشموني على الفية ابن مالك: 609/3، الاشباه والنظائر للسيوطي: 179/4، شرح الكافية للاستراباذي: 378/2 .
(4) مواهب الفتاح – شروح التلخيص: 330/2 .
(5) الجنى الداني في حروف المعاني: 371 .

لم يفرد البلاغيون مبحثاً خاصاً لهذا الأسلوب كما فعلوا في الأساليب الطلبية الأخرى، وإنما ورد ذكره عندهم ضمن مبحثي التمني والاستفهام فأدوات التحضيض وهي (ألاّ) و (هلاّ) و (لولا) و (لوما) التي أطلقوا عليها مصطلح " أدوات التنديم والتحضيض ". تولد التحضيض عندهم من معنى التمني القائم فيها، لأنها مركبة من الحرفين (هل) و (لو) المستعملين للتمني، دخل عليهما الحرفان (لا) و(ما). يقول السكاكي في معرض حديثه عن (لو) واستعمالها للتمني " وكأن حروف التنديم والتحضيض وهي (هلاّ) و (ألاّ) بقلب الهاء همزة، و (لولا) و (لوما) مأخوذة منهما مركبتين مع (لا) و (ما) المزيدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولد منه في الماضي التنديم نحو: هلاّ أكرمت زيداً "، وفي المضارع التحضيض نحو: هلاّ تقوم[1].

أما العرض في (ألا) فهو عند السكاكي ليس باباً قائماً بنفسه، وإنما هو مولد من الاستفهام. يقول: " وأما العرض كقولك: ألا تنزل تصب خيراً، فليس باباً على حدة وإنما هو من مولدات الاستفهام " [2].

ويرى الجرجاني ان العرض قريب من التمني، لأن العرض حث على الفعل والحث لا يكون إلا على ما يوده المتكلم ويتمناه. يقول " والعرض قريب من التمني وذلك كقولك " ألا تنزل فتصيب خيراً " كأنه قال: ألا يكون منك نزول فإصابة خير، ومقاربة العرض للتمني من حيث أنك إذا عرضت عليه النزول فقد حثثته عليه، ولا تحث إلا على ما توده وتتمناه " [3] .

أدوات العرض والتحضيض في العربية :

لقد ذكر النحاة أدوات أخرى تستعمل للحث عدا (ألاّ) و (هلاّ) و (لولا) و (لوما) وهي (لو) و (ألم) و (هل).

فقد أشار ابن فارس الى معنى الحث والإغراء في الأداتين (لو) و (ألم) فقال في باب الإيماء " العرب تشير الى المعنى إشارة وتومئ إيماءً دون التصريح، فيقول القائل: " لو ان لي من يقبل مشورتي لأشرت " وإنما يحث السامع على قبول المشورة " [4] .

ويقول في موضع آخر: " والإغراء والحث قولك: ألم يأن لك ان تطيعني ! وفي كتاب الله – جل ثناؤه – ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [5][6] .

---

(1) مفتاح العلوم: 147-148، وينظر الإيضاح للقزويني: 130/1، شروح التلخيص: 242/2-244 .
(2) مفتاح العلوم: 153، وتابعه القزويني، ينظر، الإيضاح: 144/1، وشروح التلخيص: 330/2 .
(3) المقتصد في شرح الإيضاح،: 164/2 .
(4) الصاحبي: 248 . وينظر كذلك في همع الهوامع: 67/2 .
(5) سورة الحديد / الآية 16 .
(6) الصاحبي: 187 .

أما (هل) فقد المح ابن جني الى استعمالها في معنى العرض والتحضيض يقول في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [1] عادة الاستعمال هل لك في كذا؟ لكنه لما كان معناه ادعوك الى ان تزكى استعمل (الى) هنا تطاولاً نحو المعنى، وقد تقدم هذا، وهو غور عظيم " [2].

ويقول ابو حيان في الآية الكريمة: " قول موسى ((هل لك الى ان تزكى)) هو عرض فيه مناصحة " [3].

وذكر البغدادي في شرح قول الشاعر:

ألا ليت شعري هل يلومن قومه زهيراً على ماجر من كل جانب

" فان الذوق السليم يفهم من هذا البيت تحريض أقربائه على لومه ولومهم على ترك لومه " [4].

أسلوبا العرض والتحضيض في الحديث الشريف:

لقد وردت هذه الأدوات جميعاً في حديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري، لتشير لا الى معنى العرض او التحضيض حسب وانما متواشجة مع معاني آخر، وشت بها سياقات الحديث ومقتضيات أحواله، ولا سيما ان مقومات البلاغة النبوية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وقد كان لاستعمال هذه الأدوات دلالاتها من حيث ملاءمتها لنفسية المخاطب وظروف الخطاب، فالرسول الكريم يخاطب كل إنسان بما يناسبه فيستميله ويبلغ منه القصد.

وقد ارتأت هذه الدراسة ان تفرد لهذا الأسلوب مبحثاً خاصاً، لما فيه من دلالات ومعاني أوحى بها حديث ابلغ البلغاء ﷺ في امة البلاغة.

دلالات أسلوب العرض:

لم تأت (ألا) كأداة للعرض في الحديث الشريف حسب، وانما كان في العرض النبوي اللطف وتحريك كوامن الشوق لدى المخاطب والتنبيه وجذب الإصغاء، في مقام الترغيب او الترهيب او التأنيس والتسلية، وهذه المعاني وشت بها سياقات الأحاديث الشريفة:

كما نرى فيما يأتي :

---

(1) سورة النازعات / الآية 8 .
(2) المحتسب: 321/2 .
(3) البحر المحيط: 285/6 .
(4) خزانة الأدب: 291/1 .

عن ابي موسى ﷺ ان النبي ﷺ قال له: " ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة الا بالله " [1].

وعن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال: " ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: بنو النجار ثم الذين يلونهم بنو عبد الاشهل، ثم الذين يلونهم بنو عبد الحارث بن الخزرج، ثم الذين يلونهم بنو ساعدة. ثم قال بيده فقبض أصابعه، ثم بسطهن كالرامي بيده، ثم قال: وفي كل دور الأنصار خير " [2].

وقال ﷺ " ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف [3] متضعف لو اقسم على الله لأبرّ ". ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍّ [4] جوّاظٍ [5] مستكبر " [6].

لقد خاطبت البلاغة النبوية في الحديث الأول بأسلوب العرض جانباً مهماً من جوانب الغرائز البشرية ألا وهو حب النفس للمال، وأي مال هذا، فهو ليس كنزاً من كنوز الدنيا الفانية، بل هو من كنوز الجنة الباقية، ولا شك ان العرض قد حقق غايته في استثارة المخاطب وتحريك كوامن شوقه الى معرفة الجواب، فيكون الإصغاء أشد والتأثير أقوى والإبلاغ أدل، مما لو ذكر المعنى من دون هذا التحفيز الذي تدل عليه الأداة (ألا) وذلك من اجل ترغيب المخاطب في قول كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله).

وفي الحديث الثاني أثارت أداة العرض (ألا) التشويق في نفوس المتلقين، ولا شك ان الصحابة ﷺ قد حبست أنفاسهم واشتد شوقهم وتعاظم انتباههم وهم ينتظرون جواب رسول الله ﷺ ليعلم كل منهم هل سيذكر ضمن الأخيار؟ فكان جوابهم له بأدب " بلى يا رسول الله " تعبيراً عن هذه الرغبة الشديدة في المعرفة وحب الاستطلاع، فأخبرهم مقرراً بالتدريج خير دور الأنصار، ثم أعقبها بجملة ترضي جميع الأنصار (وفي كل دور الأنصار خير) مستعملاً الإشارة المفهمة – وهي قبض الأصابع ثم بسطها – مقرونة بالنطق، من اجل تأكيد المعنى، ولفت النظر وتنبيه الغافل، فضلاً عن انها وسيلة تعين على الحفظ والتذكر، فالفضل حاصل في جميع دور الأنصار، وان تفاوتت مراتبه.

وثمة تساؤل في الحديث الثالث يبسط الرسول من خلاله قضية ذات أبعاد تربوية مهمة يهدف الى تنفيذها وتثبيت مدلولها ومفهومها في نفوس المسلمين، وهي

---

(1) صحيح البخاري: 102/8 .
(2) نفسه: 68/7 .
(3) الضعيف: يقال ضعفته واستضعفته للذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال . اللسان (ضعف): 106/11 .
(4) عتل: قيل الشديد الخصومة، وقيل الجافي الغليظ، وقيل الأكول المنوع . لسان العرب (عتل): 449/13 .
(5) جواظ: الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل الأكول، وقيل الفاجر اللسان (جوظ): 318/9
(6) صحيح البخاري: 198/6 .

صفة أهل الجنة وصفة أهل النار، فقد أثار هذا التساؤل الذي يحمل معنى العرض في جنبات النفس من الشوق ما يهيئها لاستيعاب هاتين الصفتين، وهل ثمة أمر أدعى الى التنبه والتيقظ والحرص على المعرفة الوافية من هذين الأمرين؟

لقد جاء العرض من اجل تنبيه الأذهان وتحفيزها الى الإصغاء والاستماع بغية استمالة النفوس الى الفضائل، ثم كررت أداة العرض لإيقاظ الحواس وتنبيه السامع على إحضار قلبه وفهمه للمضمون الذي يذكره، فبعد ان اخبرهم بصفات أهل الجنة من اجل ترغيبهم بالاتصاف بها، أراد ان يخبرهم بصفات أهل النار من اجل ترهيبهم منها، فكان أسلوب المقابلة في المعنى بين الجنة والنار و (متضعف ومستكبر) أثره في المخاطب من اجل ان يتحلى بصفات الأولى ويتجنب صفات الثانية وهو في الوقت نفسه يتيح للمتلقي دلالات فكرية تصعد المعنى وتزيده إيحاءً لا سيما وان الخطاب كان بصيغة العموم (كل) التي تجعل للمضمون دلالته الشمولية.

لقد ساهمت هذه الأساليب جميعاً في إثراء معنى العرض والتشويق وخلق التأثير المطلوب لكي تفضي من خلال الحس المتحفز للتنفيذ، الى اندفاع الإنسان برغبة الى التحلي بتلك الخصال الحميدة.

2- التأنيس والتسلية:

وقد يقترن أسلوب العرض في الحديث الشريف بمشاعر مختلفة كالتودد والمؤانسة والملاطفة، فيكون العرض النبوي تسكيناً للنفس وإراحة للصدر في مقام أحوج ما تكون النفوس فيه الى هذه المشاعر والأحاسيس، فيسلك رسول الله ﷺ أسلوب العرض المثير للانتباه والمحقق قدراً وافراً من الطمأنينة والسكينة والإيناس، كما في الأحاديث الشريفة الآتية:

عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء الفقراء الى النبي ﷺ فقالوا: " ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون قال: ألا أحدثكم بأمر ان أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم احد بعدكم وكنتم خير من انتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين "[1].

فالعرض النبوي كان تأنيساً وتسلية لنفوس الفقراء الذين جاءوا الى النبي ﷺ وهم يشكون اليه فقرهم ورغبتهم في نيل الفضل الذي استأثر به الأغنياء، فأراد رسول الله ان يؤانسهم ويرغبهم في عمل يوازي في فضله ما يقوم به الأغنياء، لذا سلك سبيل العرض المثير للانتباه والمحقق قدراً وافراً من الطمأنينة والسكينة والإيناس، لم يكن يتوافر لو جاءت الإجابة خبراً مباشراً تتضاءل قدرته الأدائية على إثارة ذلك القدر المطلوب من الإحساس بالطمأنينة وهدوء النفس وسكون الروع، فكان أسلوبه مناسباً للمقام أولاً وللمتلقي ثانياً.

وفي هذا المعنى ايضا ورد قوله ﷺ مخاطباً ابنته السيدة فاطمة (رضى الله عنها) عندما أتت اليه تسأله خادماً لها فقال " ألا أخبرك ما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين "[2].

فقد مهد للمضمون بهذا التمهيد المؤنس للنفس لينزل منزلة العظة والأناة في النفوس، فضلاً عن كونه أطيب لنفس المتلقي وأدعى الى إذعانه، فما فاتهم من نقص في الأموال او الخدم سوف يجدونه ثواباً في الآخرة، وهذا تسلية واطابة لنفوسهم.

3- الحث:

(1) نفسه: 213/2 .
(2) نفسه: 84/7 .

لم تكن الأداة (ألا) وحدها تشي بمعنى العرض في الحديث الشريف وإنما هناك أدوات أخرى اوحت بهذا الأسلوب أظهرتها سياقات الأحاديث النبوية الشريفة. من ذلك الأداة (لو) التي حملت إضافة الى معانيها التي ذكرها النحاة، معاني الحض والحث على الفعل، مقترنة مع معاني العرض، وفي هذا تلطف في الطلب يكون ادعى الى المسارعة في التنفيذ والالتزام بالمضمون.

والأحاديث الشريفة الآتية تبرز لنا تلك الدلالة:

- عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال: " يُهلِكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم " (1).
- وقال النبي ﷺ يحض على الاغتسال في يوم الجمعة:
" لو انكم تطهرتم ليومكم هذا " (2).
وقال ﷺ لبريرة (3) وكانت قد فسخت زواجها من زوجها:
" لو راجعته: قالت يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه " (4).

ان التعبير بـ (لو) في الحديث الأول يحمل دلالة حض الناس وحثهم على اعتزال هذا (الحي من قريش) الذي أنبأنا رسول الله ﷺ أن بأيديهم سيكون هلاك الناس. وفي الحديث ما يرسخ هذه الدلالة ويعضدها وهو ذكر التعبير (فما تأمرنا؟) فجاء الجواب بصيغة التحضيض (لو ان الناس اعتزلوهم) الذي فيه حثاً وتحضيضاً على اعتزال الفتنة وأهلها ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من اللطف في الطلب والدعوة الى الالتزام بالمضمون بأسلوب يشعر المخاطب بشخصيته وانه طرف حر السلوك والاختيار.

وتبدو العبقرية البلاغية للرسول الكريم في تركيب الجملة ومراعاتها لمقتضيات الأحوال في الحديث الثاني، فهو دعوة الى الاغتسال في يوم الجمعة، ويتجلى ذلك في عبارة التحضيض (لو أنكم تطهرتم) التي تفيد الحض والحث على الاغتسال يوم الجمعة لأجل الصلاة ومجالسة الجماعة في المسجد من اجل رعاية مشاعر المصلين من التأذي بالرائحة الكريهة.

لقد ساعد أسلوب التحضيض على ترسيخ مدلول الجملة (الفكرة) في نفوس وقلوب السامعين، ليقبلوا على الاغتسال على سبيل الترغيب لا الإلزام، وهذا يكون أوقع في النفس وأقوى في التنفيذ.

---

(1) نفسه: 242/4 .
(2) نفسه: 8/2 .
(3) امة اشترتها السيدة عائشة (رضي الله عنها) ثم أعتقتها في سبيل الله وكان زوجها عبداً اسود يقال له مغيث . فتح الباري: 509/9 .
(4) صحيح البخاري: 62/7 .

لقد جاء الأمر بالاغتسال في يوم الجمعة متدرجاً، من الحث والتحريض على الاغتسال، كما في الحديث الشريف المذكور آنفاً الى الأمر الصريح بوجوب الاغتسال كما في قوله ﷺ (من جاء منكم الجمعة فليغتسل) كما يذكر العسقلاني [1] وهذا دليل على انه ﷺ عدل عن أسلوب الأمر الصريح في بداية الأمر من اجل ان يأخذ النفس بالتدرج، حتى لا يشق على الناس ذلك، فكانت دلالة الحض متواشجة مع دلالة العرض في (لو) تناسب حالة المخاطبين، لأنهم لم يتعودوا على الاغتسال في هذا اليوم، ولأن في ذلك مشقة لهم إذ كانوا أصحاب عمل[2] فكان أسلوب التحضيض اشد ملائمة لمقتضى حالهم ثم بعد ان اعتادت النفوس على ذلك جاء الحديث الآخر بصيغة الأمر الصريح.

أما الحديث الثالث فقد عرض رسول الله ﷺ لمولاة السيدة عائشة (رضي الله عنها) مراجعة زوجها باللفظ (لو) الذي يحمل تلك الدلالة متساوقة مع دلالة الحث والتمني، وقد أحست المخاطبة بكل تلك المعاني التي حملتها هذه اللفظة لهذا بادرت الى سؤاله هل هو أمر يجب عليها الامتثال له، أم مشورة فتتخير فيها، فأخبرها ﷺ: " إنما أنا أشفع ".

فرسول الله ﷺ لا يمكن ان يأمر المرأة ان تعود الى زوجها وهي غير راغبة فيه، وإنما قال ذلك بالتعبير (لو) الذي حمل كل تلك المعاني على سبيل الشفاعة لا على سبيل الحتم عليها كما يتجلى في هذه الصيغة حسن الأدب والتلطف في الخطاب بين الأعلى والأدنى.

دلالات أسلوب التحضيض:

1- الحث والحض

وقد تأتي (ألا) في الحديث الشريف لا لتدل على العرض وإنما على الحض والحث، كما في قوله ﷺ للصحابة ﷺ يوم احد عندما اخذ ابو سفيان يرتجز: أعْلُ هبل، أعْلُ هبل فقال ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى واجل. قال ابو سفيان: ان لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا:الله مولانا ولا مولى لكم [3].

وقال ﷺ لعلي وفاطمة (رضي الله عنهما) عندما طرقهما ليلاً: ألا تصلون؟ [4].

---

(1) فتح الباري: 2/490-491 .
(2) نفسه: 2/492 .
(3) صحيح البخاري: 4/80 .
(4) نفسه: 9/131 .

لقد التمس رسول الله ﷺ التحضيض في حديثيه، لما في هذا الأسلوب من التلطف في الطلب، والتأدب في الخطاب، وهذا الأسلوب أجدى من إملاء الحكم بأسلوب الأمر الصريح مراعاة لحال المخاطبين النفسية، ففي الحديث الأول، كانت جراح الهزيمة في تلك المعركة تنزف، ودماء الشهداء تسيل، وكان الشعور بالخيبة التي أصابت النفوس المؤمنة على أشدها، لذلك مالت البلاغة النبوية الى أسلوب يخف وقع ذلك الشعور على النفوس لتتحقق الاستجابة المطلوبة معه.

وجاء الحث على الصلاة في الليل، في الحديث الثاني، بأسلوب التحضيض المحقق قدراً كبيراً من التأثير، فلم يكن القيام بالليل من الفرائض وانما هو نصيحة وحث أراد ان يسديهما رسول الله ﷺ اليهما خصوصاً وهم الأهل والأصحاب، فأراد ان يذكرهما لأن الغفلة من طبع البشر، في أسلوب هو اشد ملائمة لحال المخاطبين النفسية وهو أسلوب التحضيض الذي أثارته الأداة (ألا) [1].

وقد استعملت أداة الاستفهام (هل) في غير معناها الأصلي لتدل على التحضيض والحث في مواضع أظهرتها سياقات الأحاديث الشريفة وإذا استعملت الأداة في غير معناها الأصلي فإنها تضفي على الكلام حيوية وتزيد من الإقناع والتأثير.

ومن هذه الأحاديث الشريفة التي أظهرت تلك الدلالة قوله ﷺ للمتلاعِنين:

" الله يعلمُ ان أحدكما كاذبٌ فهل منكما تائب؟ " [2] ثلاث مرات.

وقال ﷺ لجرير بن عبد الله: " هل أنت مُريحي من ذي الخلصة " [3][4].

لقد سلك رسول الله ﷺ في الحديث الأول سبيل السؤال المثير المحقق قدراً كبيراً من الحض والحث على التوبة من الكذب ولا سيما ان الحديث قد كرر ثلاثاً، تحذيراً من الوقوع في المعصية لأنه لابد وان يكون احد الزوجين الحالفين كاذباً. وذكر العسقلاني ان هذا الحديث ورد بعد فراغهما من اللعان، لذلك حمله على معنى الإرشاد، ونقل عن بعضهم ان ذلك كان قبل اللعان فيحمل على معنى التحذير من الوقوع في المعصية[5] . وسواء ورد الحديث قبل اللعان او بعده فان دلالة التحضيض والحث على التوبة بارزة في سياقه، لما في هذه الصيغة من استدراج للمخاطب

---

(1) جاء التحضيض بصيغة الجمع وهو محمول على ضم من يتبعهما إليهما او للتعظيم او لأن اقل الجمع اثنان . ينظر فتح الباري: 2389/13 .

(2) الخلصة: نصب كانوا يعبدونه في الجاهلية ويسمونه بالكعبة اليمانية، يضاهون به الكعبة، وخص جريراً بذلك لأنه كان في بلاد قومه، وكان هو من أشرافهم . فتح الباري: 8/89-90 .

(3) صحيح البخاري: 49/5 .

(4) فتح الباري: 572/9 .

(5) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: 180، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د. محمد ابو موسى: 295 .

يوقفه على خطأ وقع فيه وانه حري ان يراجع نفسه ويفكر، وفي هذا مبالغة في الطلب آكد وأقوى من صيغة الأمر المعهودة.

ولا تخلو (هل) من معنى التحضيض في الحديث الثاني ايضا، وقد دخلت على جملة اسمية بخلاف أصلها من الدخول على الجملة الفعلية لأن الأولى تدل على معنى أوفى مما تدل على الثانية، وفي ذلك تأكيد في الطلب، وحث على فعله " [1] كما ان استعمال أسلوب التحضيض بدل الأمر طريقة مؤدبة في الخطاب لحمل المخاطب على أمر هو غير ملزم به لما في هذا الأمر من كلفة وعناء قد ينوء بهما، فضلاً عن ان هذا الأسلوب فيه من التودد والامتنان مما لا يشعر فيه المخاطب بشعور المأمور، وهذا عامل نفسي له أثره في اتخاذ القرار والثبات عليه[2].

وقد لا يراد بالهمزة التي تدخل على (لم) التقرير كما هو الحال في اغلب المواضع التي تدخل عليها هذه الأداة، وإنما يراد بها دلالة أخرى وهي التحضيض وقد وردت في الحديث الشريف وهي تحمل هذه الدلالة. من ذلك:

عن عائشة (رضي الله عنها) ان رسول الله ﷺ دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال: " ألم تسمعي ما قال المُدْلِجيَ[3] لزيدٍ وأُسامة – ورأى أقدامهما – ان بعض هذه الأقدام من بعض " [4].

ودخل رسول الله ﷺ على سعد بن عبادة فقال له: " يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب – يريد عبد الله بن أُبيّ – قال كذا وكذا " [5].

لقد حمل التعبير بـ(ألم) دلالة حض السيدة عائشة (رضي الله عنها) على سماع ما قال القائف في زيد وأسامة (رضي الله عنهما) وحثها على ان تشاركه فرحته وسروره وإعجابه بقول القائف، لما تحمله هذه الصيغة من دلالة التعجب[6].

ووشت (ألم) بدلالة التحضيض في الحديث الثاني ايضا عند مخاطبته ﷺ لسعد بن عبادة ﷺ لما قال عبد الله بن أبي، وكان قد قال لرسول الله ﷺ عندما مر بهم في طريقه فدعاهم هو وجماعة معه من المشركين واليهود الى الإسلام وقرأ عليهم القرآن: ايها المرء، انه لا أحسن مما تقول ان كان حقاً فلا تؤذينا في مجلسنا، ارجع

---

(1) وقد امتثل الصحابي لطلب رسول الله ﷺ فنفر اليه في خمسين ومائة فارس فهدموا الصنم وقتلوا من وجدوا عنده . فتح الباري: 88/8 .

(2) هو ابن الأعور جعدة المدلجي، وكان عارفاً بالقيافة، وهو الذي يعرف الشبه ويميز الأثر، ونقل عن أهل النسب انهم كانوا في الجاهلية يقدحون في نسب أسامة لأنه كان شديد السواد، وكان أبوه زيد ابيض من القطن، فلما قال القائف ما قال مع اختلاف اللون، سر النبي ﷺ بذلك لكونه كافاً لهم عن الطعن فيه . فتح الباري: 66/12 .

(3) صحيح البخاري: 229/4 .

(4) نفسه: 50/6 .

(5) البحر المحيط: 297/3، النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبن الأثير: 178/2 .

(6) صحيح البخاري: 50/6 .

الى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه[1] فركب النبي ﷺ دابته وسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ذلك حاضاً إياه على السماع والعلم بما قال ذلك المنافق.

ان التعبير بـ (ألم) وهي تحمل دلالة التحضيض والحث تدل على شدة انفعال المتكلم وإحساسه بمعانيه، فكانت في الحديث الأول مصاحبة لشعور بالفرح والسرور الذي غمر رسول الله ﷺ وهو يحث عائشة (رضي الله عنها) على ان تشاركه تلك المشاعر السارة.

وكان انفعال رسول الله ﷺ في الحديث الثاني ألماً وحزناً لما يلقاه من صد وجفاء من أعداء الله والمنافقين وقد أراد رسول الله ان يخفف عن هذا الحزن وذلك الألم بحض سعد على الاستماع وأعلامه ما حصل.

معاني أخرى مصاحبة للتحضيض:

ووردت (هلاّ) في عدد من الأحاديث الشريفة وهي تحمل دلالة التحضيض – رغم اتصالها بالفعل الماضي- مصاحبة لمعاني أخرى كاللوم والتوبيخ او التنديم او التمني، كما في الأحاديث الشريفة الآتية:

عن أبي حميد الساعدي ﷺ ان النبي ﷺ قال: " ما بال العامل[2] نبعثه فيأتي فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا ياتي بشيء إلا جاء به يوم القيام يحمله على رقبته ان كان بعيراً له رُغاءٌ، او بقرة لها خُوار، او شاة تيعر[3] ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: الا هل بلغت؟ ثلاثاً[4].

(1) كان رسول الله ﷺ قد استعمل رجلاً من بني أسد يقال له ابن الاتبية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا اهدي لي، فذكر الحديث . ينظر فتح الباري: 275/5 .

(2) الرغاء: صوت البعير، اللسان (رغا): 45/19 . الخوار: صوت البقرة، اللسان (خور): 345/5 . اليعار صوت الشاة الشديد، اللسان (يعر): 165/7 .

(3) صحيح البخاري: 88/9 .

(4) الاهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ، اللسان (أهب): 211/1 .

وعن ابن عباس ﷺ ان رسول الله ﷺ مر بشاة ميتة فقال:
" هلا استمتعتم بإهابها [1] " [2].
وقال ﷺ لأبي حُمَيْد[3] عندما جاءه بقدح من لبن من النقيع[4]:
" ألا خمّرته، ولو ان تعرض عليه عوداً " [5].
وعن أبي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: " ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله، الا موضع لَبنة في زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وُضِعَت هذه اللَّبِنة؟ قال فأنا اللَّبِنة، وانا خاتم النبيين " [6][7].

لقد بلغت درجة الإثارة أقصى مداها في الحديث الأول، بعبارة الاستفهام الانكاري (مابال) لأن ما يتعلق به الإنكار ليس حادثاً يرتبط بفرد، وإنما يتعلق بمبدأ عام يحفظ سلوك ولاة الأمور في الرعية، ويحفظ مال المسلمين من غلول الخائنين، ولهذا جمع الصحابة وخاطبهم بصيغة العموم، فلم يخص فرداً معيناً ولم يذكر اسمه، بل تحدث عن أمر شائع، ليعمم الحكم كل من تولى عملاً للأمة. وحدة الانفعال تظهر في أسلوب التحضيض (فهلاّ جلس) التي تحض المخطئ على أن يتدبر حاله إذا اعتزل الولاية فجلس في بيت أبيه وأمه أكان يُهدى اليه ما يدّعي؟ فإذا أجاب نفسه بالنفي – وهو لاشك مجيبها بذلك – استيقن أن ما احتسبه باسم الهدية هو مال المسلمين، وحصوله في يده بسبب ولايتهم وسلطانه عليهم، فيستيقظ ضميره من خديعة جرّه الشيطان بها الى حتفه[8] فيندم على فعلته ولا يكررها.

لقد أفادت (هلاّ) في الحديث فضلاً عن التحضيض معاني التوبيخ واللوم الشديد لهذا العامل لقبوله الرشوة ولكي يزيد من التأثير في السامعين جاءت الجملة الخبرية المصدرة بالقسم (والذي نفسي بيده) إشارة الى ان الأمر خطير في مقام الترهيب ليحترز منه، جاءت بأسلوب القصر الذي يعد ضربا من ضروب التأكيد للمعاني، لأن القصر معناه تخصيص احد الطرفين بالآخر وكون احدهما مختصاً بصاحبه يجعله

(1) صحيح البخاري: 124/7 .
(2) رجل من الأنصار .
(3) النقيع: المحض من اللبن يبرد، اللسان (نقع): 238/10 .
(4) صحيح لبخاري: 141/7 .
(5) نفسه: 226/4 .
(6) ورد الحديث برواية أخرى بصيغة لولا التحضيضية (لولا موضع اللبنة) . ينظر، صحيح البخاري: 226/4 .
(7) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد: 357 .
(8) نفسه: 123 .

ألزم والصق من كونه متصفاً بملابسته اتصافاً مطلقاً[1]. فما أخذه في الدنيا يأتي به يوم القيامة حاملاً إياه على رقبته، وهذا وعيد شديد، وتحذير قوي، لعل المخطئ يرتدع فلا يعود الى تكرار هذا الفعل المنكر مستقبلاً.

وفي الحديثين الثاني والثالث أفادت الأداتان (هلاّ) و (ألاّ) [2] التحضيض ايضا فضلاً عما حملتا من معاني التنديم، إذ جعلتا المخاطب يحس بالندم على ما فاته من عدم الانتفاع بجلد الشاة الميتة، في الحديث الثاني، وعدم تغطية القدح في الحديث الثالث، ولكنهما في الوقت نفسه تحثا المخاطب وتحضاه على القيام بالفعل مستقبلاً، واني لأتخيل انهم بعد ان سمعوا حديث الشاة قاموا فسلخوا الجلد وانتفعوا به، والرجل، في الحديث الآخر إن لم يغط القدح هذه المرة سوف يفعل ذلك مستقبلاً.

وقد عدل عن صيغة الأمر الى صيغة التحضيض لأنها أدل على المبالغة في الحث فاللام المشددة في (هلاّ) تشي بتشديد الطلب والتأكيد عليه، ويقول الجرجاني في معنى (لولا) التي تعمل عمل (هلا) قولك " لولا فعلت كذا فكأنك قلت له: افعل كذا، غير انك قصدت ان لا تأتي بمجرد الأمر، فجنحت الى جانب الحث والتحضيض ".

اما الحديث الثالث فقد وردت (هلاّ) في سياق ضرب به رسول الله ﷺ المثل من اجل تقريب الفكرة للإفهام ولبيان فضله ﷺ، وان الله ختم به المرسلين.

وقد أفادت (هلاّ) في هذا السياق معنى التمني متواشجاً مع معنى الحث والحض على تقبل حقيقة ان رسالة النبي ﷺ خاتمة الرسالات، وبه اكتملت الشرائع السماوية.

(1) وردت (ألاّ) التحضيضة في صحيح البخاري في موضع واحد .
(2) المقتصد في شرح الإيضاح: 86/1 .

الفصل السادس

خطاب التمني وخطاب الطلب بصيغة الخبر

الفصل السادس

خطاب التمني وخطاب الطلب بصيغة الخبر

1- خطاب التمني في الحديث الشريف

أسلوب التمني من الأساليب ذات الوقع والتأثير، لأنه يشف عن رغائب النفوس ومشتهياتها، ويلمح في مواقعه ظمأ الى شيء لا يروى او يستبعد ريه، انه عالم الأحلام تنزع اليه النفس البشرية حين تفوق طموحاتها واقعها المحدود، فتجد في رحابه متكأً آمناً تصوغ فيه أحلامها الحبيسة أمنيات هفهافة وورود رفافة وعبقاً من عالم الشعور والوجدان مضمخاً بالرؤى الهامسة.

والتمني في عالم النبوة له معنى آخر يضاف الى ما ذكر، انه يقصد الى إشراك المخاطب في حديث الروح بهدف توجيهه وإحداث التأثير في فكره وإحساسه، ومن ثم تجسيد هذا التأثير عملاً محسوساً، وسلوكاً قويماً يسمو بالفرد والجماعة الى مستوى الإنسانية التي اعزها الله تعالى وكرمها وفضلها على كثير من خلقه.

التمني في اللغة والاصطلاح

جاء في لسان العرب: " التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون. قال ابن الأثير: " التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه. وقيل: تمنيت الشيء أي قدرته وأحببت إن يصير الي، من المنَىَ وهو القَدَر " [1].

والتمني في إصلاح البلاغيين: هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة[2]. وعرفه العلوي بأنه عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل[3] .

والتمني عند البلاغيين نوع من الإنشاء الطلبي، والفرق بينه وبين أنواع الطلب الأخرى ان " هذه الأنواع تتعلق باللسان والتمني شيء يهجس في القلب يقدره المتمني" [1] .

---

(1) اللسان (منى): 20/163-164 .
(2) شروخ التلخيص: 238/2 ؛ الإتقان: 82/2 ؛ عقود الجمان: 171/1 .
(3) الطراز: 291/3 .

والتمني مما لا يتوقع حصوله لأحد أمرين: اما لكونه مستحيلاً كقوله تعـــالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [2].

ويفرق البلاغيون بينه وبين الترجي من حيث ان التمني يدخل في المستحيلات والترجي لا يكون الا في الممكنات[3] .

والترجي عند البلاغيين ليس من الإنشاء الطلبي لأنه قد يأتي في المكروه نحو: لعل والدي مريض. والمكروه لا طلب فيه، وانما الذي فيه هو مجرد ترقب حصول الشيء[4] .

او هو كما عرفه السيوطي: " ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، ويدخل في الارتقاب الطمع والإشفاق، فالطمع ارتقاب المحبوب، نحو: لعلك تعطينا. والإشفاق ارتقاب المكروه، نحو: لعلي أموت الساعة " [5] .

خطاب التمني في الحديث الشريف

افرد البخاري في صحيحه كتاباً خاصاً سماه (كتاب التمني) [6]، ولكن عند الاستقراء والتدبر تبين لنا ان استعمال رسول الله ﷺ لهذا الأسلوب قليل مقارنة بأساليب الطلب الأخرى، وربما كان ذلك اقتداءً بالقرآن الكريم، إذ يقل استعمال هذا الأسلوب فيه أيضاً، فقد وردت (ليت) فيه أربع عشرة مرة فقط[7]، ويعلل احد الباحثين ذلك، بقوله: " ان ليس التمني بمفيد لمن خالف تعاليم ربه لأن من أطاع ربه وتمسك بحبله المتين، واستوثق العروة الوثقى تتحقق أمانيه " [8] .

وربما شغل الرسول ﷺ واقع الحياة الإسلامية الجديدة وآثر المسلمين عن حاجات نفسه وما تتمناه إلا ما تعلق بأمور الدين والأمة، فلا غرابة إذن ان نجد هذا الأسلوب اقل الأساليب استعمالاً في الحديث الشريف أيضاً.

---

(1) شرح المفصل: 11/9 .
(2) القصص / 79 .
(3) معجم المصطلحات البلاغية: 353/2 نقلاً عن البرهان في علوم القرآن: 323/2 .
(4) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 278 ؛ علم المعاني، درويش الجندي: 235 ؛ البلاغة فنونها وأفنانها: 156 .
(5) عقود الجمان: 170/1 .
(6) ينظر فتح الباري: 269/13-285 . وكان البخاري قد قسم صحيحه الى سبعة وتسعين كتاباً .
(7) الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، هادي عطية مطر: 101 .
(8) نفسه .

أدوات التمني وبلاغتها

الأداة الموضوعة أصلاً للتمني (ليت) [1]، ومعناها تمنيت[2]، ويكون التمني بها بها حقيقياً، وقد يأتي التمني بأدوات أخرى غير ليت ويسمى في هذه الحالة بالتمني البلاغي كما يطلق عليه احد الباحثين[3]. وهذه الأدوات هي: هل ولو ولعل.

التمني بـ (ليت)

لم ترد (ليت) في صحيح البخاري إلا ثلاث مرات وفيما يأتي الأحاديث الشريفة التي وردت فيها:

عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: " أرِقَ النبيُّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقال:

ليتَ رجلاً صالحاً من أصحابي يَحرُسُني الليلةَ، إذ سمعنا صوتَ السلاح، قال: من هذا؟ قال: سعدٌ[4] يا رسولَ الله جئتُ أُحرُسُكَ، فنام النبيُّ ﷺ حتى سمعنا غطيطه[5] غطيطه[5] "[6].

وقال ﷺ: " لا تقومُ الساعةُ حتى يَمرَّ الرجلُ بقبر الرجل فيقولُ: يا ليتني مكانه " [7].

وقال ﷺ أيضاً:

" لا حَسَدَ[8] إلا في اثنتين: رجل علّمه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليل وآناءَ النهار، فسمعَهُ جارٌ له فقالَ: ليتَني أُوتيتُ مثلما أُوتِيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يَعمل. ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يُهلِكه في الحقّ، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أُتِيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يَعمل " [9].

ان تمني الرسول ﷺ في الحديث الأول، في ان يحرسه احد ليس بالأمر المستحيل الذي لا يمكن تحققه، ولكن رغبة الرسول الشديدة في ان يحرسه احد في تلك الليلة، وإحساسه بصعوبة مجيء احد من الصحابة في ذلك الوقت المتأخر من

---

(1) الإيضاح: 131/1
(2) أسرار العربية، الانباري: 148 .
(3) البلاغة الاصطلاحية: 182 .
(4) هو الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ .
(5) الغطيط: الصوت الذي يخرج مع نفس النائم . اللسان (غطط): 237/9 .
(6) فتح الباري: 271/13 .
(7) نفسه: 93/13 .
(8) المقصود بالحسد هنا الغبطة . وأطلق الحسد عليها مجازاً، مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين . شرح الكرماني: 42/2 ؛ فتح الباري: 221/1 ؛ 90/9 .
(9) فتح الباري: 90/9 .

الليل بدليل قول عائشة ﷺ: (ارق النبي) والأرق يعني انه بقي مستيقظاً لفترة ليست بالقليلة من الليل، ثم قولها بعد ذلك (حتى سمعنا غطيطه)، والغطيط يكون غالباً في النوم العميق بعد سهر وتعب، أقول لأجل تلك الحالة وذلك الظرف فقد أحس الرسول ﷺ باستبعاد تحقق طلبه وعدم إمكان وقوعه فمال الى استعمال (ليت) الموضوعة لهذا الغرض. فالبعد في أداة التمني هنا ربما لا يكون بعداً بالنسبة للواقع او العرف او العقل، وانما هو بعد من حيث إحساس النفس به، فقد يغلب على النفس الإحساس باليأس فتستبعد القريب، كما ان شدة الرغبة في تحقق المتمنى توهم انه مستبعد. ولذلك جاء أسلوب الطلب بصيغة التمني في الحديث الشريف معبراً عن حالة نفسية كانت مسيطرة على الرسول الكريم ﷺ آنذاك تمتزج فيها مشاعر الرغبة والترقب والقلق واليأس، وربما لم يتأتى لأسلوب آخر او صيغة أخرى غير التمني كشف هذه المعاني الخفية.

اما الحديث الثاني، فهو طلب غير محبوب خلافاً للأصل، وهو تمني الأمر المحبوب، ويستبعد فيه تحقق الطلب لأنه لا يمكن للحي ان يكون مكان الميت، ولكن فيه إشارة الى سوء الحال وشدة الأمر التي يعانيها الإنسان، فيتمنى الموت بسبب ذلك، ولولا ما هو فيه من انفعال النفس لتلاشى تمنيه او خف عند مشاهدة القبر والمقبور، لإحساسه بوحشة المقام. ويترسخ إحساس المتلقي بضيق هذا الإنسان اليائس عندما يقف في الحديث على اللهفة المكروبة وراء قوله (يا ليتني)، وكيف هيأ لهذه الصرخة الملتهبة بهذا الصوت المنبه واللافت بقوله (يا) وهي أداة تفيد النداء البعيد، ويراد بها التنبيه أيضاً.

وهكذا نجد ان التمني في الحديث مشفوعاً بالنداء لا يراد بهما حقيقة الطلب، وانما قصد بوساطتهما تجسيد حال الإنسان الذي عناه الرسول ﷺ وإشاعة روح الإشفاق والإصلاح في نفس المتلقي، لينأى بنفسه وبمجتمعه عن هذا المصير.

اما التمني، في الحديث الثالث، فهو ليس مستحيلاً، وانما هو في اطار الممكن وعليه يمكن عده ترجيا، وتستعمل له الأداة (لعل) او (عسى)، ولكن شدة حرص الجار وتلهفه ورغبته في ان يكون عاجلاً مثل هذا الذي يتلو القرآن آناء الليل وآناء النهار، في التمني الأول، وشدة رغبة الآخر في ان يملك الأموال سريعاً لينفقها في وجوه الخير كما يفعل صاحبه، في التمني الثاني، جعل المتمني يعتقد ان طلبه في حكم البعيد الذي لا يطمع في تحقيقه، وغلب على نفسه الإحساس بأن هذين العملين (التلاوة والانفاق) في حكم المحال، لذلك اختار التمني بـ (ليت) التي تعبر عن آمال حبيسه ورغبات مكبوتة يصعب تحقيقها، ولو كانت ممكنة فإنها في حسه ووجدانه لا سبيل الى تحقيقها، هذا فضلاً عما تفيده ليت من دلالة التوكيد[1].

(1) ينظر الإتقان: 175/1 ؛ إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج: 606/2 .

وقد يتحقق معنى التمني بغير أداته الأصلية (ليت) فستعمل له أدوات أخرى هي: لو وهل.

التمني بـ(لو):

ووجه استعمالها في المتمنّى انها في الأصل تدخل على الممنوع والمحال، والمحال هو المتمنى كثيراً [1] .

ويذكر الدسوقي ان الدافع للعدول عن التمني بـ(ليت) الى التمني بـ(لو) هو الإشعار بعزة متمناه، اذ أبرزه في صورة ما لم يوجد، لأن (لو) بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع " [2].

فالتمني بـ(لو) يزيد المتمني بعداً، ويبرز شعوراً باللهفة واليأس من تحققه، وتأكيد استحالته او صعوبته. ومن أمثلة استعمال هذه الأداة في معنى التمني في الحديث الشريف قوله ﷺ:

" لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذَهباً ما يسرّني ان لا تمُرَّ عليّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئاً ارصُدُهُ لِدَين " [3] .

" نِعْمَ الرّجُلُ عبدُ اللهِ لو كان يصلّي منَ الليلِ " [4].

" تُفْتَحُ اليَمنُ، فيأتي قومٌ يُبِسُّونَ، فَيتَحمَّلونَ بأهلهم ومَنْ أطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون. وتُفْتَحُ الشامُ، فيأتي قومٌ يُبِسّون، فَيتَحَّملونَ بأهلِهم ومَنْ أَطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون. وتُفْتَحُ العِراقُ، فيأتي قومٌ يبِسّون، فيتحمَّلون بأهلهم ومَنْ أطاعهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَعلمون " [5][6][7] .

فالرسول الكريم ﷺ يتمنى، في الحديث الأول، ان يكون عنده مثل جبل احد ذهباً فلا يمكث عنده منه دينار فوق ثلاث ليال.

إن العدول عن (ليت) الى (لو) في هذا الحديث هو الإشعار بعزة المتمنى حتى أبرزه في صورة ما لم يوجد، فالتمني بـ(لو) يبعد المتمنى أكثر مما تبعده (ليت) وفيه التأكيد على استحالة المتمنى او صعوبته، لأنه لا يمكن ان يمتلك بشر بقدر جبل احد ذهباً وبخاصة في مثل زمن النبي ﷺ ومكانه، لكن الرسول الكريم أومأ بأسلوب التمني

---

(1) عقود الجمان: 171/1 .
(2) حاشية الدسوقي على شرح السعد – شروح التلخيص: 241/2 .
(3) فتح الباري: 318/11 .
(4) نفسه: 50/3 .
(5) البس: ضرب من زجر الإبل، وهو من كلام أهل اليمن، وقيل يبسون أي يسيحون في الأرض، وقيل البس السير الرقيق اللين . اللسان (بسس): 325/7 .
(6) فتح الباري: 111/4 .
(7) لمزيد من الأمثلة ينظر، فتح الباري: 759/6 ؛ 328/10 .

موجهاً الى معنى القناعة والحث على الإنفاق في سبيل الله ورسوله وعدم اكتناز الأموال.

أما في الحديث الثاني، فقد مدح رسول الله عبد الله بن عمر ﷺ بعبارة (نعم الرجل) متمنياً ان يتم فضله بقيام الليل، وذلك لأن شدة رغبة الرسول الكريم في وقوع الصلاة ليلاً، وهي من الأعمال التي تتطلب مواظبة وإرادة قوية وإيماناً يغالب السهر والنصب، كل ذلك كان في إحساس الرسول ﷺ، فأخرج كلامه مخرج التمني معبراً عن الرغبة النفسية الكامنة في القلب تنطلق لتحض عبد الله ﷺ على قيام الليل، ولا ينحصر ذلك في شخص عبد الله، بل يسري الى كل من يتأدب بأدب الإسلام.

أما في الحديث الثالث، فقد أراد رسول الله إن هؤلاء النازحين من المدينة ليتهم كانوا من أهل العلم – تغليظاً وتشديداً – ليعلموا فضل الإقامة في المدينة وما فيها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية العاجلة بسبب الإقامة في غيرها من المدن.

والتمني في هذا المقام بـ(لو) يفيد استبعاد المتمنى أكثر مما تفيده (ليت) فالشيء المتمنى – وهو حصول العلم لهؤلاء الأقوام – ازداد إيغالاً في البعد، وازداد استحالة في التحقق، وذلك لأنه ﷺ يعلم انهم ممن ركن الى الدنيا وطلب المقام الزائل وأعرض عن الإقامة في جوار رسول الله ﷺ، فجرفهم تيار الهجرة، وعليه فإن الحرف (لو) أدل على تصوير هذه الدلالة من أية أداة أخرى.

كما ان تكرار الجملة (لو كانوا يعلمون) خلق جانباً إبداعياً في الأداء، عمل على تعميق البعد الدلالي لأداة التمني، مما اثر في استدامة المعنى في الحديث كله، من اجل تأكيده وتقريره في النفوس. فهذا التمني المتكرر يعبر عن أسف الرسول الكريم وانفعاله وهو يحكي ما سيحدث بعده من هجرة أقوام الى البلاد التي ستفتح، ويعبر عن رغبته الشديدة في إن يعلم هؤلاء النازحون أن المكوث في المدينة أولى لهم.

التمني بـ (هل)

تستعمل (هل) في معنى التمني في الموضع الذي يعلم فيه فقد الشيء، يقول القزويني في قوله تعالى حكاية عن الكفار (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا؟) [1] " فقول القائل: هل لي من شفيع؟ في مكان يعلم انه لا شفيع له فيه لإبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه " [2].

(1) الأعراف / 53 .

(2) الإيضاح: 131/1 ؛ شروح التلخيص: 240/2 ؛ وينظر، الإتقان: 82/2 ؛ البرهان: 321/2 .

وقد وردت (هل) في الصحيح مرة واحدة في معنى التمني، فيما أرى، وذلك فيما حدثنا به أسامة ﷺ قال: اشرف النبي ﷺ على أُطُمٍ[1] من آطامِ المدينة، فقال: " هل ترونَ ما أرى؟ إني لأرى مواقعَ الفِتَنِ خِلالَ بُيوتِكم كمَواقِعِ القَطْرِ " [2].

ان استعمال (هل) في هذا الموضع يحمل دلالة التمني، متآزرة مع دلالة النفي، أي ليتكم – وهذا لا يحصل – ترون ما أرى من كثرة وقوع الفتن في نواحي بيوتكم، لتحذروا منها ولا تخوضوا فيها.

والرؤية المذكورة يحتمل ان تكون بمعنى العلم او رؤية العين بأن تكون الفتن مثلت له حتى رآها، كما ذكر ذلك شارح الحديث[3]، وفي كلا الاحتمالين لا يمكن ان يرى الناس ذلك.

ان البلاغة في استعمال (هل) هي إبراز الأمر المستحيل او الذي يبعد تحققه في صورة المستفهم عنه الممكن الوقوع، لإظهار العناية به والرغبة في وقوعه. ورسول الله ﷺ يعلم يقيناً انه لا يمكن ان يرى الناس ما يراه هو، لأن ذلك من علامات النبوة، ولكنه استعمل (هل) ليلبس الأمل المحال ثوب الممكن الذي يحمل بين طياته الجواب المنتظر المحقق هذا الأمل.

أما (لعل) فلم ترد بمعنى التمني في الحديث الشريف.

هلاّ ولولا

وقد الحق بعض البلاغيين الحروف الأربعة (هلاّ وألاّ ولولا ولوما) بالحرفين (هل ولو) المستعملتين للتمني، دخل عليهما الحرفان (لا وما).

قال السكاكي في معرض ذكره (لو) واستعمالها للتمني: " وكأن حروف التنديم والتحضيض وهي (هلاّ) و (ألاّ) بقلب الهاء همزة، و (لولا) و (لوما) مأخوذة منهما مركبتين مع (لا) و (ما) المزيدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولد منه في الماضي التنديم نحو: هلاّ أكرمت زيداً. وفي المضارع التحضيض نحو هلاّ تقوم " [4].

ويعلق السيوطي قائلاً: " والتنديم أي حمل المخاطب على الندامة، لأنها تفيد حينئذ ندامة المخاطب على عدم فعله في الزمان الماضي، ليفيد التحضيض أي إغراء المخاطب وتحريضه على الفعل في فعل مستقبل انما يعبر بالمضارع كأصله لأن المضارع إذا وقع بعد هذه الأحرف احتمل المضي والاستقبال[5].

---

(1) الأطم: بناء مرتفع . النهاية: 54/1 .
(2) فتح الباري: 117/4 .
(3) نفسه . وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي اخبر عنها ﷺ انها ستقع بعده، وقد وقعت .
(4) مفتاح العلوم: 147-148 ؛ وينظر الإيضاح: 131/1 ؛ شروح التلخيص: 242/2-244 .
(5) عقود الجمان: 173/1 ؛ وينظر شروح التلخيص: 245/2 .

وقد وردت الأداتان (هلاّ ولولا) في الحديث الشريف لتفيد معنى التنديم واللوم متصلة بالفعل الماضي، سواء كان مذكوراً أم مقدراً. وهذه نماذج من تلك الأحاديث الشريفة:

عن ابن عباس ﷺ قال: " وَجَدَ النبيُّ ﷺ شاةً ميتةً 000 فقال:
" هَلاّ انتفَعتم بجلدِها؟ ... " [1] .

وقال ﷺ لجابر بن عبد الله ﷺ عندما علم انه تزوج ثيباً فقال له:
" ... هَلاّ جاريةً تلاعبُها وتُلاعِبُك؟ [2] " [3].

وقال ﷺ لمعاذ ﷺ:
" يا مُعاذُ، أفتّانٌ أنت؟ (ثلاث مرات) فلولا صلّيتَ بسبّحِ اسم رَبِّكَ والشمسِ وَضُحاها والليلِ إذا يَغشى، فأنه يُصلِّي وراءَكَ الكبيرُ والضعيفُ وذو الحاجة " [4].

وقال:
" مَثَلي ومَثلُ الأنبياء كرجلٍ بَنَى داراً فأكمَلَها وأحسَنَها، إلاّ مَوضِعَ لَبِنةٍ، فَجَعلَ الناسُ يَدخُلونها ويتَعَجّبون ويقولون: لَولا مَوضِعُ اللَّبِنة[5] "[6].

ففي الحديثين الأولين أفادت (هلاّ) التنديم في عرف أصحاب المعاني والنحو. فليس الغرض من التركيب إذاً التمني فقط بل معانٍ أخرى تتولد بوساطته وتستشف من السياق منها جعل المخاطب نادماً على ما فاته من فعل كان ينبغي إن يفعله، لما فيه من الحكمة المقتضية للفعل وتعليم الآخرين، وحثهم على العمل بمضمون الحديث، إذ إنّ من معاني (هلاّ ولولا) الحض والحث، وهذا ما ذكره الجرجاني في سياق حديثه عن (لولا) التي تعمل عمل (هلاّ) فقال: " قولك (لولا فعلت كذا) فكأنك قلت له: افعل كذا، غير انك قصدت أن لا تأتي بمجرد الأمر فجنحت الى جانب الحض والتحضيض " [7] .

إن اختيار هذه الأداة والعدول عن صيغة التمني المباشر. خلق صورة فنية متميزة، وضعت قبالة المخاطب تتفيأ في ضلالها دلالات اللوم والتنبيه والترغيب فضلاً عن التمني، فهي بلا شك أكثر إثارة لذهنه، وأمضى أثراً في نفسه.

وما قيل في (هلاّ) آنفا يقال في (لولا) التي جاءت في الحديث الثالث والرابع، حاملة بمساعدة القرائن وسياق الكلام معنى التنديم واللوم، فقد وردت في الحديث

---

(1) فتح الباري: 453/3 .
(2) نفسه: 151/9 .
(3) ينظر المعنى نفسه في فتح الباري: 275/5 .
(4) نفسه: 255/2 .
(5) نفسه: 693/6 .
(6) ينظر هذا المعنى أيضاً في فتح الباري: 539/3 .
(7) المقتصد في شرح الإيضاح: 86/1 .

الثالث تلوم معاذاً على قراءته السور الطوال في الصلاة مما يثقل على الكبير والضعيف، وتحضه على قراءة السور القصار تخفيفاً عن المصلين، وفي هذا توجيه وإرشاد لعامة المسلمين.

ووردت (لولا) في الحديث الرابع في سياق صورة تشبيهية تواشجت معها لرسم لوحة نابضة بالحياة تعبر بفنية واقتدار عن معنى الرسالة الإسلامية وجوهر الدين، ذلك إن الدين الإسلامي جاء متمماً للأديان السماوية السابقة وليس نقيضاً لها، وأهميته جاءت من سد ثغرة كانت كأنها عيب بين في الدار ينتقص من حسنها، ولابد لإتمام الحسن والكمال من إصلاح الخلل.

وهكذا تتجلى البلاغة النبوية في تجسيد المعاني الإسلامية، وتقريب الأفكار والأغراض ليحسن وقعها في إفهام المتلقين، ووجدانهم وخيالهم، فيزدادوا بها إعجاباً وقناعة ويعملوا على هديها القويم.

مما تقدم تبين أن الأداتين (هلاّ ولولا) تفيدان معنى الطلب والحث على العمل فضلاً عن التنديم واللوم، بغض النظر عن دخولهما على الفعل الماضي او المضارع كما ذهب النحاة وتبعهم البلاغيون، وان الذي يحدد دلالتهما هو سياق النص وقرائن الأحوال، وهذا من ثمار علم المعاني الذي يعنى بالكشف عن المعنى ومعنى المعنى.

التمني بالفعل (ود)

وقد يفيد لفظ الفعل (ود) معنى التمني. قال الراغب[1]: " قد يتضمن التمني معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما توده، والود هو محبة الشيء وتمني كونه " ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [2] بمعنى تمنت.

وقد استعمل الرسول ﷺ الفعل (وددت) في مقام التمني في حديثين هما:

" والذي نفسي بيدهِ، لَوَدِدْتُ أني أُقتَلُ في سبيل اللهِ ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتلُ ثم أُحيا، ثم أُقتل " [3].

" يرحَمُ اللهُ موسى، لَودِدْنا لو صَبَر حتى يُقَصُّ علينا مِن أمرهِما " [4].

لقد تمنى رسول الله بالفعل (وددت)، في الحديث الأول، ان يقتل في سبيل الله ثم يحيا (ثلاث مرات) ثم يقتل بعدئذ ليظفر ويفوز بالجنة، وهذا التمني من نوع طلب المستحيل، لأن الرسول ﷺ يعلم انه لا يمكن ان يقتل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن: 553 .
(2) آل عمران / 69 .
(3) فتح الباري: 19/6 .
(4) في حديث طويل يحكي قصة موسى مع (الخضر) عليهما السلام المذكورة في سورة الكهف . ينظر فتح الباري: 291/1 .

﴿يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [1]، ولكن الرسول عمد الى التمني هنا ليؤدي به معنى ثانياً ويعمق دلالة يفيدها السياق، وهي تسلية الخارجين في الجهاد، وإذكاء حماس المخاطبين وترغيبهم في المشاركة، وكأنه قال: الوجه الذي يسير له المجاهدون فيه من الفضل ما أتمنى لأجله ان اقتل مرات، نعم، يكفي الشهيد فضلاً ان يكون حياً عند ربه وتكون الجنة مثوى أبدياً له.

وورد الفعل (ود) مقترناً بـ(لو) [2] ويفيد التمني أيضاً، في الحديث الثاني، فقد استحضر رسول الله من خلال التعبير (لوددنا لو) معنى التمني، إذ تمنى ان يكون النبي موسى عليه السلام قد صبر على فعل الرجل الصالح (الخضر) عندما صحبه، ليتبين أمره ويقصه على الملأ، ولكن الصبر لم يتحقق في حينه، وانقضى زمنه فصار طلبه من قبيل تمني المستحيل.

ولم تقف دلالة التعبير عند حد التمني حسب، وانما يلمح المتلقي دلالة ابعد هي الحث على الصبر، فإنه ينبئ بالحكمة والموعظة الحسنة.

هكذا رأينا أن كل جملة من جمل التمني تتميز بمعنى معين بحسب الأداة التي تتصدرها، والأداة هي الحالة التعبيرية لأول ومضة في فكر المتكلم حين ينطق بالجملة.

كما إن اختيار أداة والعدول عن أخرى يفصح عن أن لكل أداة دلالة تعبيرية تفتقر اليها الأخرى، وهذه الدلالة تكشف عنها بنية السياق.

2- خطاب الطلب بصيغة الخبر

النكت البلاغية في دلالة الخبر على الطلب

إن الأسلوب الطلبي كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبري فيذكر احدهما في موضع الآخر، فيخرج الطلب مخرج الخبر، ولكن لا يراد به، ما يراد بالخبر من مرام وأغراض كإفادة المخاطب بمضمون الخبر، او لازم الفائدة، او أغراض مجازية يخرج اليها الخبر مما ذكرها البلاغيون في مباحثهم[3]، وانما يراد به دلالته الإنشائية الطلبية مما ذكرناه في البحث. ويقع هذا التبادل بالأساليب لأسباب قائمة في المتكلم وذهنه، ونكت أسلوبية يستدعيها الموقف والحال، وقد أشار اليها

(1) لمائدة / 67 .

(2) تحمل (لو) هنا على معنى المصدرية، يقول ابن هشام: " ولا تقع (لو) المصدرية غالباً إلا بعد مفهم تمن نحو (ود او يود) . مغني اللبيب: 265/1، وينظر، معاني القرآن للفراء: 175/1 ؛ شرح ألفية ابن مالك، لأبن الناظم: 709 .

(3) ينظر: مفتاح العلوم: 79 وما بعدها ؛ الإيضاح: 17/1-21 ؛ التلخيص 40-43 .

السكاكي في قوله: " ولا يصار الى ذلك – يعني إخراج الطلب مخرج الخبر – إلا لتوخي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع الى دربة في نوعنا هذا " [1] .

وقد أشار العلوي الى جانب من هذه النكت في قوله: " قد ترد صيغة الخبر والمقصود بها الإنشاء اما لطلب الفعل واما لإظهار الحرص على وقوعه " [2]، ويرى في هذا الاستعمال مبالغة لأنه يوحي بالدوام والاستمرار بخلاف عكسه، وهو استعمال الإنشاء بمعنى الخبر، فليس فيه مبالغة، وانما يرد على جهة الندرة[3] .

ومن النكت الأخرى التي يضيفها البلاغيون [4] في دلالة الخبر على الطلب:

1. التفاؤل بالوقوع، فالطالب إذا زاد حرصه على تحصيل ما يطلب، ربما يخيل اليه غير الحاصل حاصلاً على جهة التفاؤل، كما يقال في الدعاء: (غفر الله لك) باستعمال لفظ الماضي تفاؤلاً على انه حاصل فاخبر عنه، فهو ابلغ من (ربي اغفر له).
2. الاحتراز عن صيغة الأمر تأدباً مع المخاطب واحتراماً له، كقول القائل: ينظر مولاي في أمري، بدلاً من: انظر في أمري.
3. حمل المخاطب على تحقيق المطلوب بألطف وجه، كما في قولنا أنت تزورنا غداً، فإنه ألطف من قولنا: زرنا غداً.
4. تنبيه المخاطب على وجوب الامتثال، يقول الزمخشري في التعليق على أسلوب الخبر (تؤمنون وتجاهدون) المراد به الطلب في الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [5]: " للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين " [6].
5. تأكيد الطلب وإشعار المخاطب بالمسارعة في التنفيذ، يقول الزركشي: " وهذا النوع فيه تأكيد، وهو مجاز التشبيه، شبه الطلب في تأكده بخبر الصادق الذي لابد من وقوعه، واذا شبهه بالخبر الماضي كان آكد " [7] . ويقول في موضع

(1) مفتاح العلوم: 154 .
(2) الطراز 293/3 .
(3) نفسه: 294/3 .
(4) ينظر، مفتاح العلوم: 154-155 ؛ الإيضاح: 146/1-147 ؛ شروح التلخيص: 338/2-340 .
(5) الصف / 10، 11 .
(6) الكشاف: 100/4 ؛ وينظر: 365/1 .
(7) البرهان 289/2-290 .

آخر: " انما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته، وانه مما ينبغي ان يكون واقعاً ولابد " [1].

والذي يدل على ان الخبر يحمل معنى الطلب سياق الكلام ومقتضيات الأحوال، ويقول الزركشي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [2]: " ان السياق يدل على ان الله تعالى أمر بذلك ؛ لا انه خبر، وإلا لزم الخلف في الخبر " [3] .

خطاب الطلب بصيغة الخبر في الحديث الشريف

ومن استقراء الأحاديث الشريفة تبين ان هناك تراكيب خبرية تنطوي دلالتها على الطلب. وأكثر ما ورد ذلك في معرض الدعاء، تأدباً مع المولى – عز وجل – وثقة بالاستجابة وقوة الرجاء في حصول الطلب، فكأن الدعاء قد أجيب فأخبر رسول الله عنه. من ذلك قوله ﷺ:

" رحمَ اللهُ موسى، لقد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصَبر " [4] .

(1) نفسه: 349/3 .
(2) البقرة / 228 .
(3) البرهان: 320/2 .
(4) فتح الباري: 583/10 .

" أسلَمُ سالمها الله، وغِفارُ غَفَرَ اللهُ لها " [1] .
" لَعنَ اللهُ الواصِلةَ والمسْتَوْصِلة " [2].
" لعنَ اللهُ السارقَ 000 " [3] [4].

وقد ترد صيغة الخبر أحياناً في الحديث الشريف، ولكن لا يراد بها الدعاء، وانما دلالة الأمر الحقيقي من الوجوب والإلزام او إحدى معانيه الثانية كالتأديب والإرشاد وغيرها.

فمن الأول قوله ﷺ في إفطار الصائم :

" إذا أقْبلَ الليل من هاهنا، وأدْبَرَ النهارُ من ها هنا، وغَربتِ الشمسُ، فقد أفطَرَ الصائمُ " [5] .

ومن الثاني قوله ﷺ:

" يُسَلِّمُ الصغيرُ على الكبير، والمارُّ على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ "[6] .

وقال ﷺ عندما سأله رجل: أَيُّ الإسلام خيرٌ؟

" تُطْعِمُ الطّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِف " [7] .

فالجمل الفعلية (فقد افطر الصائم) في الحديث الأول و(يسلم الصغير على الكبير) و (تطعم الطعام، وتقرأ السلام) في الحديثين الثاني والثالث خبرية في بنائها التركيبي، ولكنها في دلالتها تحمل معنى الأمر. وعدل عن صريح الأمر الى الخبر لما لهذا الأسلوب من توكيد وإشعار بأن هذه الأوامر قد تحققت.

كما لا يخفى ما لهذا الأسلوب من ترفق وتلطف ولين في التعامل بحيث لا يشعر معه المخاطب بشعور المأمور، وهذا يعمل على استمالته الى الأمر الذي يوجه اليه وتحبيبه به فتتحقق سرعة الامتثال ومن ثم التنفيذ، وهذا هو هدف الكلام ومراده، يقول احد الباحثين: " ربما تظهر سرعة الامتثال في الفعل المضارع دون الأمر، باعتبار ان المضارع يدل على الحال بخلاف الأمر فإنه يدل على الاستقبال ومن ثم تتحقق سرعة الامتثال في التعبير بالجملة الخبرية بدلاً من الجملة الإنشائية " [8].

---

(1) نفسه: 672/6 . واسلم وغفار قبليتان كانت لهما قوة ومكانة في الجاهلية، وخصهما رسول الله بهذا الدعاء لأن غفاراً اسلموا قديماً، واسلم سالموا النبي . فتح الباري: 626/2 .
(2) نفسه: 457/10 . والواصلة التي تصل شعورها بشعر آخر زور، والمستوصلة التي تأمر من يفعل بها ذلك . النهاية: 192/5 .
(3) نفسه: 96/12 .
(4) وللاستزادة ينظر، فتح الباري: 340/2 ؛ 257/3، 334 ؛ 55/5، 456؛ 101/6، 512 ؛ 21/7 ؛ 164/9، 641 ؛ 741/10 ؛ 164/11، 232، 269 .
(5) نفسه: 245/4 .
(6) نفسه: 18/11 .
(7) نفسه: 76/1 .
(8) فن البلاغة، د. عبد القادر حسين: 269 .

ومثل هذا التعبير يرد في أحاديث أخرى[1] يرفدها بدلالات ومعان تتساوق لتحقق الغرض الذي تنشده من الفائدة والإقناع والتأثير.

(1) ينظر، فتح الباري: 142/1 ؛ 185/5 ؛ 415/6 ؛ 762/9 ؛ 407/13 .

الخاتمة

بعد هذا الطواف في رحاب البلاغة النبوية في أساليبها الطلبية خلص البحث الى نتائج، منها ما هو مفصل في متنه، ومنها ما هو عام، وسنذكر ذلك مجملاً على النحو الآتي:

1. لقد احتل أسلوب الطلب مساحة واسعة في حجم بنية الحديث الشريف، وكان من الأساليب التي تغزو كل طاقات النفس، ومنافذ الحس، وروافد الفكر، بقدر معلوم مناسب كما وكيفاً، لاختلاف الحالات والمناسبات، فالمخاطبون قوم كانت حساسيتهم للكلمة مرهفة جداً، فهي تهزهم هزاً وتصل الى مواطن السر تزلزلها، فكان حديث رسول الله ﷺ اليهم بأسلوب طلبي ملائم، وسيلة تأثير نفسي من اجل ان يجعل منهم بشراً آخرين بالملامح ذاتها، ولكن بقلوب مختلفة مؤمنة بالله تعالى، وبرسله، وبالإسلام عقيدة وسلوكاً.
2. تكفل الأسلوب الطلبي في الحديث الشريف ببيان الصيغ العامة للتعبير، واشتمل على ما تؤديه هذه الصيغ من معان أصلية تستفاد من أصل الوضع المتعارف عليه لتلك الصيغة، ومن معان أخرى هي صور وأشكال قائمة على ملاحظة الأصل، ومراعاة السياق وقرائن الأحوال، فأدوات الطلب وصيغه لا تؤدي بمفردها معنى، وانما سياقات الحديث وإيحاءات الجملة هي التي تضفي على الأداة او الصيغة دلالتها المقصودة فتوحي بأنها جاءت للإرشاد او التحذير او الزجر او التعجب.
3. ان هذه المعاني غير محددة، وانما متنامية تتعدد وتتباين بحسب طريقة التفكير وكيفية التعامل مع اللغة، بل أجد أننا مع كل قراءة جديدة للنص النبوي تلوح لنا دلالات جديدة، وأغراض دقيقة كادت تخفى علينا، في حين كانت المعاني الأولى محدودة مقيدة بالمنطوق اللفظي للتراكيب، وبالأوضاع النحوية التي ترتبط بالدلالات المباشرة للجمل.

4. هناك أغراض ومعان وردت في الحديث الشريف لم يشر اليها البلاغيون في كتبهم، وهذا يؤكد ان المعاني الثانية للكلام لا يمكن حصرها، لأنها معان شعورية او عقلية يثيرها المقام او الموضوع او المخاطب.
5. لوحظ من خلال الدراسة ان عدداً كبيراً من الأحاديث النبوية يفيد مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة، يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية، فقد يتواشج معنيان او أكثر في نسيج الطلب وسياقه، ولهذا يمكن ان نجد اختلافاً في تسمية هذا المعنى او تعيينه من قارئ لآخر، لأنها أمور ذوقية نفسية متقاربة.

6. اعتمد الأسلوب الطلبي غالباً على الأسلوب الإيحائي بضرب المثل، واستخدام الصور الفنية، كالتشبيه او الاستعارة او الكناية، وسيلة لتجسيد وتشخيص المعنى المقصود، وترسيخ دلالته، ولاشك ان الصورة أوقع فعلاً في النفس، وأعمق تأثيراً في ذات المتلقي، فهي تتميز عادة بقوة الإيحاء وعرض الفكرة عرضاً حيوياً متجدد الدلالات والمعطيات. ومن هنا جاءت أساليب الطلب في ظل الصورة او مقترنة بها، أكثر فاعلية في نفس المتلقي، وأمضى أثراً في استجابته ومن هنا يتحقق الإقناع والتأثير.
7. لوحظ ان الأحكام التي تساق في إطار إنشائي: أمراً كان او نهياً او استفهاماً او نداءً، هي أحكام فيها من الخطورة والجسامة، ما اقتضت ان يعدل ﷺ في إبلاغها عن الخبر الى الإنشاء، لما فيه من تحريك للأذهان وإثارة للانفعالات، من اجل ان تتحفز كل حواس الإنسان الى تلقي هذه الأحكام والامتثال لها والانصياع الى تنفيذها من دون تردد او تمهل، وغالباً ما تكون العقيدة الإسلامية وفرائضها محور هذه الأحكام، لذلك كانت أساليب الطلب وسيلة توصيل ناجعة مؤثرة.
8. ان لكل أداة ولكل صيغة في الحديث الشريف دلالة تعبيرية خاصة تفتقر اليها الأخرى، وهذه الدلالة تكشف عنها بنية السياق، وان اختيار أداة او صيغة دون أخرى في حديث ما يفصح عن غاية بلاغية يقتضيها المقام ومقتضيات الأحوال، فمثلاً كان يوجه الأمر بصيغة (افعل) عندما يتطلب الموقف حسماً سريعاً، او يوجه بصيغة الفعل المضارع المتصل بلام الأمر (ليفعل)، التي ترد غالباً ضمن مضامين شرطية، عند إرادة تعميم حكم من الأحكام. أما حين يتطلب الموقف المبالغة في المعنى او الاختصار في الكلام فيلجأ الى صيغة المصدر النائب عن فعله او صيغة (أسماء الأفعال)، وهكذا لكل موقف صيغة، ولكل حال لبوسها.
9. يعقب الأمر في الحديث غالباً ببيان علته في أسلوب اخباري مقنع، مؤكد، مما يزيد الحث عليه، والترغيب فيه، او التنفير منه والتحذير من الوقوع في مزالقه. وأحياناً قد يمهد للأمر بأسلوب إخباري تقريري من اجل تهيئة الأذهان والتمهيد لتلقي الطلب.
10. يوجه النهي في الحديث الشريف الى الغائب كما يوجه الى المخاطب، مؤكداً بالنون الثقيلة، في المواقف التي تتطلب قدراً اكبر من الحسم والردع، للتنبيه على خطورة الأمر، وعظم شانه، ولكي يقر في أذهان المخاطبين ونفوسهم الانتهاء عنه.
11. كان الاستفهام في الحديث الشريف غالباً وسيلة إثارة وتشويق وجذب الانتباه للإصغاء، والإقبال على متابعة الحديث عن طريق الحوار، وفي هذا يكون

الذهن أكثر تفتحاً وتجاوباً، والنفس أقوى رغبة وتلهفاً الى الاستماع، وأكثر ما يكون ذلك في أمور التعليم والإرشاد والتقرير.

12. تتواشج أساليب لطلب فيما بينها تواشجاً عجيباً في الحديث الشريف، فقد يتقدم النداء الأمر او النهي او الاستفهام، وكأنه إعداد النفس وتهيئتها لهذا الطلب، وأحياناً تتأخر جملة النداء عن جمل الطلب لحضه بهذا الطلب، وكل يجري وفقاً للمعايير الأسلوبية المعتمدة في العربية، ووفقاً لمقتضيات الأحوال.
او قد يتعاقب الأسلوبان الطلبيان، الأمر والنهي، في سياق واحد، من اجل تأكيد المضمون في نفس المخاطب.

13. ليس الغرض من التمني في الحديث الشريف مجرد موافقة الخاطر او الترويح عن النفس او الغناء بالأحلام البعيدة، كما يحدث لنا نحن البشر، وانما يهدف التمني في عالم النبوة الى معنى مختلف، وهو توجيه المخاطب وإحداث التأثير في فكره وإحساسه، ومن ثم تجسيد هذا التأثير عملاً محسوساً وسلوكاً قويماً، يسمو بالفرد والجماعة الى مستوى الإنسانية التي اعزها الله تعالى وكرمها وفضلها على كثير من خلقه.
وهذا الأسلوب اقل الأساليب الطلبية استعمالاً في الحديث الشريف.

14. لوحظ ان الأداتين (هلاّ ولولا) حملتا دلالة الحث والتحضيض، بغض النظر عن صيغة الفعل الداخلة عليهما، وقد زاحمت هذه الدلالة المعنى الأصلي وهو التنديم واللوم، استناداً الى عناصر المعنى والسياق.

15. اما الطلب بصيغة الخبر فأكثر ما ورد فيه من المعاني هو الدعاء ثقة بالاستجابة وتفاؤلاً بحصول المطلوب، أمل نفسي ومطمع قلبي، فكأن الرغبة في التحقق تسبق الدعاء.

16. يلجأ الرسول ﷺ الى التكرار في الأسلوب الطلبي في أحيان كثيرة، من اجل لفت انتباه السامع، وتأكيد المعنى الدلالي لهذا الأسلوب او ذاك.

وبعد، فإن كانت هذه الدراسة لم تحقق الطموح الذي تبتغيه، فيكفيها فخراً انها حاولت اقتحام عالم الحديث النبوي، والتعامل مع أسلوبه الرفيع. ومعروف ان الدراسات الأسلوبية اليوم من أدق الدراسات وأصعبها، واني لأرجو ان تكون هذه الدراسة تمهيداً لدراسات أخرى في بلاغة الحديث النبوي تكون أعمق واشمل. فالحديث الشريف ارفع أنماط القول البشري، وأسلوبه من أسمى أساليب التعبير العربي، تفردت صيغه بالأحكام والدقة، ومعانيه بالحكمة والعمق، فكانت فيضاً من الحقائق والتجارب رسخت للفرد والجماعة أصول حياة كريمة.

المصادر

- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1982م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973م.
- اثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر.
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن احمد بن حزم الأندلسي، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1980م.
- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، تحقيق احد الأفاضل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1967م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، 1959م.
- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، مصر، 1963م.
- إرتشاف الضرب من لسان العرب، ابو حيان الأندلسي، تحقيق د. مصطفى احمد النحاس، ط1، القاهرة، 1987م.
- إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.
- أساس البلاغة، الزمخشري، دار مطابع الشعب، القاهرة، 1960 م.
- أساليب الاستفهام في القرآن، عبد العليم فودة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة.
- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، د. صباح عبيد دراز، ط1، مصر 1986م.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، 1979م.
- أساليب بلاغية، د. احمد مطلوب، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، 1989م.
- أساليب النفي في القرآن، د. احمد ماهر البقري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1989م.
- أسرار العربية، أبو البركات الانباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق، 1957م.

- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م.
- الأسلوب والأسلوبية، كراهام هاف، ترجمة كاظم سعد الدين، سلسلة كتب آفاق، العدد (1)، 1985م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1359هـ.
- الأصول في النحو، أبو بكر ابن السراج البغدادي، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، بغداد، 1973م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه، منشورات دار الحكمة، دمشق.
- إعراب القرآن، أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، بغداد، 1977م.
- إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج، تحقيق إبراهيم الابياري، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1964م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط3، بيروت، 1969م.
- الألسنية العربية، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
- الأمالي الشجرية، أبو السعادات هبة الله بن حمزة العلوي بن الشجري، دار المعرفة، بيروت.
- الانصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الانباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط4، 1961م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة المثنى، بغداد.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مكتبة ومطابع النصر الحديث، الرياض، د.ت.
- البديع، عبد الله بن المعتز، منشورات دار الحكمة، دمشق.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، ط1، بغداد، 1967.
- البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987م.
- البلاغة العربية، د. احمد مطلوب، ط1، الجمهورية العراقية، 1980م.

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.
- البلاغة عند السكاكي، د. احمد مطلوب، ط1، بغداد، 1964م.
- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط2، 1989م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، د. محمد حسنين أبو موسى، دار لفكر العربي.
- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
- البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، ط1، الجمهورية العراقية، 1982م.
- البيان العربي، د. بدوي طبانة، ط5، بيروت، 1972م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للجميع، 1968م.
- تأويل مختلف الحديث، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، 1972م.
- التبصرة في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم الفيروز آبادي، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر، 1980م.
- التراكيب اللغوية في العربية، دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، بغداد، 1987م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- التصور اللغوي عند الأصوليين، السيد احمد عبد الغفار، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط1، 1981م.
- التطور النحوي للغة العربية، بجشتراسر، القاهرة، 1929م.
- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، بغداد، 1987م.
- التعريفات، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، الدار التونسية، 1971م.
- تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة، تحقيق احمد صقر، دار إحياء التراث، ط1، 1984م.
- التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، 1981م.

- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط2، 1932م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة، مراجعة علي محمد البجاوي، الدار المصرية.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الأثير الجزري، تحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، 1956م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو اوس إبراهيم الشمسان، ط1، 1981م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق طه محسن، دار الكتب، جامعة الموصل، 1976م.
- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1973م.
- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986م.
- حروف المعاني، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الأردن، ط1، 1984م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1981م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952م.
- خصائص التراكيب، دراسة تحليلة لمسائل علم المعاني، الدكتور محمد أبو موسى، دار التضامن، القاهرة، ط2، 1980م.
- دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، 1970م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- دراسة في لغة الشعر، رؤية نقدية، د. رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الاسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1973م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1979م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني،احمد بن عبد النور المالقي، تحقيق احمد محمد الخراط، دمشق، 1975م.
- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1953م.
- شرح الاشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مصر 1955م.
- شرح ألفية ابن مالك، أبو عبد الله، بدر الدين بن محمد المعروف بابن الناظم، تحقيق عبد الحميد السيد، دار الجيل بيروت.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، عيسى البابي الحلبي.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هاشم الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط11، القاهرة، 1963م.
- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت.
- شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، ويتضمن:
  أ- مختصر سعد الدين التفتازاني.
  ب- مواهب الفتاح لأبن يعقوب المغربي.
  ج- عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي.
  د- الإيضاح للقزويني.
  هـ - حاشية الدسوقي على شرح السعد.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابو الحسين احمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت، 1963م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.
- صحيح البخاري، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- صحيح البخاري بشرح الكرماني، ط2، مصر، 1939م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1954م.
- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، ط2، 1981م.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، علي بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، د. احمد احمد بدوي، مكتبة مصر، القاهرة.
- عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط2، مصر، 1955م.
- علم الأصوات، بارتيل مالمبرج، تعريب د. عبد الصبور شاهين، مطبعة التقدم، القاهرة، 1985م.
- علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982م.
- علم اللغة العام – الأصوات – كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط4، 1975م.
- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت.
- علم المعاني، درويش الجندي، دار النهضة، مصر.
- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م.
- علم المعاني، د. قصي سالم علوان، جامعة البصرة، 1985م.
- علم المعاني، بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، د. محمد حسين علي الصغير، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
- علم النفس اللغوي، د. نوال محمد عطية، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1975م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبي محمد محمود بن احمد العيني، تحقيق شركة من العلماء، مصر.
- الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ط2.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989م.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، د. رجاء عيد، منشأة المعارف، ط2، الإسكندرية.
- في الأدب والنقد، د. محمد مندور، ط1، القاهرة، 1949م.
- في البنية والدلالة، د. سعد أبو الرضا، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- في التحليل اللغوي، د. خليل احمد عمايرة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1987م.
- في النحو العربي، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، د. مهدي المخزومي، ط1، مصر، 1966م.
- في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ط1، بيروت، 1964م.

- في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت.
- قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، د. عبد السلام المسدي، الشركة التونسية، 1984م.
- قواعد الشعر، أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب، تحقيق د. رمضان عبد التواب، دار المعرفة، القاهرة، 1966م.
- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة، مصر.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، القاهرة، 1988م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1971م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- الكليات، أبو البقاء الكفوسي، إعداد د. عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، ج1، 1974م، ج2، 1975م.
- لحظة الأبدية، دراسة الزمان في أدب القرن العشرين، سمير الحاج شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980م.
- لسان العرب، ابن منظور، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
- لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1981م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوئيل عزيز، سلسلة المئة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق احمد الحوفي ود. بدوي طبانه، دار الرفاعي، الرياض، ط2.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق محمد فؤاد سزكين، ط2، بيروت، 1981م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءآت والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1966م.

- مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازاني، مطبعة عطايا، مصر.
- المدخل الى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية، د. عبد المجيد عابدين، مطبعة الشبكشي بالأزهر، القاهرة، 1951م.
- مدخل الى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، دار العلوم، الرياض، ط1، 1982م.
- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، ط1، مصر، 1322هـ.
- المصباح في علم المعاني، جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1911م.
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د. فتحي احمد عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1976م.
- معاني الحروف، أبو الحسن الرماني، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1973م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، المكتبة الأموية، ط4، 1983م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980م.
- معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الاخفش، تحقيق د. فائز فارس، ط2، الكويت، 1981م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، بيت الحكمة، بغداد.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، 1970م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، 1983م.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1987م.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ط1، مصر، 1937م.
- المفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الجبل، بيروت، ط2.

- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، 1982م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- من بلاغة القرآن، احمد احمد بدوي، دار النهضة، مصر، 1950م.
- من بلاغة النبوة، د. عبد القادر حسين، دار الثقافة، قطر، ط3، 1986م.
- من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن خوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981م.
- نحو القرآن، د. احمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1974م.
- نحو المعاني، د. عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1987م.
- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي، الخانجي، مصر، 1980م.
- نظرية المعنى في النقد العربي، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1981م.
- النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحققي طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
- الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، الدار العربية، بغداد، ط6، 1977م.

البحوث في الدوريات والرسائل الجامعية

- أسلوب النداء ونظرية العامل: د. عبد الحسين الفتلي، مجلة الجامعة المستنصرية، العدد الرابع، السنة الرابعة، 1974.
- الأسلوبية والنقد الأدبي: عبد السلام المسدي، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، السنة الثانية، العدد الأول، 1982م.
- اللهم – رؤية جديدة في الصيغة والإعراب: د. سلمان القصاة، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، البحوث الإنسانية والتربوية، العدد الحادي عشر، 1991م.

- الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية: د. سمير شريف ستيتية، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، 1989م.
- البحث النحوي عند الأصوليين: محسن بن العربي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، العدد (24)، 1985م.
- التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ: د. محمد عبد المطلب، مجلة فصول (شوقي وحافظ)، المجلد الثالث، الجزء الثاني، العدد الثاني، 1983م.
- خطبة الوداع، دراسة بلاغية تحليلية د. جليل رشيد فالح، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الثالث عشر، 1981م.
- مظاهر التفكير في الأسلوب عند العرب: محمد الهادي الطرابلسي، كراس سلسلة الدراسات الأدبية 2، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1990م.
- مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني: د. نصر أبو زيد، مجلة فصول (الأسلوبية) المجلد الخامس، العدد الأول، 1984م.
- المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي: د. خليل عودة، مجلة النجاح للأبحاث، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، المجلد الثاني، العدد الثامن، 1994م.
- نداء المخاطبين في القرآن: د. علي عبد الواحد وافي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثامن، 1978م.
- نقد الأسلوب من علم البلاغة الى علم الأسلوبيات، نحو نقد أسلوبي انثروبولوجي – تواصلي، د. مازن الوعر، جامعة دمشق، بحث مقدم الى مؤتمر النقد الأدبي الرابع الذي عقد في جامعة اليرموك، اربد، 1992م.
- همزة الاستفهام بين المفهومين النحوي والبلاغي: د. يوسف أبو العدوس، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد الثاني، العدد الثاني، 1987م.
- الأساليب الإنشائية في كتاب سيبويه، شامل راضي الزبيدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد 1983م.

المراجع الأجنبية

- O'Connor , J.D. and Aronold , G.F. Intonation of Collaquial English, Longman , London , 1973.
- Gimson, A.C. An Introduction to the Pronounciation of English , Edqard Arnold. London, 1980.